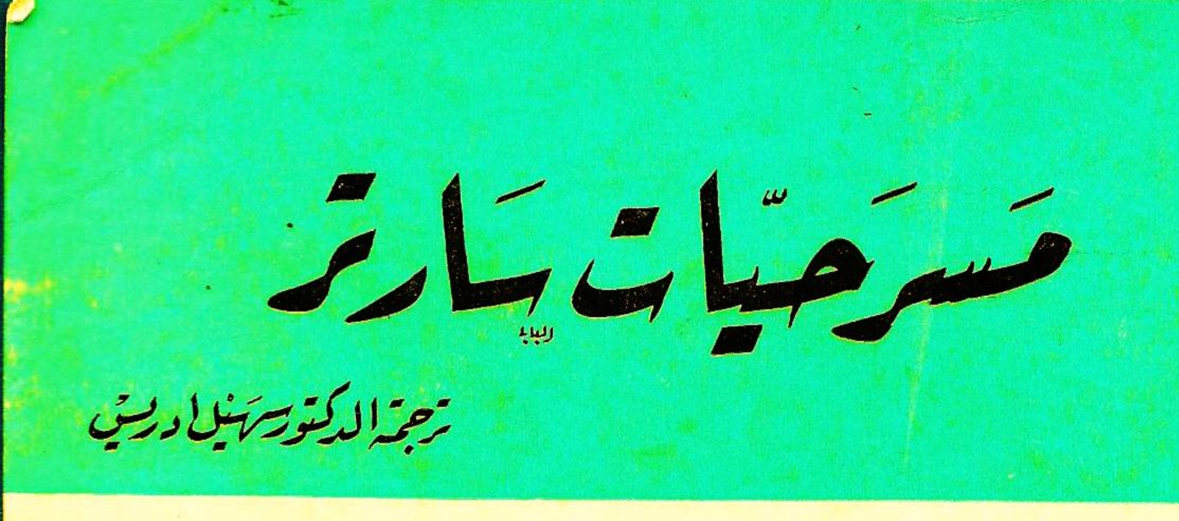
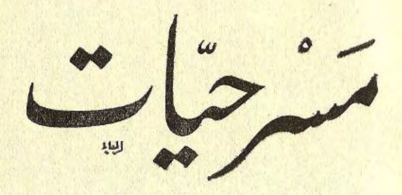

مسرحيات سارتر
ترجمة الدكتور سهيل إدريس

جان بول سارتر



نقلها عن الفرنسية

الدكتور سهيل إدريس

منشورات دار الآداب - بيروت

الذبابُ

درامة في ثلاثة فصول

الأشخاص

جوبيتر
أورست
أجيست
المربّي
الحارس الاول
الحارس الثاني
الـكاهن الأكبر
الكتر
كليتمنستر
إلاهة يونانية
امرأة صبية
امرأة عجوز
رجال ونساء من الشعب
إلاهات ، خدم
حرس القصر

الفصل الأول

ساحة في أرغوس . تمثال لجوبيتر ، إله الذباب والموت . عينان بيضاوان ووجه ملطّخ بالدم .

المشهد الأول

(نساء عجائز مرتديات السواد يدخلن في الطواف ويسكبن الخمر أمام التمثال. أبله جالس على الأرض في الداخل . يدخل اورست والمربي ، ثم جوبيتر .)

اورست – هيه ، ايتها النساء الطيّبات !

(يلتفتن جميعاً وهن يرسلن صرخة)

المربي – هل تستطعن ان تقلن ؟ . . .

(يبصقن على الارض وهن يتراجعن خطوة .)

المربي – إسمعن انتنّ . نحن مسافران تائهان . ولا اطلب منكـــنّ إلا إرشاداً .

(تفر العجائز بينا تسقط منهن الجرار .)

المربي – يا للعجائز الحقيرات ! لـكأني حاقد على مفاتنهنّ ! آه يا سيدي، يا للرحلة اللطيفة ! كم كنتَ ملهماً بالمجيء هنا حين يكون هناك اكثر من خمسمئة

عاصمة ، في اليونان كما في ايطاليا ، ممتلئة بالخمر الجيد والفنادق الخفيّة والشوارع الآهلة . أما هؤلاء الجبليون ، فيبدون وكأنهم لم يروا قطّ سوّاحاً : لقد سألت مئة مرة عن دربنا في هذه القرية الملعونة التي تشويها الشمس . وفي كل مـــكان تنطلق صيحات الذعر نفسها ، وعمليات الهرب نفسها ، والجري الاسود الثقيل في الشوارع المعمية . تفه ! تلك الشوارع الخالية ، والهواء الذي يرتعش ، وهذه الشمس ... أي شيء أشأم من الشمس ؟

اورست – لقد وُلدت هنا ...

المربي – هذا ما يبدو . ولكني لو كنت مكانك ، لما افتخرت بذلك .

اورست – لقد وُلدت، هنا وعليّ أن أسأل عن طريقي كعابر سبيل. اطرق هذا الباب !

المربّي – ماذا تأمل ؟ أن يردّوا عليك ؟ انظر اليها قليلا ، هذه البيوت ، وحدّثني عن هيئتها . أين هي نوافذها ؟ انهنّ يفتحنها على باحات مغلقة ومظلمة جداً ، على ما أتصوّر ، ويُدرن نحو الشارع مؤخراتهن ... (حركة من اورست) حسناً . انني ادقّ الباب . ولكن بلا أمل .

(يطرق الباب . صمت . يطرق مرة اخرى ؛ يشق الباب .)

صوت – ماذا تريد ؟

المربّي – استعلام بسيط . أتعرفين أين يسكن ...

(يغلق الباب من جديد فجأة)

المربّي – إنك تستحقين الشنق ! هل انت مسرور ، يا سيد اورست ، وهل تكفيك التجربة ؟ ان باستطاعتي ، إذا شئت ، أن أدقّ جميع الأبواب .

اورست – لا . دعْك من هذا .

المربّي – عجباً ! ولكنّ هنا شخصاً . (يقترب من الابله) أيها السيد !

الأبله – اش !

المربّي – (بتحية جديدة) أيها السيد !

الأبله – اش !

المربّي – هل تتفضل فترشدنا إلى بيت أجيست ؟

الأبله – اش !

المربّي – اجست ، ملك ارغوس .

الأبله – اش ! اش !

(يمر جوبيتر في الداخل)

المربّي – لا حظّ لنا ! إن الوحيد الذي لا يفرّ هو أبله (يمر جوبيتر مرة اخرى) عجباً ! لقد لحق بنا حتى هنا .

اورست – من ؟

المربّي – ذو اللحية .

اورست – انت تحلم .

المربّي – لقد رأيته يمرّ .

اورست – انت على خطأ .

المربّي – محال . انني طوال حياتي لم أر مثل هذه اللحية ، باستثناء واحدة من البرونز تزيّن وجه جوبيتر اهانو باربوس ، في باليرمو . انظر . هوذا يمرّ ثانية . ماذا يريد منا ؟

اورست – انه مسافرٌ مثلنا .

المربّي – عجباً ! لقد التقيناه على طريق دلف . وحين أبحرنا ، في ايتيا ، كان قد بدأ يعرض لحيته على السفينة . وفي نوبلي ، مـا كنّا نخطو خطوة إلاّ وعثرنا به ، وها هوذا الآن هنا . اترى يبدو لـك ذلك من قبيل المصادفات ؟ (يطرد الذباب بيده) آه ! إن ذباب أرغوس يبدو لي أشدّ حفاوةً من البشر . انظـر هذا ، ولكن انظر هذا ! (يشير الى عين الأبـله) انهـا اثنتا عشرة ذبابة على عينه ، كما لو انها على قطعة حلوى ، وهو في هذه الاثناء تائه مفتون ، ويبدو كما لو انـه يحب ان تُمصّ عيناه . والواقع انـه يخرج لك من هذين البؤبؤين مُصالة بيضاء تشبه الحليب المتخثّر (يطرد الذباب) كفى ! ايها الذباب ، كفى ! هـا هي ذي تحوم حولك (يطردها) حسناً ، إنّ ذلـك يعود عليك بالرضى والراحة : انت

الذي كنت كثيراً ما تشكو انك غريب في بلدك بالذات ، ترى هـذه الحشرات تحتفل بك ، كما لو انها تتعرّفك . (يطردها) هيّا ، هيّا ، كفى ! حسْبُنا تدفُقـاً ! من اين تراها آتية ؟ انها أشدّ ضجيجاً من الطواحين ، واكبر حجماً من اليعاسيب .

جوبيتر (وكان قد اقترب) — انه ليس الا ذبابـاً سميناً بعض الشيء يقتات اللحم . إن رائحة جيفة قوية قـد اجتذبته منذ خمسة عشر عاماً إلى المدينة . وهو منذ ذلك الحين يزداد سمنة . وبعد خمسة عشر عاماً سيبلغ حجم الضفادع الصغيرة .

(صمت) .

المربي — هل لنا أن نعرف بحضرة من نحن ؟

جوبيتر — ان اسمي هو ديمتريوس . وانا قادم من اثينا .

اورست — أحسب أني رأيتك على السفينة ، في الخمسة عشر يوماً الأخيرة .

جوبيتر — لقد رأيتك انا أيضاً .

(صراخ فظيع في القصر) .

المربي — هيلا ! هيلا ! انني لا أفهم من هذا كلّه شيئاً ذا قيمة ، وفي رأيي ، يا معلمّي ، انه خيرٌ لنا ان نمضي .

اورست — اسكت .

جوبيتر — ليس لكما مـا تخافان . ان اليوم هو عيد الموتى . وهذا الصراخ يعني بدء الاحتفال .

اورست — يبدو انك خبير جداً بشؤون ارغوس .

جوبيتر — انني غالباً مـا أقصدها . وقـد كنت فيهـا لدى عودة الملك آغاممنون حين رسا اسطول الاغريق المنتصر في حوض نوبلي . وقد كان بامكان المرء ان يلمح الاشرعة البيضاء من أعلى الأسوار . (يطرد الذباب) ولم يكن ثمة من ذباب بعد . لم تكن أرغوس الا مدينة ريفية صغيرة تعاني الضجر تحت الشمس بتناقل . وقد صعدت الى الافريز مع الآخرين ، في الايام التالية ، وتأملنا طويلاً الموكب الملكي الذي كان يسير في السهل . ومساء اليوم الثاني ، ظهرت الملكة كليتمنستر

على الأسوار بصحبة أجيست ، الملك الحالي . وقد رأى سكان أرغوس وجهيهما مورّدين بالشمس الغاربة ، ورأوهما يطلاّن من فوق الشرفات وينظران طويـلاً جهة البحر ، فكان ان فكرّوا : « لا بـدّ أن هناك شرّاً » ولكنهم لم يقولوا شيئاً . ولا بدّ أنك تعرف ان أجيست هو عشيق الملكة كليتمنستر . انه فاجرٌ كان يميل ، في تلك الفترة ، الى الكآبة . انك تبدو متعباً ؟

اورست — إنه السير الطويل الذي قمت به ، وهـذه الحرارة اللعينة . ولكنك تثير اهتمامي .

جوبيتر — لقد كان آغاممنون رجـلاً طيباً ، ولكنه ارتكب خطأً فادحاً لو تعلم . إنه لم يسمح بأن تُنفَّذ أحكام الإعدام علناً . ويا للأسف . فان الشنق ، في الريف ، عمـلٌ يسلّي ويعوّد الناس قليلاً على الموت . والسكان هنا لم يقولوا شيئاً لأنهم كانوا يعانون السأم وكانوا يريدون ان يشاهدوا ميتةً عنيفة . لم يقولوا شيئاً حـين رأوا ملكهم يظهر على أبواب المدينة . وحين رأوا كليتمنستر تمدُّ له ذراعيها الجميلتين المعطّرتين ، لم يقولوا شيئاً . وفي تلـك اللحظة كانت تكفي كلمة واحدة ، كلمة واحدة ، ولكنهم صمتوا ، وكان في رأس كل منهم صورة جثة كبيرة ذات وجه محطّم .

اورست — وانت ، ألم تقل شيئاً ؟

جوبيتر — أهذا يغضبك ايها الفتى ؟ انني مسرورٌ بذلك كل السرور ، فهذا دليل على عواطفك الطيبة . أجل ، انني لم أتكلم : فانا لست من سكان هـذه المدينة ، ولم يكن ذلك مما يعنيني . واما سكان أرغوس ، فانهم حين سمعوا ملكهم في اليوم التالي يئنّ ألماً في القصر ، ظلّوا على صمتهم ، وأغمضوا جفونهم على عيونهم المهتاجة من الشهوة ، وكانت المدينة كلها أشبه بامرأة في حالة الشبق .

اورست — والقاتل يستولي على الحـكم . لقد عرف خمسة عشر عامـاً من السعادة . وقد كنت أحسب الآلهة عادلين .

جوبيتر — هيه ! لا تلق التبعة على الآلهة بهذه السرعة . هـل العقاب واجب ابداً ؟ أليس من الافضل تحويل هذا الاضطراب لصالح النظام الخلقي ؟

اورست – وهذا ما قد فعلوه ؟

جوبيتر – لقد ارسلوا الذباب .

المربي – وماشأن الذباب بهذا ؟

جوبيتر – اوه ! إن هذا رمز . اما ما فعلوه ، فاحكم عليه من هذا : إنك ترى تلك العجوز ، هناك ، تنطنط بأرجلها القصيرة السوداء ، محاذية الجدران . إنه نموذج جميل لتلك الحشرة السوداء المسطحة التي تنغل في شقوق الجدران . انني أقفز على الحشرة ، فأقبض عليها وأحملها اليك (يقفز على العجوز ويعود بها إلى مقدم المسرح) هوذا صيدي . انظر هذه الفظاعة ! أراك تطرف بعينيك ، ومع ذلك فأنتم الآخرين معتادون على السيوف التي تحمرُّ في الشمس . انظـــر إلى انتفاضات السمكة هذه في طرف الصنارة . أخبريني ايتها العجوز ، لا بدّ انك قد فقدت عشرات الاود : فأنت سوداء من رأسك إلى قدميك . هيّا ، تكلمي وربما اطلقت سراحك . على من انت تلبسين الحداد ؟

العجوز – هذا لباس أرغوس .

جوبيتر – لباس أرغوس ؟ آه ! فهمت . انك تلبسين الحداد على ملكك ، ملكك المقتول .

العجوز – اصمت ! بحق الرب ، اصمت !

جوبيتر – ذلك انك لابد ، وقد بلغت هذه السنّ ، ان تكوني قد سمعت تلك الصرخات المريعة التي طافت طوال ذلك الصباح في شوارع المدينة . فماذا فعلت ؟

العجوز – كان زوجي في الحقل ، فما كان بوسعي ان افعل ؟ لقـد اقفلت بابي بالمفتاح .

جوبيتر – نعم وشققت نافذتك لتسمعي على نحوٍ افضل ، وكمنـــت خلف الستائر ، مقطوعة النفَس ، وانت تحسّين بدغدغة غريبة في جنبيك .

العجوز – اسكت !

جوبيتر – ولا بدّ انك تلك الليلة قمت بفعل الحب على افضل وجه . كان

اليوم عيداً ، أليس كذلك ؟

العجوز – اه ! يا إلهي ... كان عيداً فظيعاً .

جوبيتر – عيد أحمر لم تستطيعي دفن ذكراه .

العجوز – يا إلهي ! هل تكون ميتاً ؟

جوبيتر – ميت ! كفى ايتها المجنونة ! لا تهتمّي بما عسى أن اكـــون ، وخيرٌ لك أن تهتمّي بنفسك وان تكسبي صفح السماء بندمك .

العجوز – آه ! انني أندم ، يا إلهي ، وليتك تعرف كم انا نادمة ، وابنـــتي كذلك نادمة ، وصهري يضحّي كل عام ببقرة ، وحفيدي الذي يناهز السابعة من عمره ، لقد ربّيناه في الندم : إنه عاقل كالصورة ، شديد الشقرة ، وهـــو ممتلىء بشعور خطيئته الأصلية .

جوبيتر – حسناً ، اذهبي ، ايتها العجوز القذرة ، وحـــاولي ان تموتي في الندم . إن هذه هي فرصتك الوحيدة للخلاص (تفر العجوز) إما انـــني ، يا سادتي ، على خطأ فادح ، وإمـــا أن هذه تقوى ، على الطريقة القديمة ، قائمة على الإرهاب .

اورست – أي رجل تكون ؟

جوبيتر – من يهتمّ بي ؟ كنا نتحدث عن الآلهة . حسنـــاً ، أكان ينبغي صرع أجيست ؟

اورست – كان ينبغي ... آه ! لا أدري ماذا كان ينبغي ، وأنا أسخر من ذلك ، فانا لست من هنا . وهل أجيست نادم ؟

جوبيتر – أجيست ؟ إن ذلك يدهشني لو حدث . ولكن مـــا يهمّ . إن مدينةً برمّتها نادمةٌ من أجله . والندم شيءٌ يُحسَب بالوزن (صراخ فظيع في القصر) اسمع ! حتى لا ينسوا أبداً صراخ احتضار ملكهم . فقد اختير بقّارٌ ذو صوت قوي ليصيح هكذا ، في كل ذكرى سنوية ، في قاعة القصر الكبرى (يقـــوم اورست بحركة اشمئزاز) ولكن هذا ليس بشيء ؛ فمـــا عساك تقول عما قليل حين يُطلَقُ الموتى ؟ لقد اغتيل آغا ممنون منذ خمسة عشر عاماً تماماً . آه ! وكم قد

تغيّر منذ ذلك الحين شعب ارغوس الخفيف ، وما اقربه الآن من قلبي !

اورست — من قلبك ؟

جوبيتر — دعك من هذا ، دعك ، ايها الفتى . كنت أحدّث نفسي . كان عليّ ان اقول : ما اقربه من قلب الآلهة .

اورست — حقاً ؟ جدران ملطخة بالدم ، وملايين من الذباب ، ورائحة مجزرة ، وحرارة حشرات ، وشوارع مقفرة ، وربٌ ذو وجه مسحوق ، وبقايا مذعورة تضرب صدورها في جوف بيوتها — وهذا الصراخ ، هذا الصراخ الذي لا يطاق : أهذا ما يروق لجوبيتر ؟

جوبيتر — آه ! لا تحكم على الآلهة ، ايها الفتى ، إن لهم أسراراً مؤلمة .

(صمت)

اورست — *لقد كان لآغا ممنون ابنة ، أليس كذلك ؟ ابنة تحمل اسم الكترا؟*

جوبيتر — نعم . انها تعيش هنا . في قصر أجيست الذي تراه هنا .

اورست — آه ! هذا قصر أجيست ؟ وما رأي الكترا بهذا كله ؟

جوبيتر — انها ما تزال صغيرة . ثم إن هناك ابناً ايضاً ، يدعى اورست . ويقال انه قد مات .

اورست — مات ! عجباً ...

المربي — أجل ، يا معلمي ، انت تعلم جيداً انه مات . وقد روى لنا سكان نوبلي أن أجيست كان قد أصدر أمره بقتله، بعد فترة قصيرة من موت آغاممنون.

جوبيتر — لقد ادّعى البعض انه كان على قيد الحياة ، وأنّ من كانوا ينوون *قتله قـد أخذتهم الشفقة عليه فتركوه في الغابة . ويقال إن بعض اثرياء اثينا* البورجوازيين قد التقطوه وربّوه . اما انا ، فأتمنّى أن يكون قد مات .

اورست — ولماذا ، من فضلك ؟

جوبيتر — تصوّر أن يَمثُل ذات يوم على ابواب هذه المدينة ...

اورست — وإذن ؟

جوبيتر — عجباً ! إذا التقيته فسأناديه ايها الفتى، لأنه في سنّك، تقريباً،

إن كان يعيش . وبالمناسبة ، هل تقول لي اسمك يا سيدي ؟

اورست — اسمي « فيلاب » وانا من كورنثيا . انني اقوم برحلة للتثقف ، يصحبني عبدٌ كان مؤدّبي .

جوبيتر — حسناً . في هذه الحالة سأقول اذن : « إمضِ ، ايها الشاب ! فعمّ تبحث هنا ؟ إنك تريد أن تُحقّ حقوقك ؟ إنـك قويّ نشيط ، وانت تصلح لتكون نقيباً في جيشٍ مقاتل ، وان امامك عملاً أفضل من أن تحكم مدينة نصف ميتة . جثة مدينة يعذّبها الذباب . إن السكان هنـا هم خطاةٌ كبار ، ولكنهم يسلكون الآن درب التوبة . فدعهم ايها الفتى ، دعهم ، واحترم مشروعهم المؤلم ، وابتعد على رؤوس أصابعك . إنك لن تستطيع أن تشاطرهم ندمهم ، لأنـك لم تشترك في جريمتهم ، وبراءتك الوقحة تفصلك عنهم كحفرة عميقة . إذهب من هنا إن كنت تحبّهم قليـلاً . إمض عنهم ، لأنـك ستفقدهم : فيكفي أن توقفهم في الطريق ، وان تصرفهم ، ولو لحظة ، عـن ندمهم ، حتى تتسمّر عليهم خطيئاتهم جميعاً كالشحم البارد. إن ضميرهم يبكتهم وهم خائفون، وللخوف وتبكيت الضمير رائحة لذيذة لأنوف الآلهـة . أجل ، انهم يروقون الآلهة ، هذه النفوس التي تثير الشفقة . فهل تريد أن تنزع عنهم الحظوة الإلهية ؟ وماذا تعطيهم بديلاً عنها ؟ ألوانـاً من الطعام السهل الهضم وأمن الأرياف الضجر والسأم ، آه ، سأم السعادة اليومي . رحلة سعيدة ، ايها الفتى ، رحلة سعيدة ؛ إن نظام المدينة ونظام النفوس غير ثابتين : فـاذا لمستها ، أحدثتَ كارثة . (ناظراً اليه في عينيه) كارثة هائلة ترتدّ عليك .

اورست — حقاً ؟ أهذا ما كنت تقوله ؟ حسناً ، إن كنت انا هذا الفتى ، فسأجيبك ... (يتبادلان النظر ؛ يسعل المربي) انني لا أعرف مـا الذي سأردّ عليك به . فلعلّك على حق ، وانا لا شأن لي بهذا .

جوبيتر — هذا أفضل . وأتمنّى ان يكون اورست ايضاً عاقلاً على هـذا النحو . هيّا ، السلام عليك ! يجب أن أنصرف إلى أعمالي .

اورست — السلام عليك .

جوبيتر – بالمناسبة ، إن كان هذا الذباب يزعجك ، فاليك الطريقة الـــتي تتخلص بها منه : انني اكوّر قبضتي ، وارفع ذراعي قائلاً : « ابراكسا ، غالا ، غالا ، تسي ، تسي . » وانظر الآن : ها هوذا يتدحرج ويأخـــذ يزحف على الأرض كالدود .

اورست – بفضل جوبيتر !

جوبيتر – ليس هذا بذي شأن . إنه موهبة إجتماعية صغيرة . انـــني في اوقات فراغي ساحر الذباب . سلاماً . سوف اراك ثانية .

(يخرج)

المشهد الثاني

اورست – المربّي

المربي – حذار . إن هذا الرجل يعرف من أنت .

اورست – أهو رجل ؟

المربي – آه ! كم انت تتعبني يا معلـّمي ! ماذا تفعل إذن بدروسي وبنزعـة الشك الباسم التي أعلـّمك إياها ؟ « أهو رجل ؟ » عجباً ، ليس ثمة الا رجال ، وهذا ما يكفي . إن صاحب اللحية هذا رجل ، جاسوس لأجيست .

اورست – دعني من فلسفتك . فقد أصابني منها أذى بليـغ .

المربي – أذى ! أيكون منح الناس حريتهـم الفكرية ايذاءً لهم ؟ اه ! كم قد تغيرّت ! كنت فيما مضى أقرأ فيك ... أتقول لي اخـيراً ما الذي تنويه ؟ لماذا قـُدتني إلى هنا ؟ وماذا تريد أن تفعل ؟

اورست – وهل قلتُ لك إن عندي شيئاً اريد أن أفعله هنـــا ؟ كفى ، اسكت . (يقترب من القصر) هوذا «قصري». هنا وُلد أبي ، وهنا اغتالته مومس وعشيقها . وقد ُولدت انا ايضاً فيه . وكنت في الثالثة من عمري حـين أخذني جنود أجيست المرتزقة . وقد مررنا بلاشك من هذا الباب ؛ كان أحدهم يحملني بين ذراعيه ، وكانت عيناي مفتوحتين على سعتها ، ولا شك في اني كنت أبكي... آه ! ليس ثمة من ذكرى ؟ انني ارى بناءً كبيراً أبـــكم منتصباً بأبهـّته الريفية . « أراه » للمرة الاولى .

المربي – ليس من ذكرى ، ايها المعلم العاقّ ، في حين اني كرّست عشرة اعوام من حياتي وانا اعطيك الذكريات ؟ وجميع هذه الرحلات التي قمنا بها ؟ وتلك المدن التي زرناها ؟ ودروس علم الآثار تلك التي كنت ألقيها عليك وحدك ؟ ليس من ذكرى ؟ لقد كان ثمة كثير من القصور والمعابد التي تعمر ذاكرتك ، حتى انه كان بوسعك ، كالعالم الجغرافي بوسانياس ، ان تؤلّف دليلا لليونان .

اورست – قصور ! هذا صحيح . قصور واعمدة وتماثيل ! لماذا لا اكون اكثر ثقلا ، انا الذي أحمل في رأسي هذه الصخور الكثيرة ؟ والدرجات الثلاثمئة والسبع والثمانون في معبد « افيز » لماذا لا تتكلم عنها ؟ لقد رقيتها درجة درجة ، واني لأتذكرها جميعها . واظنّ ان السابعة عشرة منها كانت مكسورة . آه ! إن كلباً ، كلباً عجوزاً يتدفأ ، مستلقياً قرب موقد ، وينهض قليلا لدى دخول سيّده ، وهو يئنّ بعذوبة ليحيّيه ، إن كلباً كهذا يملك ذاكرة اقوى من ذاكرتي . إنه يتعرّف **معلّمه . معلّمه هو** . وماذا لي أنا ؟

المربي – ماذا تصنع بالثقافة ، يا سيدي ؟ إنها لك ، ثقافتك ، ولقد نظّمتها لك في حبّ ، كباقة ورد ، جامعاً فيها ثمار حكمتي وكنوز خبرتي . ألم أجعلك تقرأ ، في وقت مبكر ، جميع الكتب لأعوّدك على تنوّع الآراء البشرية ، وأجتاز بك مئة حالة مدللا لك في كل ظرف كم هي متقلّبةٌ أخلاق الناس ؟ هأنت ذا الآن شاب غنيّ وجميل ، حكيم كالشيوخ ، متحرّر من جميع الوان العبودية والمعتقدات ، بلا اسرة ولا وطن ولا دين ولا مهنة ، حرّ أمام جميع الالتزامات ، ومدركٌ انه ينبغي ألاّ تلتزم أبداً ، انسانٌ أعلى بالاختصار ، قادر بالاضافة إلى ذلك على تدريس الفلسفة او علم الآثار في مدينة جامعية كبيرة ، وانت مع ذلك تشكو !

اورست – لا : انني لا أشكو . لا أستطيع ان أشكو : لقد تركت لي حرية هذه الخيوط التي تنتزعها الريح من نسيج العنكبوت والتي تتطاير على ارتفاع عشرة اقدام من الأرض ؛ انني لا أزن اكثر مما يزن الخيط ، وأعيش في

الهواء . وانا أعلم ان هذا حظّ ، وأقدره حق قدره (فترة) إن هناك أشخاصاً يولدون ملتزمين : ليس لهم الخيار ، فقد ألقوا في درب ، وفي آخر الدرب عملٌ ينتظرهم ، هو « عملهم » ؛ إنهم يمضون ، واقدامهم العارية تضغط بقوة على الارض وتتجرّح بالحصى . أفتبدو لك مبتذلةً ، انت ، فرحةُ ان يذهب المرء الى جهة ما ؟ وهناك آخرون ، صموتون ، يُحسّون في أعماق قلوبهم ثقل الصور الارضية المتكدرة ؛ لقد تغيّرت حياتهم لأنه في يوم من طفولتهم ، حين كانوا في الخامسة ، او السابعة ... حسناً : انهم ليسوا بشراً أعليْن . لقد كنت بدأت ادرك ، وانا في السابعة ، اني كنت منفياً ؛ ان الروائح والأصوات ، ونقر المطر على السقوف ، وارتعاشات النور – كنت اترك ذلك كله ينزلق على جسمي ويسقط حولي ؛ كنت اعرف انها تخصّ الآخرين ، واني لن أستطيع ابداً ان أجعل منها **ذكرياتي** . ذلك ان الذكريات أغذيةٌ دسمة لمن يملك البيوت والماشية والخدم والحقول . اما أنا ... فاني حرّ ، والحمدلله . آه ! كم انا حرّ . وأية غيبة رائعة هي روحي . (يقترب من القصر) كان المفروض ان أعيش هنا . وما كان لي أن اقرأ اي كتاب من كتبك ، بل ربما لم اكن احسن القراءة : فمن النادر ان يعرف أمير القراءة . ولكني كنت سأدخل من هذا الباب وأخرج عشرة آلاف مرة . وكنت وانا صبيّ سألعب بمصراعيه ، وأتكوّر عندهما ، فيصرّان من غير ان ينفتحا ، وتعرف ذراعاي درجة مقاومتهما . وفيما بعد ، كنت سأدفعهما ليلا ، خفيةً ، لأذهب إلى لقاء الفتيات . وفيما بعد ايضاً ، يوم بلوغي سنّ الرشد ، كان العبيد سيفتحون الباب على سعته فأجتاز عتبته ممتطياً ظهر الجواد . يا لبابي الخشبيّ القديم ! كنت سأعرف موضع قفلك ، وانا مغمض العينين . وذلك الخدش ، هناك في الأسفل ، ربما كنت انا الذي أحدثته ، بحركة خرقاء ، في اليوم الاول الذي سلّموني فيه سهماً . (يبتعد) طراز دوريدي ، أليس صحيحاً؟ وما رأيك بالنقوش الذهبية؟ لقد رأيت شبيهها في « دودون » : إنه فنّ دقيق . هيّا ، انني سأسرّك : ليس هذا **قصري** ، ولا **بابي** . وليس لنا ما نفعله هنا .

المربّي – هأنت ذا تعود إلى رشدك . مـا كنت ستربح لو عشت فيه ؟ إن روحك ، في هذا الوضع الذي هو فيه ، كانت تكون تحت إرهاب ندمٍ كريه .

اورست (في انفجار) – كان يكون لي على الأقلّ . وهذه الحرارة التي تلقي الاحمرار على شعري، كانت تكون لي. ولي طنين هذا الذباب. وفي هذه الساعة، كنت أكون عارياً في غرفـة معتمة بالقصر ، أراقب من شق مصراع لون النور الأحمر ، وانتظر ان تغيب الشمس وان يرتفع من الأرض ظلٌ نديّ لأمسية من اماسي ارغوس ، كأنه الرائحة ، شبيهة بمئة الف امسية اخرى، وجديدة دائماً، ظلّ امسية يخصّني أنا . لنمضِ ايها المربّي ؛ اتراك لا تدرك اننا ننتن في حرارة الآخرين ؟

المربي – آه ! كم تطمئنني يا سيّدي ! انني كنت اراك في هـذه الأشهر الأخيرة – وبكلمة أدقّ منذ ان كشفت لك سرّ مولدك – تتغـيّر يوماً فيوماً ، وكنت أكفُّ عن النوم . كنت أخشى ...

اورست – ماذا ؟

المربّي – ولكنك ستغضب .

اورست – لا ! تكلّم .

المربي – كنت أخشى – إن المـرء يجهد في ألاّ ينساق مبكراً للسخرية الارتيابية . ولكن تأتيـه احياناً افكارٌ بليدة – وبالاختصار ، كنت اتساءل ألا تنوي ان تطرد أجيست وتحلّ محله ؟

اورست (على مهل) – أطرد أجيست ؟ (فترة) بوسعك ان تطمئن ايها الرجل الطيب ، فلقد فات الاوان . إن الرغبة لا تنقصني في أن أقبض على لحية هـذا الماجن السكرستي وان انتزعه من على عرش ابي. ولكن ماذا ؟ ماذا أفعل بهؤلاء الناس ؟ انني لم أشهد مولد واحدٍ من اولادهم ، ولم أحضر عرس بناتهم ، وانا لا أشاطرهم ندمهم، ولا أعرف اسماً من اسمائهم . إن المحقّ هو صاحب اللحية : ان على الملك ان تكون له ذكريات رعاياه نفسها . لنتركهم ، يا صاحبي . ولنمض . على رؤوس اصابعنا . آه ! ليت هناك عملٌ يمنحني حق المواطنية بينهم ؛ ليتني

كنت أستطيع ان استولي ، حتى ولو بجريمة ، على ذكرياتهم وذعرهم وآمالهم لأملأ فراغ قلبي ، ولو وجب عليّ ان أقتل امي بالذات ...

المربّي – سيدي !

اورست – أجل . انها احلام وخيالات . لنذهب . انظر ان كان بالامكان ان نحصل على جوادين ، انمضِ حتى اسبرطة ، حيث لي أصدقاء .

(تدخل الكترا) .

المشهد الثالث

اورست ، المربي ، الكتر

الكتر (حاملة صندوقاً ، مقتربة من تمثال جوبيتر من غير ان تراهما) — قذارة ! انك تستطيع ان تنظر إليّ ، هيّا ، بعينيك المستديرتين في وجهك الملطّخ بعصير الفريز ، فانت لا تخيفني . قل لي ، لقد جاءت هذا الصباح النساء القديسات ، العجائز اللابسات السواد . ولقد صفقن نعالهن الضخمة حولك . وقد كنتَ مسروراً ، أيّها الفزّاعة ، فأنت تحبهنّ ، هاتيك العجائز ؛ إن حبك يزداد لهنّ ما ازددن شبهاً بالأموات . لقد أرقن على قدميك أغلى خمورهن ، لأن هذا هو عيدك ، وكانت تجشّؤات عفنة تصعد إلى أنفك من تنانيرهن ؛ وما يزال منخراك مدغدغيْن بذلك العطر اللذيذ (تحتك به) حسناً ، شمّني الآن ، شمّ رائحة لحمي النديّ . انني صبيّة أنا ، انني حيّة ، ولا بدّ ان ذلك يثير لديك الاشمئزاز . وانا ايضاً ، قدمت أهبك عطاياي ، والمدينة كلّها تصلّي . عجباً: هذه قشور ، ورماد الموقد كلّه ، وقطع من اللحم ينغل فيها الدود ، وكسرة خبز ملطخة، لم تغر خنازيرنا ، فهي تحبّ هذا ، ذبابك . عيداً سعيداً ، عيداً سعيداً ، ولنتمنّ ان يكون آخر عيد . انني لست قوية جداً . ولا أستطيع ان أسقطك إلى الأرض . ولكني أستطيع ان أبصق عليك ، هذا كل ما أستطيعه. ولكنه سيأتي ، ذلك الذي انتظره ، مع سيفه الكبير وسينظر اليك مقهقهاً ،

هكذا ، ويداه على خاصرتيه ، ورأسه منقلب الى خلف . ثم يستلّ حسامه فيشقّك من أعلى إلى أسفل ، هكذا ! واذ ذاك سيتدحرج نصفا جوبيتر، الاول إلى اليسار ، والثاني إلى اليمين ، وسيرى الجميع انه من الخشب الأبيض . اما الإشمئزاز والدم على الوجه ، والخضرة المعتمة في العينين ، فليس ذلك كله الا طلاءً ، أليس هذا صحيحاً ؟ وانت تعلم انك في الداخل ابيض كل البياض ، ابيض كجسم طفل رضيع ؛ انت تعلم ان ضربة سيف ستشقّك شقاً ، ولن تستطيع حتى ان تنزف . خشب ابيض ! خشب جيّد أبيض : يحترق جيداً .
(تلمح اورست) آه !

اورست — لا تخافي .

الكتر — لست خائفة . لست خائفة على الاطلاق . من أنت ؟

اورست — غريب

الكتر — أهلاً بك . ان كل ما هو غريب عن هذه المدينة أثيرٌ لديّ . ما اسمك ؟

اورست — اسمي « فيلاب » وانا من « كورنثيا » .

الكتر — آه ؟ من كورنثيا ؟ اما انا ، فيسمونني الكتر .

اورست — الكتر (للمربي) دعنا وحدنا .

(يخرج المربي)

المشهد الرابع

أورست – الكتر

الكتر – لماذا تنظر إليّ هكذا ؟

اورست – انت جميلة . انك لا تشبهين سكان هذه المدينة .

الكتر – جميلة ؟ انت واثق من اني جميلة ؟ في مثل جمال فتيات كورنثيا ؟

اورست – نعم .

الكتر – اني لا اسمع احداً هنا يقول لي ذلك . انهم لا يريدون ان أعرف هذا . وما عسى ذلك ان يجديني ، حقاً ؟ انني لست الا خادمة .

اورست – خادمة ؟ انت ؟

الكتر – آخر الخادمات . انني أغسل ثياب الملك والملكة . وهي ثياب قذرة ملأى بالاوساخ . كل ملابسهم الداخلية ، القمصان التي سربلت جسميهما الفاسدين ، والثوب الذي ترتديه كليتمنستر حين يقاسمها الملك الفراش : يجب أن أغسل هذا كلّه . انني أغمض عيني ، وأدعَك بكل قواي . واغسل الصحون كذلك . ألا تصدقني ؟ انظر إلى يديّ . إن فيهما جروحاً وشقوقاً ، اليس كذلك؟ ما أغرب نظراتك ! اتكون يداي شبيهتين بأيدي الاميرات ؟

اورست – يا لليدين المسكينتين ! لا . انهما لا تشبهان ايدي الاميرات . ولكن تابعي . لأيّ شيء يستخدمانك ايضاً ؟

الكتر – إنّ عليّ كل صباح أن افرغ القمامة . فانا أجرّها خارج القصر ثم.. لقد رأيتَ ماذا أفعلُ بها ، تلك القذارات . أن صاحبنا الخشبيّ هذا هو جوبيتر ملك الموت والذباب . ومنذ ايام ، قدِم الكاهن الاكبر الذي يأتي ليقدّم له آيات التبجيل ، فمشى على بقايا الملفوف والجزر وعلى قشور الصدَف . وقد حسب انه سيضيع رشده . قلْ لي هل تراك ستشي بي ؟

اورست – لا .

الكتر – شِ بي ان اردت ، فانا لا أبالي بذلك . ماذا يستطيعون ان يفعلوا بي اكثر من ذلك ؟ ان يضربوني ؟ لقد سبق ان ضربوني . ان يسجنوني في برج كبير ، هناك فوق ؟ إن هذه لن تكون فكرة سيئة ، فأنا لن ارى في هذه الحالة وجوههم . تصوّر انهم ، حين افرغ من عملي في المساء ، يكافئونني : يجب ان اقترب من امرأة سمينة وطويلة ذات شعر مصبوغ . إن لها شفتين منتفختين ويدين شديدتي البياض ، يدي ملكة تنبعث منها رائحة العسل . وهي تضع يديها على كتفيّ ، وتلصق شفتيها على جبيني وتقول : « مساء الخير ، يا الكتر » كل مساء . انني أحسُّ هذا اللحم الحارّ الريان يعيش على بشرتي كل مساء . ولكني اتماسك ، وانا لم اسقط يوماً . انها امي ، لو تعلم . فاذا كنت في البرج ، فانها لن تقبلّني بعد .

اورست – الم تفكري قطّ بأن تفرّي ؟

الكتر – انني لا أملك هذه الجرأة : فسيأخذني الخوف وحدي ، على الطرقات .

اورست – أليست لك صديقة تستطيع أن ترافقك ؟

الكتر – لا ، ليس لي إلاّي . انني وبأ ، طاعون : وهذا ما سوف يقوله لك الناس هنا . ليس لي من صديقات .

اورست – ماذا ، حتى ولا مُرضع ، امرأة عجوز شهدت مولدك ، وهي تحبك قليلا ؟

الكتر – حتى ولا هذا . إسأل أمي : انني سأثبّط حتى أرقّ القلوب .

اورست — وستبقين هنا طوال حياتك ؟

الكتر (في صرخة) — آه ! لا طوال حياتي ! كلا ؛ اسمع ! انني انتظر شيئاً.

اورست — شيئاً ام أحداً ؟

الكتر — لن اقول لك هذا . بل تحدّث انت . انك انت ايضاً جميل . هل انت باقٍ مدة طويلة ؟

اورست — كان المفروض ان أذهب اليوم بالذات . اما الآن ...

الكتر — الآن ؟

اورست — لا أدري بعد .

الكتر — أهي مدينة جميلة ، كورنتيا ؟

اورست — جميلة جداً .

الكتر — هل تحبّها كثيراً ؟ وهل انت فخور بها ؟

اورست — نعم .

الكتر — سيبدو لي غريباً ان اكون انا فخوراً بمسقط رأسي . إشرح لي .

اورست — الحق ... لست ادري . انني لا أستطيع ان أشرح لك .

الكتر — لا تستطيع ؟ (فترة) أصحيح أن في كورنتيا ساحات مظلّلة ؟ ساحات يتنزّه فيها الناس مساءً ؟

اورست — صحيح .

الكتر — وجميع الناس في الخارج ؟ الجميع يتنزهون ؟

اورست — الجميع .

الكتر — الفتيان مع الفتيات ؟

اورست — الفتيان مع الفتيات .

الكتر — ولديهم دائماً ما يتبادلون قوله ؟ وتروق للبعض صحبة الآخرين ؟ وهم يُسمَعون ، في ساعة متأخرة من الليل ، يتضاحكون ؟

اورست — نعم .

الكتر — انني ابدو لك ساذجة ؟ ذلك اني اعاني مشقّة كبيرة في تصوّر

النزهات والاغاني والبسمات . إن الخوف يأكلّ الناس هنا . وأنا ...

اورست — انت ؟

الكتر — يتأكلني الحقد . وما الذي يفعلنه طوال النهار ، فتيات كورنتيا ؟

اورست — انهنّ يتزينّ، ثم يغنّين او يعزفن على المزاهر، ثم يزرن صديقاتهن . وفي المساء يذهبن الى المرقص .

الكتر — وليس لديهنّ ايّ همّ ؟

اورست — إن لهن هموماً صغيرة جداً .

الكتر — آه ؟ اسمعني : هل يعاني سكان كورنتيا الندم ؟

اورست — احياناً ، لا غالباً .

الكتر — انهم اذن يفعلون ما يريدون ، ثم لا يفكرون بعد ذلك بشيء ؟

اورست — هو ذلك .

الكتر — هذا غريب (فترة) قل لي هذا ايضاً، لأني محتاجة إلى معرفته بسبب شخص ما ... شخص أنتظره : افرض أن فتى من كورنتيا ، فتى من اولئك الذين يضحكون مساء مع الفتيات، يعود من رحلة فيجد اباه مقتولاً ، وأمّه في سرير القاتل ، واخته في العبودية ، أتراه سيمضي مطمئناً ، فتى كورنتيا ؟ هل يعود القهقري ، وهو يقوم بانحناءات الاحترام ، باحثاً عن التعازي بالقرب من صديقاته ؟ ام تراه سيُخرج سيفه ، وينقضّ على القاتل حتى يحطّم رأسه ؟ ألا تجيب ؟

اورست — لا ادري .

الكتر — كيف ؟ لا تدري ؟

صوت كليتمنستر — الكتر .

الكتر — هُس .

اورست — ماذا هناك ؟

الكتر — انها امي ، الملكة كليتمنستر .

المشهد الخامس

اورست - الكتر - كليتمنستر

الكتر - ماذا يا فيلاب ؟ انها تخيفك إذن ؟

اورست — ذلك الوجه ، حاولت مئة مرة ان أتصوّره، وكنت قد توصلت الى ان أراه ، متعباً ورخواً تحت بهرة المساحيق . ولكني لم أكن انتظر هاتين العينين الميتتين .

كليتمنستر الكتر ، إن الملك يأمرك ان تتأهبي للحفلة . إلبسي ثوبك الاسود وبجوهراتك . ولكن ماذا ؟ ماذا تعني هاتان العينان المنخفضتان ؟ إنك تشدّين مرفقيك على خاصرتيك الهزيلتين ، وان جسمك يربكك ... إنك غالباً هكذا في حضرتي ؛ ولكني لن أؤخذ بعدُ بهذا التهريج : فمنذ لحظات رأيت من النافذة الكتراً اخرى ، ذات حركات واسعة ، وعينين مليئتين بالنار ... فهل تنظرين لي مواجهة ؟ هل تجيبينني ، في آخر المطاف ؟

الكتر - هل انت بحاجة الى غاسلة لصحون المطبخ لكي تُعلي من قيمة عيدك ؟

كليتمنستر — كفى تمثيلاً . انت اميرة يا الكتر ، والشعب ينتظرك ككل عام .

الكتر — هل انا حقاً أميرة ؟ وانت تتذكرين ذلك مرة في العام ، حين يطلب الشعب لوحة عن حياتنا العائلية من أجل تقواه ؟ يا للأميرة الجميلة التي

تغسل الصحون وتحرس الخنازير ! أترى أجيست سيحيط كتفيّ بذراعه ، كالعام الماضي ، ويبتسم قرب خدّي وهو يتمتم في أذني كلمات تهديد ؟

كليتمنستر — يتوقّف عليك ان يكون الأمر مختلفاً .

الكتر — نعم ، اذا تركت لعدوى ندمك ان تصيبني ، وطلبت صفح الآلهة لجرم لم أرتكبه . نعم ، اذا قبّلت يدي أجيست وانا أدعوه أبي . تفه ! إن تحت أظافره دماً مجمّداً !

كليتمنستر — افعلي ما تشائين . لقد انقضى وقت طويل على امتناعي عن اعطائك اوامر باسمي . انما نقلت لك أوامر الملك .

الكتر — ما الذي أفعله بأوامر أجيست ؟ انه زوجك ، يا امي ، زوجك العزيز جداً ، لا زوجي .

كليتمنستر — ليس لديّ ما أقوله لك يا الكتر . فأنا أرى انك تسعين الى هلاكك والى هلاكنا . ولكن كيف لي أن أنصحك ، انا التي هدمت حياتي في صباح واحد ؟ انك حاقدة عليّ يا ابنتي ، ولكن ما يزيدني قلقاً هو انك تشبهينني : لقد كان لي هذا الوجه الطويل ، وذلك الدم القلق ، وهاتان العينان الكتومان — ولم يخرج من ذلك كله شيء حسن .

الكتر — انني لا اريد ان أشبهك ! قل لي يا فيلاب ، انت الذي ترانا نحن الاثنتين ، احدانا قرب الاخرى ، ليس صحيحاً انني أشبهها ؟

اورست — ماذا أقول ؟ ان وجهها يبدو حقلاً خربته الصاعقة والبَرَد . ولكن على وجهك ما يشبه الوعد بالعاصفة : ولسوف يحرقه الهوس يوماً حتى العظم .

الكتر — وعد بالعاصفة ؟ ليكن . انني أقبل هذا الشَبَه . فليكن ما تقوله صحيحاً !

كليتمنستر — وانت ؟ انت الذي تستطلع وجوه الناس على هذا النحو ، من تراك تكون ؟ دعني أنظر اليك بدوري . وما الذي تفعله هنا ؟

الكتر (بحيوية) — انه كورنثي يُدعى فيلاب . وهو في سفر .

كليتمنستر – فيلاب ؟ آه !

الكتر – كان يبدو انك تخافين اسماً آخر ؟

كليتمنستر – أخاف ؟ لئن ربحت شيئاً في فقد نفسي ، فهـو اني لا يمكن بعدُ أن أخشى شيئاً الآن . اقترب ، ايها الغريب ، وأهلاً بك . ما أفتاك ! فكم تبلغ من العمر ؟

اورست – ثمانية عشر عاماً .

كليتمنستر – وهل والداك على قيد الحياة ؟

اورست – لقد مات أبي .

كليتمنستر – وامك ؟ ربما كانت في مثل عمري تقريباً ؟ ألا تجيب ؟ يبدو انها أصغر مني بلا شك ، وهي ما تزال تستطيع ان تضحك وتغنّي بصحبتك . هل تحبّها ؟ ولكن أجب ! لماذا تركتها ؟

اورست – اني ذاهب الى سبارطة لأنخرط في جيش المرتزقة .

كليتمنستر – ان المسافرين يقومون عادة بسلوك طريق منحرفة عشرين ميلاً ليتجنّبوا المرور بمدينتنا . أتراهم لم يُطلعوك على ذلك ؟ إن سكان السهول قد وضعونا في الحجر : فهم ينظرون الى ندمنا كما لو انه الطاعون ، وهم يخافون ان تصيبهم العدوى .

اورست – أعرف ذلك .

كليتمنستر – أقالوا لك إن جريمـــة لا تغتفر ، ارتكبت منذ خمسة عشر عاماً ، كانت تسحقنا ؟

اورست – قالوا لي ذلك .

كليتمنستر – وان الملكة كليتمنستر كانت أشد الجميع اجراماً ؟ وان اسمها كان ملعوناً بين الجميع ؟

اورست – قالوا لي ذلك .

كليتمنستر – ومع ذلك فقد أتيت ؟ ايها الغريب ، انا الملكة كليتمنستر .

الكتر – لا تأخذك الشفقة يا فيلاب ، فالملكة تتسلى بلعبتنا الوطنية : لعبة

الاعترافات العلنية . . ان كل فرد هنا يصرخ بآثامه في وجه الجميع ؛ وليس من النادر ، في ايام الأعياد ، ان يُرى تاجر ، بعد ان يكون قد أُسدل ستار حانوته الحديدي ، وهو يجرّ نفسه على ركبتيه في الشوارع ، ويدلـــك شعره بالغبار ويهدر بأنه قاتل ، او زانٍ ، او مخـــالف واجباته . ولكن سكان ارغوس بـــدأوا يسأمون : ان كل فرد يحفظ عن ظهر قلب جرائم الآخرين ؛ وجرائم الملكة بصورة خاصة لا تسلّي أحداً ، بعد ، انهـــا جرائم رسمية ، جرائم تأسيسية ، اذا صح التعبير . وانا اترك لك ان تقدر فرحتها حـــين رأتك شاباً فتياً ، جديداً ، جاهلاً حتى اسمها : اية فرصة استثنائية ! انه يبدو لها أنهـــا تعترف للمرة الاولى .

كليتمنستر – اسكتي . إن بوسع كل شخص ان يبصق في وجهي ، منادياً اياي بالمجرمة او المومس . ولكن لا يحق لأحدٍ ان يحكم على ندمي .

الكتر – اترى يا فيلاب : انهـــا قاعدة اللعبة . إن الناس يبتهلون اليك لكي تدينهم . ولكن حذار أن تحكم عليهم بالاخطاء التي يعترفون بهـــا فقط : ان الاخطاء الاخرى لا تعني أحداً ، وسيسوءهم ان تكتشفها

كليتمنستر – كنت منذ خمسة عشر عاماً اجمـل امرأة في اليونان . فانظر إلى وجهي واحكم كم عانيت . انني اقول لك بلا طلاء : ليس موت التيس العجوز هو ما آسف عليه ؛ فاني حين رأيته ينزف في مغطسه ، غنيّت فرحاً ورقصت . واليوم ايضاً ، بعد انقضاء خمسة عشر عاماً ، لا افكر بذلك من غير رعشة لذة . ولكن كان لي ابن – كان يكون في مثل سنّك . وحين سلّمه أجيست للجنود المرتزقة ، كنت . . .

الكتر – لقد كانت لك ايضاً بنتٌ يا أمّي ، كما يخيّل إليّ . وقـــد جعلتِ منها غسّالة صحون . ولكن هذه الخطيئة لا تُبرمك كثيراً .

كليتمنستر – انت فتيّة يا الكتر . لقد كان بوسعه ومن حظه ان يـدين من كان فتيّاً ، ومن لم يتح له بعد ان يرتكب الشرّ . ولكن صبراً : فسوف تجرّين خلفك يوماً جريمة لا سبيل الى العفو عنها . ستحسّين لدى كل خطوة انـــك

تبتعدين عنها ، ومع ذلك ، فستظل دائماً ثقيلة على الاحتمال . ستلتفتين وسترينها خلفك ، لا تدرك ، مظلمة ونقية كبلورة سوداء . بـل انك لن تفهميها بعد ، وستقولين : « لم اكن انا التي ارتكبتها ، لم اكن انا » . ومـع ذلك ، فستكون هنا ، منكورة مئة مرة ، دائمـاً هنا ، تجرك الى خلف . وستعرفين في آخر المطاف انك كرّست حياتك بضربة زهر واحدة ، مرة والى الأبد ، وانه لم يبق لك ما تفعلينه إلا ان تجرّي جريمتك حتى موتك . ذلك هو قانون الندم ، العادل والظالم . وسنرى آنذاك ما الذي ستؤول اليه كبرياؤك الفتيّة .

الكتر – كبريائي **الفتية** ؟ كفى ، انما انت آسفة على شبابك ، أكثر من اسفك على جريمتك ؛ وانت انما تحقدين على شبابي اكثر من حقدك على براءتي .

كليتمنستر – إن ما احقد عليه فيك يا الكتر ، انما هـو انا نفسي . لا شبابك – كلا – بل شبابي .

الكتر – اما انا ، فانما احقد عليك انت ، نعم انت .

كليتمنستر – يا للعار ! اننا نتبادل الشتائم كامرأتين في سن واحد تنصب منافسة غرامية احداهما تجاه الاخرى . ومع ذلك ، فأنا أمك . انني لا أعرف من تكون ، ايها الشاب، ولا ما اتيت تفعله بيننا ، ولكن حضورك مشؤوم . انني لا أجهل ان الكتر تحتقرني، ولكننا طوال خمسة عشر عاماً لزمنا الصمت ، وكانت نظراتنا وحدها تخوننا . وقد اتيتَ فتحدّثت الينا ، فاذا نحن نكشّر عن اسناننا ونهدر كأننا كلبتان . إن قوانين المدينة توجب علينا ان نقدّم لـك الضيافة، ولكني لا أخفي عنك اني أتمنى أن تذهب . اما أنت يا ابنتي ، يا صورتي ، المفرطة الأمانة ، فصحيح أنني لا أحبك . ولكني أؤثر ان اقطع يدي اليمنى على ان اؤذيك ، وانت تعرفين ذلـك ، فتستغلّين ضعفي . ولكني لا أنصحك ان تنصبي في وجه أجيست رأسك الصغير السامّ : فهو يعرف كيف يحطّم ، بضربة عصـا واحدة ، أجناب الأفاعي . افعلي مـا يأمرك به ، والا فصدّقيني انك ستندمين .

الكتر – تستطيعين ان تجيبي الملك أني لن أظهر في الاحتفال . أتعرف مـا

الذي يفعلونه يا فيلاب ؟ إن فوق المدينة كهفاً لم يعثر شبّاننا قـط على جوفه ، ويقال إنه متصل بجهنّم ، وقـد سدّه الكاهن الأكبر بصخرة ضخمة . أتصدّق ان الشعب ، في كل ذكرى سنوية ، يجتمع امام هـذا الكهف ، وأن جنوداً يدفعون الصخرة التي تسدّ مدخله جانباً ، فيخرج موتانا من جهنم ، على ما يُقال ، وينتشرون في المدينة . وتُمـدّ لهم المآدب ، وتُقدّم لهم الكراسي والسرر ، ويتكاتف الناس قليلاً ليفسحوا لهم مكاناً في السهرة ، ويركضـون في كل مكان فـلا يكون الشأن الا لهم . وانت تتصوّر نحيب الأحياء : « يا ميتي العزيز ، يا ميتي العزيز ، إنني لم أرد ان أهينك ، فاصفح عني » وغداً صباحـاً ، لدى صياح الديك ، يعودون تحت الأرض ، وتدحرج الصخرة على باب المغـارة ، وينتهي الاحتفال ، حتى العام القادم . انني لا اريد ان اشارك في هذا التمثيل ، إن هؤلاء موتاهم ، لا موتاي .

كليتمنستر ـ اذا لم تطيعي بملء ارادتك ، فقد أعطى الملك اوامره بأن تقـادي قسراً .

الكتر ـ قسراً ؟.. ها ! ها قسراً ؟ حسناً . أكّدي للملك ، يا أمي الطيبة ، انني سأطيعه . سوف أظهر في الاحتفال ، ولما كان الشعب يريد ان يراني فيه ، فلن يخيب . اما أنت يا فيلاب ، فأرجوك ان تؤجّل ذهابك ، وان تحضر عيدنا . فربما وجدت فيه فرصة للضحك ، فالى اللقاء ، اني ذاهبة لأتهيأ .

(تخرج)

كليتمنستر (لأورست) – إذهب . انني واثقة من انك ستحمل لنـا شراً . وليس من الممكن ان يكون لك علينا ثار ، فنحن لم نفعل لك شيئاً . إذهب . اني استحلفك بأمك ، اذهب .

(تخرج)

أورست – بأمي ...

(يدخل جوبيتر)

المشهد السادس

اورست ــ جوبيتر

جوبيتر ـ أعلمني خادمك انك على وشك الذهاب . وهو يبحث عبثاً عن جوادين عبر المدينة كلها. ولكنني أستطيع ان احصل لكما على فرسين مسرجين بسعر معتدل .

اورست ـ لقد عدلت عن الذهاب .

جوبيتر ـ (بهدوء) عدلت عن الذهاب ؟ (فترة . بحيوية) انني اذن لا أتركك، فأنت ضيفي . إن في أسفل المدينة نزلاً طيباً سننزله معاً . ولـــن تأسف انك اخترتني مرافقـــاً . انني اولاً – ابراكـاس ، غالا ، غالا ، تسه ، تسه – أخلصك من ذبابك . ثم إن رجلاً في سني هو أحياناً رجل نصوح : فان بوسعي ان اكون أباك ، وستروي لي قصتك ، تعالَ ايها الفتى ، ودعنـــي أقودك : ان مثل هذا اللقاء هو أحياناً أجدى مما قد يظن الناس اولا . انظر مثـــل تيليماك ، ابن الملك يوليس . لقد التقى يوماً رجلاً مسناً يُدعى مانتور ، ربط مصـــيره به وتبعه في كل مكان ، فهل تراك تعرف من كان مانتور هذا ؟

(يجره وهو يتحدث ، فيما الستار يسدل .)

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

(ساحة في الجبـل . الى اليمين ، يقوم الكهف ، ومدخله مسدود بصخرة كبيرة سوداء ، الى اليسار ، درجات سلم تؤدي الى معبد .)

المشهد الاول

الجموع ، ثم جوبيتر واورست والمربي

امرأة (تركع امام ابنها الصغير) – ربطة عنقك . هذه هي المرة الثالثـــة التي أعقدهـــا لك (تنفض بيدها) هكذا . انك نظيف . كن عاقلا وابكِ مـــع الآخرين حين تؤمر بذلك .

الصبي – أهم من هنا قادمون ؟

المرأة – نعم .

الصبي – انا خائف .

المرأة – يجب ان تخاف، يا حبيبي . ان تخاف كثيراً . فهكذا تصبح رجلا شريفاً .

رجل – سينعمون اليوم بطقس جميل .

آخر – من حسن الحظ ! يجب الاعتقاد بأنهم ما يزالون يتـأثرون بحرارة الشمس . كان المطر يهطل في العام الماضي ، وقد كانوا . . فظيعين .

الاول – فظيعون .

الثاني – واحسرتاه !

الثالث – حين يعودون الى كهفهم ويتركوننا وحدنا ، فيما بيننا ، فسأصعد هنا ، وسأنظر الى هذه الصخرة واقول لنفسي : « ذلك زاد لمدة عام »

رابع – ماذا ؟ اما انا ، فان هذا لن يعزيني . فابتداء من الغـد ، سأبدأ أقول : « كيف تراهم سيكونون في العام القادم » انهم في كل عام يزدادون خبثاً .

الثاني – اسكت ، ايها الشقي . افرض أنّ احدهم كان قـد تسلل من شق الصخرة وكان يروح ويجيء بيننا . . . ان هناك امواتاً يأتون الى الموعد في ساعة مبكرة . . .

(يتبادلون النظر في قلق)

امرأة صبية – ليت الاحتفال يبدأ فوراً على الأقل . ماذا تراهم يصنعون ، رجال القصر ؟ انهم غير مستعجلين . اما انا ، فأجد هذا الانتظار أقسى الامور وأشقها : اننا هنا ، نراوح تحت سماء من نار ؛ من غير ان نغادر بانظارنا هذه الصخرة السوداء . . . ها ! انهم هناك ؛ خلف الصخرة ؛ وهم ينتظرون مثلنا ؛ مبتهجين كل الابتهاج بفكرة الألم الذي سيحدثونه لنا .

عجوز – كفى ؛ ايتها الفاجرة ! اننا نعرف ما الذي يخيفهـا تلك . ان رجلها قد مات ؛ في الربيع الماضي ؛ وها قد مضت عشر سنوات وهي تركب له قرنين .

المرأة الصبية – نعم ؛ اعترف اني خنته ما استطعت الى ذلك سبيلا ؛ ولكنني كنت أحبه كثيراً وأجعل حياته لذيذة ؛ انـه لم يشك قط بشيء ؛ وقد مات وهو يلقي عليّ نظرة رقيقة أشبه بنظرة كلب يحسُّ بالعرفـان . انه يعرف الآن كل شيء ؛ لقـد افسدوا عليه لذتـه ؛ فهو حاقد عـلي

وهو متألم . وهو عمّا قليل سيكون لصيقي ؛ وسيقارن جسمه الدخاني بجسمي اقترانا شديداً محكماً لم يبلغه قبل ذلك حي . آه ! انني سأحمله الى بيتي ؛ ملتفاً حول عنقي ؛ كأنه فرو . لقـد هيأت له طعاماً لذيذاً ؛ وحلويات طحينية ؛ ووجبة خفيفة كالتي يحب . ولكن شيئاً لن يخفف ضغينته ؛ وهذه الليلة . . . هذه الليلة سيكون في سريري .

رجل – انها على حق . ماذا يفعل أجيست؟ بم يفكر ؟ انني لا أستطيع أن أحتمل هذا الانتظار .

آخر – هل تشكو ؟ أتحسب أن أجيست أقل خوفاً منا ؟ أتود ان تكون في محله ، وتقضي اربعاً وعشرين ساعة وجهاً لوجه مع آغا ممنون ؟

المرأة الصبية – فظيع ، فظيع هذا الانتظار . يخيل إليّ انكم جميعاً تبتعدون بهدوء عني . إن الصخرة لم تزح بعد ؛ ومع ذلك فقد أصبح كل فرد فريسة موتاه ؛ وحيداً كقطرة مطر .

(يدخل جوبيتر واورست والمربي)

جوبيتر – تعالَ من هنا ؛ فالموضع هنا أفضل .

اورست – ها هم اولاء إذن ؛ مواطنو أرغوس ؛ رعايا الملك آغا ممنون الاوفياء جداً ؟

المربي – ما أقبحهم ! انظر يا معلمي الى سحنتهم الشمعية وعيونهم الجوفاء. ان هؤلاء الأشخاص يكادون يموتون خوفاً . هوذا تأثير الوسواس . انظر اليهم ، وان كنت ما تزال بحاجة الى دليل على كمال فلسفتي ، فتأمّل بعد ذلك وجهي المزهر .

جوبيتر – يا للوجه المزهر ! ان بعض المنثور على خديـك ، يا صاحبي ، لا يمنعك من ان تكون ، في عيني جوبيتر ، زبلاً كجميع هؤلاء . كفى ، انك نتان ، ولا تـدري ذلك . اما هم ، فأنوفهم ملآى بروائحهم الخاصـة ، وهم يعرفون أنفسهم خيراً منك .

(الجموع تهدر)

رجل – (يصعد درجات المعبد ، ويتوجه الى الجمهور) – ايريدون ان يجعلونا مجانين ؟ لنوحّد اصواتنا ايها الرفاق ولنناد أجيست : اننا لا نستطيع ان نحتمل ان يؤجل الاحتفال اكثر من ذلك .

الجموع – أجيست ! أجيست ! رحماك !

امرأة – آه نعم ! رحماك ! رحماك ! ألا يشفق علي أحد إذن؟ انه آتٍ برقبته المفتوحة ، الرجل الذي حقدت عليه طويلا ، وهو سيضمني بذراعيه الدبقتين اللامرئيتين ، وسيكون عشيقي طوال الليل ، طوال الليل . ها !

(يغمى عليها)

اورست – اي جنون هذا ! يجب ان يقال لهؤلاء الناس ...

جوبيتر – ماذا ، ايها الشاب ، أيكون هذا الضجيج كله بسبب امرأة تفقد وعيها ؟ انك سترى أخريات .

رجل – (يرتمي راكعاً) – انني نتن ، انني نتن ، انا جيفة قذرة . انظروا : ان الذباب علي كأنه الغربان ! انقر واحفر ايها الذباب المنتقم ، وعثْ في لحمي حتى قلبي القذر . لقد أثمت ، أثمت مئة ألف مرة ، وانا بالوعة ، مرحاض ...

جوبيتر – يا للرجل الشجاع !

رجال – (يرفعونه) – كفى ، كفى . انك ستروي ذلك فيما بعد ، حين يصبحون هنا .

(يظل الرجل مخبولا ، وهو يصفر وهو يدير عينيه)

الجموع – أجيست ! أجيست ! رحماك ! مر ان يبدأ الاحتفال . اننا لا نطيق بعدُ صبراً .

(يظهر أجيست على درجات المعبد ، وخلفه كليتمنستر والكاهن الأكبر . وبعض الحرس) .

المشهد الثاني

الأشخاص انفسهم – أجيست – كليتمنستر – الكاهن الاكبر – الحرس

أجيست – ايها الكلاب ! أتجرؤون على الشكوى ؟ هل فقدتم ذكرى حقارتكم ؟ أقسم بجوبيتر اني سأرطّب ذكرياتكم (يلتفت الى كليتمنستر) يجب ان نعزم على ان نبدأ بدونها . ولكن لتحذرْ . إن عقابي سيكون نموذجياً .

كليتمنستر – لقد وعدتني ان تطيع . انها تتهيأ ، وانا واثقة من ذلك ، ولا بدّ انها تأخّرت امام مرآتها .

أجيست (للحرس) اذهبوا فاطلبوا الكتر من القصر وجيئوا بها رضى او قسراً (يخرج الحرس . للجموع) كلّ في مكانه . الرجال إلى يميني . وإلى يساري النساء والاولاد . حسناً .

(صمت . أجيست ينتظر) .

الكاهن الأكبر – إن هؤلاء الأشخاص لا يطيقون بعد صبراً .

أجيست – أعرف . إذا كان حرسي ...

(يعود الحرس)

حارس – بحثنا يا مولاي عن الاميرة في كل مكان . ولكن القصر مقفر .

أجيست – حسناً . سنصفّي غداً هذا الحساب (للكاهن الأكبر) ابدأ .

الكاهن الأكبر – أزيحوا الصخرة .

الجموع – ها !

(ينزع الحرس الصخرة . يقترب الكاهن الأكبر حتى مدخل الكهف) .

الكاهن الأكبر – انتم ، المنسيين ، المهجورين ، المنقضي الاوهام والاحلام ، أنتم المتمدّدين أرضاً ، في الظلام ، كأنكم الأبخرة ، ولا تملكون بعدُ إلاّ حزنكم العظيم ، انتم الموتى ، وقوفاً ، فهذا عيدكم ! تعالوا ، اصعدوا من الارض كبخار هائل من الكبريت تطرده الريح ؛ اصعدوا من احشاء العالم ، ايهـــا الموتى مئة مرة موتى ، انتم الذين تميتكم من جديد كل خفقة من قلوبنا ، انما ادعوكم بالغضب والمرارة وروح الانتقام ، تعالوا اروروا حقدكم على الأحياء ! تعالوا فانتشروا في ضباب كثيف عبر شوارعنا ، ولتنسلّ قوافلكم المزدحمة بين الام والطفل ، بين العاشق وعشيقته ، واجعلونا نتحسّر أننا لسنا امواتاً . وقوفاً ، ايتها الأشباح ، ايها الدود ، ايتها الأطياف ، ايتها المسوخ ، يا رعب ليالينا . وقوفاً ايهـا الجنود الذين ماتوا وهم يجدفون ، وقوفاً يا سيئي الحظ ، ايها المذلّون ، وقوفاً يا موتى الجوع الذين كانت صرخة نزاعهم لعنة . انظروا ، ها هم الاحياء هنا ، الفرائس السمينة الحيّة ! وقوفاً وانقضّوا عليهم في دوّامة ، وانخروهم حـــتى العظم ! وقوفاً! وقوفاً ! وقوفاً ! ...

(قرع طبل . يرقص امام مدخل الكهف ، متمهلا اولاً ، ثم يزداد سرعة حتى يسقط مرهقاً)

أجيست – انهم هنا .

الجموع – يا للفظاعة !

اورست– هذا أشدّ من ان يُحتمل ، وانا ذاهب ...

جوبيتر – انظر إليّ ، ايها الفتى ، انظر إليّ وجهاً لوجه ، هنا . لقد فهمتَ فاصمت الآن .

اورست – من انت ؟

جوبيتر – ستعرف ذلك فيما بعد .

(يهبط أجيست على مهل درجات القصر)

أجيست – انهم هنا (صمت) إنه هنا ، أريسى ، الزوج الذي هزّأته . إنه

هنا ، يلاصقك ، يعانقك . كم هو يشدّك اليه ، كم يحبّك ، كم يكرهك ! وانها هنا ، ايبياس ، إنها هنا ، امّك التي ماتت نتيجة الإهمال . وانت يا سيجيست ، ايها المرابي الكريه ، انهم هنا جميع مدينيك المساكين ، اولئك الذين ماتوا في البؤس ، واولئك الذين شنقوا أنفسهم لأنك كنت تدفعهم إلى الافلاس . انهم هنا ، وهم اليوم دائنوك . اما انتم ايها الاقارب ، الاقارب الأرقاء ، فاخفضوا قليلا عيونكم ، انظروا إلى اسفل ، نحو الأرض : انهم هنا ، الاطفال الميتون ، وهم يمدّون أيديهم الصغيرة ؛ وإن جميع البهجات التي منعتموها عنهم ، وجميع الآلام التي كبّدتموها إياهم ، تثقل كالرصاص على نفوسهم الصغيرة الحاقدة الحزينة .

الجموع – الرحمة !

أجيست – آه ، نعم ، الرحمة ! الا تعرفون ان الموتى لا رحمة لديهم ؟ إن مآخذهم لا تمحى ، لأن حسابهم قـد توقّف إلى الابد . ابا لأعمال الطيبة تنوي يا ايبياس ان تمحو الألم الذي سببّته لأمك ؟ ولكن اي عمـل طيّب يمكن ان يبلغك يوماً ؟ إن روحه ظهرٌ محرق ، لا ترطّبه نسمة ريح ، ولا يتحرك فيه شيء ، ولا يتغيّر ، ولا يعيش فيه شيء . ان شمساً كبيرة هزيلة ، شمساً جامدة تنهكه إلى الأبد . إن الموتى غير موجودين بعدُ – هل تفهمون هذه الكلمة التي لا سبيل إلى تخفيفها – انهم غير موجودين بعد، ومن أجل هذا جعلوا من انفسهم حرّاساً لجرائمكم غير قابلين للفساد .

الجموع – الرحمة !

أجيست – الرحمة ! آه ، ايهـا الممثلون الاردياء ، إن لكم اليوم مشاهدين . فهل تحسّون على وجوهكم وعلى ايديكم ثقل نظرات هذه الملايين من العيون المحدّقة التي لا يُرعشها أمل ؟ إنهم يروننا ، يروننا ، ونحن عُراةٌ امام مجمع الأموات . ها ! ها ! ها أنتم أولاء اليوم شديدو الارتباك ؛ انه يحرقك ، هـذا النظر اللامرئيّ الصافي ، الذي هو اشدّ صفاءً من ذكرى نظر .

الجموع – الرحمة !

الرجال – اغفروا لنا أننا أحياء بينما انتم أموات .

النساء – الرحمة ! اننا محاطات بوجوهكم وبالاشياء التي كانت ملككم ، ونحن نرتدي عليكم ثوب الحداد الى الأبـد ، ونبكي من الفجر حتى الليل ، ومن الليل حتى الفجر . لقد حاولنا كثيراً ، ولكن عبثاً ، فان ذكراكم تتمزّق وتنساب بين أصابعنا؛ وهي كل يوم تزداد امتقاعاً، فنصبح اكثر اجراماً. انكم تتركوننا، انكم تتركوننا ، وانتم تتدفقون منا كالنزيف . ومـــع ذلك ، فاعلموا يا موتانا الاعزّاء ، ان كان ذلك يهدىء نفوسكم المغتاظة ، انكم أفسدتم علينا الحياة .

الرجال – اغفروا لنا أننا احياء بينما انتم اموات .

الاطفال – الرحمة ! اننا لم نتقصّد ان نولد ، ويخجلنا كثيراً أن نكـــبر وننمو . فكيف كان بامكاننا ان نذّلكم ؟ انظروا ، اننـــا نكاد لا نعيش ، فنحن هزيلون ، مصفّرون ، قصار ؛ اننا لا نحدث ضجّة ، ونحن ننساب حتى من غير ان نهزّ الهواء الذي يحيط بنا . ونحن نخشاكم ، اوه ، نخافكم خوفاً شديـــداً .

الرجال – اغفروا لنا أننا احياء بينما انتم اموات .

أجيست – السلام ! السلام ! إذا كنتم انتم تنتحبون على هذا النحو ، فماذا أقول انا ، ملككم ؟ ذلك أن عذابي قد بدأ : إن الأرض تهتزّ والهواء قد أظلم ، إن اكبر الموتى سيظهر ، ذلك الذي قتلته بيدي ، آغا ممنون .

اورست – (شاهراً سيفه) – ايها الفاجر ! انني لا أسمح لـك بان تمزج اسم ابي في خزعبلاتك !

جوبيتر – (قابضاً عليه من وسطه) – قف ، ايها الشاب ، قف !

أجيست (ملتفتاً) – من يجرؤ ؟ (تظهر الكتر بثوب أبيض على درجات المعبد . يلمحها أجيست) الكتر !

الجموع – الكتر !

المشهد الثـــالث

الاشخاص أنفسهم – الكتر

اجيست – الكتر ، أجيبي ، ما معنى هذا اللباس ؟

الكتر – لقد ارتديت اجمل اثوابي . أليس هذا يوم عيد ؟

الكاهن الاكبر – أجئت تهنئين الأموات ؟ إن هذا عيدهم ، كما تعلمين جيداً ، وكان ينبغي لك ان تظهري بثياب الحداد .

الكتر – ثياب الحداد ؟ لماذا الحداد ، انني لا أخـاف من امواتي ، وليس لي شأن بأمواتكم !

اجيست – انت على حق ؛ إن امواتك ليسوا امواتنا . انظروا اليهـا ، في ثوبها ، ثوب البغيّ ، حفيدة « اتري » ، « اتري » الذي ذبح احفاده بجبن . من تكونين اذا لم تكوني آخر طرح من جنس ملعون ؟ لقد قبلتك في قصري بدافع الشفقة ، ولكني اعترف اليوم بخطئي ، لأن دم آل الأتريد القـــديم الفاسد هو الذي ما زال يجري في عروقك ، وسوف تُعدينا جميعاً اذا لم اضع لذلك نظاماً سليماً . اصبري قليـلاً ، ايتها الكلبة ، وسترين اذا كنت أحسن العقاب . إن عينيك وحدهما لن تكفياك للبكاء .

الجموع – يا للمدنّسة !

اجيست – أتسمعين ايتها الشقية هدير هـذا الشعب الذي أهنته ، أتسمعين

الاسم الذي يطلقونه عليك ؟ لو لم اكن موجوداً لأقيك غضبه لمزّقك شر ممزّق.

الجموع – يا للمدنّسة !

الكتر – أمن التدنيس ان اكون جذلة ؟ لمـــاذا لا يكونون هم جذلين ؟ من الذي يمنعهم من ذلك ؟

أجيست – إنها تضحك وأبوها الميت هنا ، وعلى وجهه دم متخثّر . .

الكتر – كيف تجرؤ على ان تتحدث عن آغا ممنون ؟ الا تعرف انه يأتي ليلاً ليحدثني في أذني ؟ أتعرف كلمات الحب والحسرة تلك التي يهمسها لي صوتـــه المحطم الأبحّ ؟ صحيح انـــني أضحك للمرة الاولى في حياتي ، انني أضحك ، فانا سعيدة . أتراك تزعم ان سعادتي لا تبهج قلب أبي ؟ آه ، لو كان هنـــا ، لو رأى ابنته بالثوب الأبيض، ابنته التي دفعت بهــــا الى صف العبدة الكريه ، لو رآها ترفع جبينها عالياً ورأى أن الشقاء لم يحطم كبرياءها، فانا واثقة من انه لن يفكر في ان يلعنني ؛ ان عينيه تلتمعان في وجهه المعذّب ، وشفتاه الداميتان تحاولان الابتسام .

المرأة الصبيّة – أتراها لا تقول الحقيقة ؟

أصوات – ولكن لا ، إنها تكذب ، انها مجنونة . رحماك يا الكتر ، اذهبي قبل ان يرتدّ علينا كفرك .

الكتر – مم تراكم تخافون ؟ انني انظر حولكم فلا أرى الا أشباحكم. ولكن اسمعوا هذا الذي عرفتُ الساعة ولعلكم لا تعرفونه : ان في اليونان مدناً سعيدة، مدناً بيضاء هادئة تتدفّأ في الشمس كالحراذين . ففي هـــذه الساعة نفسها وتحت هذه السماء ذاتها ، هناك اطفال يلعبون في ساحات كورنتيا . ولا تطلب أمهاتهم الصفح . أنّهن قد وضعنهم . انهنّ ينظرن اليهم باسمات ، وهنّ فخورات بهم . يا نساء ارغوس ، هل تفهمن ؟ أبوسعكن بعـــدُ أن تفهمن فخر امرأةٍ تنظر الى طفلها وتفكـّر : « انا التي حملته في أحشائي » ؟

أجيست – أتراك ستسكتين أخيراً او أعيد الكلام الى حلقك ؟

أصوات (في الجموع) – نعم ، نعم ! لتصمت . كفى ، كفى !

اصوات اخرى – لا ، دعوها تتكلّم ! ان آغا ممنون هو الذي يلهمها .

الكتر – الطقس جميل . وفي كل مكان ، في السهل ، رجال يرفعون رؤوسهم ويقولون . « الطقس جميل » وهم مسرورون . يا جلادي نفوسكم ، هـــل نسيتم ذلك الرضى المتواضع للفلاح الذي يمشي على ارضه ويقول : « الطقس جميل » ؟ ها انتم اولاء بأذرعكم المتدلية ، ورؤوسكم المنخفضة ، وانفاسكم المكبوتة . ان امواتكم يلتصقون بكم ، وانـــتم تظلـــون مسمرين ، خشية ان تدفعوهم عند ادنى حركة . سيكون فظيعاً ، أليس كذلك ، ان تخترق ايديكم فجأة بخاراً متدبقاً ، هو روح أبيكم او جـــدكم ؟ ولكن انظروا الي : انني أبسط ذراعي ، وأوسع صدري ، وأتمطى كرجل يستيقظ ، وأحتل مكاني تحت الشمس ، مكاني كله . فهل تسقط السماء على رأسي ؟ انني ارقص ، انظروا ، انني أرقص . ولا أحسّ شيئاً الا نفح الريح في شعري . اين هم الاموات ؟ أتظنّون أنهم يرقصون معي بإيقاع ؟

الكاهن الاكبر – يا سكان أرغوس ، اقول لـــكم إن هذه المرأة مدنسة ، اللعنة عليها وعلى الذين يصغون منكم اليها .

الكتر يا امواتي الاعزاء ، افيجيني ، يا اختي الكبرى ، آغا ممنون يا ابي ويا مليكي الوحيد ، اسمعوا صلاتي . لئن كنت مدنّسة ، ولئن أهنت ارواحـــكم المعذّبة ، فارسموا اشارة ، ارسموا لي اشارة على عجل ، لأعرف ذلك . اما اذا كنتم تقرّونني يا أحبّائي ، فأصمتوا ، ارجوكم ، ولا تتحرّك ورقة ، ولا عـــرق عشب ، ولا تأت اية ضجة تعكر رقصتي المقدسة : ذلك انني ارقص للفـــرح ، ارقص لسلام البشر ، ارقص للسعادة وللحياة . ايها الموتى ، انني أطلب صمتكم ليعرف الناس الذين يحيطون بي أن قلوبكم معي .

(ترقص)

صوت (في الجموع) – انها ترقص ؟ انظروا اليها ، خفيقة كأنهـــا الشعلة ، انها ترقص في الشمس ، كأنها قماش عَلَمَ ملوّح – والموتى يصمتون !

المرأة الصبية – انظروا إلى هيئتها النشوى – ، فليس هـــذا وجه كافرة .

ولكن ، يا أجيست ، يا أجيست ! انك لا تقول شيئاً – لماذا لا تجيب ؟

أجيست – هل نتناقش مع حيوانات نتنة ؟ اننا نقضي عليها ! لقد اخطأت في انني وفرتها في الماضي ؛ ولكن هذا خطأ يُصلَح : لا تخافوا ، فانا سأسحقها في الارض ، وسيتلاشى جنسها معها .

الجموع – أن تهدد ليس أن تجيب يا أجيست ! أليس لديـــك شيء آخر تقوله لنا ؟

المرأة الصبية – انها ترقص ، انها تبتسم ، انها سعيدة ، والموتى يبـــدون وكأنهم يحمونها . آه ! يا الكتر المحسودة ! انظري ، فأنا ايضاً افتح ذراعي ، واكشف صدري للشمس !

اصوات (في الجموع) – إن الموتى يصمتون : لقد كذبت علينا يا أجيست

اورست – يا الكتر الحبيبة !

جوبيتر – انني سأخرس هذه الطائشة (يمد ذراعه) بوزيدون كاريبـــو كاريبون لولاباي .

(تتدحرج الصخرة الضخمة التي كانت تسد مدخل الكهف على درجات المعبد في صخب . تكف الكتر عن الرقص) .

الجموع – يا للفظاعة !

(صمت طويل)

الكاهن الاكبر – ايها الشعب الجبان البالـــغ الطيش : إن الموتى ينتقمون ! انظروا الى الذباب ينقضّ علينا في دوامات كثيفة ! لقـــد سمعتم صوتاً مدنّساً وقد حلت علينا اللعنة !

الجموع – اننا لم نفعل شيئاً ، وليست هذه غلطتنا : لقد جاءت ، فسحرتنا بكلماتها المسمومة ! الى النهر ، ايتها الساحرة الى النهر ! الى المحرقة !

امرأة عجوز (مشيرة الى المرأة الصبية) – وتلك التي كانت تشرب كلماتهـــا كأنها العسل ،انتزعوا منها ثيابها ، واتركوها عارية وسوطوها حتى يسيل دمها.

(يقبضون على المرأة الصبية ، ويرقى بعض الرجال درجات السلم وينقضون على الكتر .)

أجيست (وقد انتصب) – سكوتاً ، ايها الكلاب ! عودوا الى امكنتكم في نظام ، واتركوا لي امر العقاب (صمت) واذن؟ لقد رأيت ما يكلف عصياني ؟ اراكم الآن تشككون في قائدكم ؟ عودوا الى بيوتكم ، فالموتى يرافقونكم ، وسيكونون ضيوفكم طوال الليل والنهار . أفسحوا لهم مكاناً على موائدكم وفي بيوتكم ، وفي مخادعكم ، وحاولوا ان ينسيهم مسلككم المثالي هـــذا كله . اما انا ، فبالرغم من ان شكوككم قد جرحتني ، فاني أصفح عنكم . واما انت يا الكتر ...

الكتر – ماذا ؟ لقـــد أخفقت في محاولتي ، وفي المرة القادمة سأكون اكثر توفيقاً .

أجيست – لن أمنحك فرصة ذلـــك . ان قوانين المدينة تمنعني من ان اعاقب في يوم العيد هذا . وقد كنت تعرفين ذلك ، فاستغللته . ولكنـــك لست بعدُ عضواً في المدينة ، وانا اطردك. ستذهبين عارية القدمين وبلا متاع ، وعلى جسمك هذا الثوب المرذول . واذا ظللت بين جدراننا حتى فجر الغـــد ، فسأعطي الامر لأي انسان يلتقيك ان يقتلك كنعجة جرباء .

(يخرج ، وفي أثره الحرس . تمر الجموع امام الكتر وهي تهددها بقبضتها .)

جوبيتر (لاورست) – وماذا بعدُ ، يا معلمي ؟ هل أخذت عبرة ؟ هـــي ذي حكاية ذات مغزى ، او لعلني مخطىء : فقـــد عوقب الأشرار ، وكوفىء الأخيار . (مشيراً الى الكتـــر) هذه المرأة ...

اورست – هذه المرأة هي اختي ، ايها الرجل ! اذهب ، فانا اريد ان أحدثها .

جوبيتر – (ينظر اليه ثم يهز كتفيه) – كما تريد .

(يخرج ، وفي أثره المربي .)

المشهد الرابـــع

الكتر (على درجات المعبد) — **اورست**

اورست — الكتر !

الكتر (ترفع رأسها وتنظر اليه) — آه ! هأنت ذا يا فيلاب ؟

اورست — لا يمكنكِ ان تبقيْ في هذه المدينة يا الكتر . فأنت في خطر .

الكتر — في خطر ؟ آه ! هذا صحيح. لقد رأيت كيف أخفقتُ في محاولتي. ان بعض التبعة في ذلك يلقى عليك . ولكني لست عاتبة .

اورست — ولكن ماذا فعلت ؟

الكتر — لقد خدعتني (تهبط نحوه) دعني ارى وجهك . أجـل ، لقد تعلقت بعينيك .

اورست — ان الوقت ضيق يا الكتر. اسمعي : اننا سنهرب معاً . ان هناك من سيجلب لي فرسين . وسأردفك على فرسي .

الكتر — لا .

اورست — الا تريدين ان تهربي معي ؟

الكتر — لا اريد ان أهرب .

اورست — سآخذك الى كورنثيا .

الكتر (ضاحكة) — ها ! كورنثيا ... أترى ، انك لا تقصد الى ذلـــك ، ولكنك تخدعني مرة اخرى . ما عساي ان افعل انا، في كورنثيا ؟ يجب ان اكون عاقلة . فحتى الأمس ، كانت مـــا تزال لدي رغبات متواضعة : فحين كنت أخدم على المائـــدة ، مسدلة الأجفان ، كنت انظر خفيةً الى الزوجين الملكيين ، الجميلة العجوز ذات الوجه الميت، وهو، السمين المتقع ، بفمه المرتخي وتلك اللحية السوداء التي تركض من اذن الى اذن كفرقةٍ من العناكب، وكنت أحلم بان أرى يوماً غيمة بخار، غيمةً صغيرة مستقيمة، أشبه بنَفَسٍ في صباح بارد ، تصعد من بطنيهما المفتوحين . هذا كل ما كنت اطلبه ، يا فيلاب ، وأقسم لـك على ذلك . وانا لا ادري مـا الذي تريده أنت ، ولكن لا ينبغي ان أصدقك : فليست الك عينان متواضعتان . أتعلم مـا كنت أفكر به ، قبل ان أعرفك ؟ ان العاقـل لا يستطيع ان يتمنى شيئاً على الارض ، الا ان يردّ يوماً الشر الذي لحق به .

اورست — الكتر ، اذا تبعتِني ، فسترين ان باستطاعة المرء ان يتمنى اشياء كثيرة اخرى ، دون ان يكفّ عن ان يكون عاقلاً .

الكتر — لا أستطيع بعدُ أن أصغي اليك ؛ فقد سببت لي كثيراً من الشر . لقد جئت بعينيك الجائعتين في وجهك الانثوي الرقيق، فجعلتني أنسى حقدي؛ وقد فتحتُ يـدي وتركت كنزي الوحيد يسقط على قدمي . لقد اردت ان أعتقد ان بامكاني ان أشفي سكان هـــذه المدينة بالكلمات . وقد رأيتَ ماذا حدث : انهم يحبون مصيبتهم ، وهم بحاجة الى جرح مألوف يغذونه بعناية بأن يحكّوه بأظافرهم القذرة . وانما ينبغي ان يُشفوا بالعنف ، لأنه ليس بالامكان قهر الشر الا بشر آخر . وداعاً يا فيلاب ، اذهب ودعني لأحلامي الرديئة .

اورست — ولكنهم سيقتلونك .

الكتر — يوجد هناك معبـــد ، هو معبد ابولون ؛ والمجرمون يلجأون اليه احياناً ، ولا يستطيع أحدٌ أن يمس شعرة من رأسهم مـا داموا فيه . وسوف اختبيء فيه .

اورست — لماذا ترفضين مساعدتي ؟

الكتر – ليس لك انت ان تساعدني . فان ثمة شخصاً آخر سيأتي لتخليصي (فترة) إن أخي لم يمت ، وانا إعرف ذلك . وأني بانتظاره .

اورست – واذا لم يأت ؟

الكتر – سوف يأتي ، ولا يمكن ألا يأتي . إنه لو تعلم من طينتنا ؛ فالجريمة والشقاء في دمه ، مثلي أنا . إنه جندي طويل ، وله عينا أبينا الكبيرتان الحمراوان والغضب دائماً يغلي فيهما . انه يتألم ، وهو قد تعثّر بقدره كما تتعثر اقدام الافراس المبقورة بأحشائها ؛ واية حركة يقوم بها الآن تقوده الى ان ينتزع أحشاءه . انه سوف يأتي ، وانا واثقة من ان هذه المدينة تجذبه ، لأنه انما يستطيع هنا ان يُحدث اكبر قدر من الشرّ ، وان يحدث لنفسه اكبر قدر من الشر . سوف يأتي ، منخفض الجبين ، متألماً ، مُكدفاً . إنه يخيفني : فانا اراه كل ليلة في المنام ، فأستيقظ وانا أئنّ . ولكني أنتظره وأحبّه . ويجب ان أبقى هنا لأوجّه غضبه – فأنا حكيمة عاقلة – ولأريه بالاصبع المذنبين ولأقول له : « اضرب يا اورست ، اضرب : ها هم اولاء » !

اورست – واذا لم يكن كما تتصورين ؟

الكتر – وكيف تريده ان يكون ، ابن آغا ممنون وكليتمنستر ؟

اورست – واذا كان قد تعب من هذا الدم كلّه ، وشبّ في مدينة سعيدة ؟

الكتر – سأبصق اذ ذاك في وجهه وسأقول له : « إذهب ، ايها الكلب ، إذهب الى النساء ، لأنك لست شيئاً آخر إلاّ امرأة . ولكن حسابك خاطىء : فأنت حفيد « اتري » ولن تُفلت من مصير آل إتريد . لقد فضلت العار على الجريمة ، فانت حرّ . ولكن القدر سيأتي ليبحث عنك في سريرك : وسوف تحسّ العار اولاً ، ثم ترتكب الجريمة ، بالرغم منك » !

اورست – انا اورست ، يا ألكتر .

الكتر (في صرخة) – انت تكذب !

اورست – أقسم لك بروح أبي آغاممنون : انا اورست . (صمت) وإذن ؟ ماذا تنتظرين لتبصقي في وجهي ؟

الكتر – كيف أستطيع ذلك ؟ (تنظر اليه) إن هذا الجبين الجميل هو جبين

أخي ، وهاتان العينان اللتان تلمعان هما عينا أخي . اورست ... آه ! كنت أفضّل لو ظللت فيلاب ولو أن أخي قد مات . (بخجل) أصحيح انك عشت في كورنثيا ؟

اورست – لا . وانما رباني بعض بورجوازيي أثينا .

الكتر – كم تبدو فتياً ! اتراك قد تبارزت يوماً مع أحد ؟ وهذا السيف الذي تحمله الى جنبك ، هل استعملته يوماً ؟

اورست – أبداً .

الكتر – كنت أحسّني أقل توحّداً حين لم اكن أعرفك بعد : كنت أنتظر الآخر . لم اكن افكر الا بقوته ، لا بضعفي قط . وهأنت ذا الآن ؛ كنت انت اورست . وانا أنظر اليك فأرى اننا يتيمان (فترة) ولكني أحبك لو تعلم ، اكثر مما كنت سأحبه ، هو .

اورست – تعاليْ ، ان كنت تحبينني ؛ لنهرب معاً .

الكتر – أهرب؟ معك؟ لا . إن قدَر الأتريديين يُقرّر هنا ، وأنا أتريدية . اني لا أطلب منك شيئاً . انني لا أريد ان اطلب شيئاً من فيلاب . ولكني باقية هنا .

(يبدو جوبيتر في داخل المسرح ، ويختبىء ليستمع اليهما)

اورست – انني ، يا الكتر ، اورست ... اخوك . انا ايضاً أتريدي ، ومكانك هو الى جانبي .

الكتر – لا ، انت لست اخي ، وانا لا أعرفك . لقد مات اورست ، وهذا من حسن حظه ؛ وسوف أكرّم روحه بعد الآن مع روح ابي وأختي . ولكن انت ، انت الذي تأتي مطالباً باسم الاتريديين ، من انت لتحسب نفسك منا ؟ هل قضيت حياتك في ظل جريمة قتل ؟ كان لا بد لك ان تكون طفلاً هادئاً ذا هيئة رقيقة عاقلة ، بكبرياء ابيك الذي تبنّاك ، طفلاً نظيفاً ، ذا عينين ساطعتين بالثقة . كانت لك ثقة بالأشخاص لأنهم كانوا يوجهون لك بسمات عريضة في الطاولات والأسرّة ودرجات السلم ، لأنهم خدمٌ أمناء للانسان ؛ وفي

الحياة ، لأنك كنت غنياً ، وكانت لك ألعاب كثيرة ؛ وكنت لا بد تفكر احياناً بان العالم ليس سيئاً الى ذلك الحد ، وأنها كانت متعةً ان يستسلم المرء فيه ، كما يستسلم لماء مغطس دافىء ، وهو يتنهّد لذةً . اما أنا ، فقـــد كنت في السادسة من عمري خادمة ، وكنت أحذر كل شيء . (فترة) اذهب ، ايتها الروح الجميلة ، فلست ادري ما أصنع بالارواح الجميلة : وانما كنت اريد شريكاً لي في الجرم .

اورست – أتظنين اني سأتركك وحيدة ؟ فما عساك تفعلين هنا ، وقـــد فقدت حتى آخر أمل لك ؟

الكتر – إن هذا شأني . وداعاً يا فيلاب .

اورست – أتطردينني ؟ (يخطو بضع خطوات ويتوقف) ذلـــك الفارس الحانق الذي كنت تنتظرين ، أهي غلطتي أني لا أشبهه ؟ كنت ستأخذينه من يـــده وكنت ستقولين له : « اضرب » ! أما انا ، فـــلم تطلبي مني شيئاً . فمن اكون يا إلهي ، حتى تدفعني أختي بالذات ، حتى من غير ان تجرّبني ؟

الكتر – آه ! يا فيلاب ، انني لن أستطيع أبداً ان أحمّل قلبك الخـــالي من الحقد مثل هذا العبء .

اورست (متحطماً) – صدقٌ مـــا قلته : الخالي من الحقد . والخالي من الحب كذلك . كان بوسعي ان أحبك ، انت . **كان بوسعي** ... ولكن ماذا ؟ ان على المرء لكي يحب ولكي يكره ان يهب نفسه . إنه جميل ، ذلـــك الانسان ذو الدم الغني ، المزروع باحكام وسط ثرواته ، الذي يهب نفسه ذات يوم للحب وللحقد ، والذي يهب مع نفسه أرضه وبيته وذكرياته . من أكون ، وماذا لدي لأعطيه ، أنا ؟ انني أكاد لا أوجد : فليس بين الاشباح الذين يملأون اليوم المدينة ، من هو اكثر مني شبحية . لقد عرفت ألواناً من الغرام الشبحي ، الواناً مترددة ومنقطة كالأبخرة ، ولكني أجهل أهواء الأحياء المهووسة الكثيفة . (فترة) يا للعار ! لقد عدتُ الى مسقط رأسي ، ورفضت أختي ان تعترف بي . فـأين تراني سأذهب الآن ؟ اية مدينة ينبغي ان انزل ؟

الكتر – أليس ثمة مدينة تنتظرك فيها فتاة جميلة الوجه ؟

اورست – ليس ثمة أحد ينتظرني . انني انتقل من مدينة الى مدينة ، غريباً عن الآخرين وعن نفسي ، والمدن تنغلق خلفي كماء هادىء . فـــاذا تركت أرغوس ، فما الذي سيبقى من عبوري الا خيبة قلبك المريرة ؟

الكتر – لقد حدثتني عن مدن سعيدة ...

اورست – انني أهتم كثيراً بالسعادة . انني اريـــد ذكرياتي وارضي ومكاني وسط سكان أرغوس (صمت) اسمعي يا الكتر : انني لن اغادر هذا المكان .

الكتر – فيلاب ، أبتهل اليك ان تذهب : انـــني مشفقة عليك ، اذهب ان كنتُ عزيزة لديك ؛ فلا يمكن ان يلحق بـــك الا الأذى ، وان براءتك ستودي بمشاريعي الى الاخفاق .

اورست – انني لن أذهب .

الكتر – وتظن أنـــني سأتركك هنا ، في طهرك الغريب ، قاضياً صامتاً وخفياً لتتحكم على أعمالي ؟ لماذا تعاند ؟ ليس ثمة هنا من يريدك .

اورست – ان هـــذا حظي الوحيد . ولا تستطيعين يا الكتر ان ترفضيه . افهميني : انني اريد ان اكون رجلاً منتمياً الى مكان ، رجلاً بين البشر . اسمعي : فان العبد حين يمر ، متعباً مقطباً ، حاملاً عبئاً ثقيلاً ، جارّاً ساقـــه وناظراً الى قدميه ، الى قدميه وحدهما ، ليتفادى من السقوط ، فإنه في مدينته ، كورقـــة على غصن ، وكشجرة في الغاب ؛ ان أرغوس حوله ، وازنةٌ وحارّةٌ كل الحرارة ، ممتلئة بنفسها ؛ انني اريد ان اكون هذا العبد ، يا الكتر ، اريد ان أشد المدينة حولي وأتسربل بها كالغطاء . انني لن أذهب .

الكتر – حتى ولو بقيت مئة سنة بيننا ، فلن تكون الا غريباً ، اشد توحداً مما لو كنت على طريق كبيرة . سوف يحدجك الناس بعينين نصف مغمضتين ، وسيخفضون أصواتهم حين تمر بالقرب منهم .

اورست – أيكون صعباً الى هـــذا الحد ان يكون المرء في خدمتك ؟ ان ذراعي تستطيع ان تدافع عن المدينة ، وانا أملك ذهباً لأعالج بؤساءكم .

الكتر – نحن لا يعوزنا النقباء ، ولا الاتقياء لفعل الخير .

اورست — واذن . . .

(يخطو بضع خطوات ، خافض الرأس . يظهر جوبيتر وينظر اليه وهو يفرك يديه)

اورست (رافعاً رأسه) — ليتني على الأقل اتبين مـــا أرى ! آه يا زوس ، زوس يا ملك السماء ، نادراً ما ألتفت اليك ، وانت لم تكن يومـاً عطوفاً علي ، ولكنك شاهدٌ على اني لم ارد قط الا «الخير» . اما الآن ، فأنا متعب ، ولست أميّز « الخير » من « الشر » ، وأنا بحاجة الى ان يرسم دربي . أينبغي حقـاً يا زوس ان يستسلم ابن ملك ، مطرود من مسقط رأسه ، للنفي ، وان يُخلي المـــكان خافض الرأس ، كأنه كلب ؟ اتكون هـــذه ارادتك ؟ انني لا أستطيـع ان أصدق ذلك . ومع ذلك .. مع ذلك ، منعتَ اراقة الدم ... آه ! من يتحدث عن اراقة الدم ، انني لا ادري بعدُ ما أقول ... يا زوس ، اني ابتهل اليك : اذا كان الخضوع والخنوع الكريه هما القانونين اللذين تفرضهما علي ، فعبّر لي عن ارادتك بعلامةٍ ما لأني بتُّ لا اتبيّن شيئاً البتة .

جوبيتر (محدثاً نفسه) طبعاً ! طبعاً : تحت أمرك ! ابراكساس ، ابراكساس تسي — تسي !

(ينشر النور حول الصخرة)

الكتر (تأخذ في الضحك) — ها ! ها ! السماء تمطر اليوم معجزات ! انظر ، يا فيلاب الورع ، انظر ما الذي يربحه المرء من استشارة الآلهة ! (تأخذها ضحكة مجنونة) يا للشاب الطيّب ... فيلاب الورع : « أظهر لي علامـــة ، يا زوس ، أظهر لي علامة ! » وها هو النور ينتشر حول الصخرة المقدسة . اذهـب ! الى كورنثيا ! الى كورنثيا ! اذهب !

اورست — (ناظراً الى الصخرة) واذن ... هذا هو الخير ؟ (فترة يظل ينظر الى الصخـرة) يجب ان ينسلَّ المرء بهدوء . بهـــدوء . وان يقول دائماً « عفواً » و « شكراً » ... أليس كذلك ؟

(فترة ، يظل ينظر الى الصخرة) **الخير ، خيرهم ...**

(فترة) الكتر !

الكتر — امضِ مسرعاً ، امضِ لا تخيّب أمل هذه المرضع العاقلة الـــتي تحلي عليك من أعلى جبل الاولمب (تتوقف ، مذهولة) ما بك ؟

اورست (بصوت متغير) — ان هناك درباً آخر .

الكتر (مذعورة) — لا تمثّل دور الشرير يا فيلاب . لقد طلبت اوامر من الإلهة وانت تعرفها

اورست — اوامر ؟.. آه ! نعم .. تقصدين : النور هناك ، حول تلك الصخرة الكبيرة ؟ انه ليس لي ، ذلك النور ؛ وليس ثمة من يستطيع بعـــد ان يعطيني الآن اوامر .

الكتر — انت تتكلم بالألغاز .

اورست — ما أبعدك عني ، فجأة ... وكم تغيّر كل شيء ! لقد كان حولي شيء ما حي وحار . شيء ما مات الساعة . فكم يبدو كل شيء فارغـاً ... آه ، ما اوسعه فراغاً ، على مدى النظر ... (يخطو بضع خطوات) ان الليل يهبط ... الا ترين ان الطقس بارد ؟ ... ولكن ماذا ؟ ما الذي مات ؟

الكتر — فيلاب ...

اورست — أقول لك ان هناك درباً آخر ... دربي . ألا ترينه ؟ انه يبدأ من هنا ويهبط نحو المدينة . لا بد من الهبوط ، لو تفهمين ، الهبوط نحـــوك ، فأنت في قعر ثقب .. (يتقدم من الكتر) انت **اختي يا الكتر** ، وهذه المدينة **مدينتي** . **اختي** ؟ (يأخذ ذراعها)

الكتر — دعني ! انك تؤلمني ، انك تخيفني — وانا لا أخصّك .

اورست — أعرف ذلك . انت لا تخصّينني بعد . فأنا أخفُّ مما ينبغي . يجب ان أتخفف من جرم ثقيل يجعلني أغرق في جوف أرغوس .

الكتر — وماذا تنوي ان تفعل ؟

اورست — انتظري . دعيني اودع هـــذه الخفة البريئة التي كانت خفتي . دعيني اودع شبابي . ان هنـاك امسيات ، امسيات كورنثية او اثينية ، ملأى بالأغاني والعطور ، لن امتلكها بعدُ أبداً . وهناك أصباح ملأى بالأمل كذلك ..

هيا ، وداعاً ! وداعاً ! (يتجه نحو الكتر) تعالي ، يا الكتر ، انظري الى مدينتنا .
انهـا هناك ، محمرة تحت الشمس ، تطنّ بالبشر والذباب ، في خدر عنيد لأصيل صيفي ؛ انها تطردني بكل جدرانها ، وكل سقوفها ، وكل ابوابها المغلقة . وهي مع ذلك للأخذ ، وانا احس ذلك منذ هذا الصباح . وانت ايضاً للأخذ يا الكتر . سوف آخذك سأصبح فأساً وسأشق هذه الجدران العنيدة شقاً ، وسأبقر بطن هذه البيوت التقية ، فتبعث من جراحها المفتوحة رائحة طعام وبخور ؛ وسأصبح فأساً فأتغلغل في قلب هذه المدينة ، كالفأس في قلب شجرة سنديان .

الكتر – كم تغيرت ! لقد كفت عيناك عن البريق ، فأصبحتا باهتتين معتمتين . واحسرتاه ! كم كنت رقيقاً يا فيلاب . وهأنتذا تحدثني كما يحدثني الآخر في الحلم .

اورست – اسمعي : افرضي انـني اضطلع بجميع جرائم هؤلاء الاشخاص الذين يرتجفون في غرف معتمة ، يحيط بهم رؤساؤهم الميتون . افرضي أني اريد ان أستحق لقب « سارق الندم » وأدخل في جميع الوان ندمهم : نـدم المرأة التي خانت زوجها ، وندم التاجر الذي ترك امـه تموت ، وندم الدائن الذي صفّى دائنيه حتى الموت ؟

قولي لي ، حين تغمرني ذلـك اليوم الوان من الندم اكثر عدداً من ذباب أرغوس ، الوان الندم في المدينة كلها ، الا اكون قـد اكتسبت حق المواطنية بينكم ؟ أتراني لن أكون في بيتي ، بـين جدرانكم الدامية ، كما يكون الجزار بمريوله الأحمر في حانوته ، بين الجواميس النازفة التي ذبحها ؟

الكتر – اتريد ان تكفّر نيابةً عنا ؟

اورست – أكفّر ؟ قلت اني سأدخل في ندمكم ، ولكني لم اقل مـا الذي سأفعله بهذه الطيور الصارخة : فربما كانت نيتي ان ألوي رقابها .

الكتر – وكيف تراك ستستطيع ان تتحمّل آلامنا ؟

اورست – انكم لا تطلبون إلا ان تتخلّصوا منها . إن الملك والملكة وحدهما يسمّرانها قسْراً في قلوبكم .

الكتر – الملك والملكة ... فيلاب !

اورست – إن الآلهة تشهد اني لم اكن اريد ان اريق دمهما .
(صمت طويل)

الكتر – انك أصغر مما ينبغي ، وأضعف مما ينبغي ...

اورست – هل تتراجعين الآن ؟ خبّئيني في القصر ، وقوديني هـذا المساء حتى المخدع الملكي ، وسترين اذا كنت ضعيفاً اكثر مما ينبغي ...

الكتر – اورست !

اورست – الكتر ، لقد دعوتني اورست للمرة الاولى .

الكتر – نعم . هـذا انت حقاً . انت اورست . انني لا أتعرفك ، لأنني لم اكن انتظرك على هذا النحو . ولكن هذا المذاق المر في فمي ، مذاق الحمى هذا ، انا أحسست بـه الف مرة في احلامي ، وانا الآن أتعرفه . لقد جئتَ اذن يا اورست ، وقـد اتخذت قرارك ، وهأنذا ، كما في أحلامي ، على عتبة عمل لا سبيل إلى دفعه ، وانا خائفة – كما في الحـلم . فيا للحظة التي انتظرتها وأخافها منذ زمن طويل ! إن اللحظات الآن ستتدفق كدواليب آلة ، ولن نصيب بعدُ ابـداً راحة قبل ان يصبحا كلاهما ممددين على الارض بوجهين شبيهين بالتوت المسحوق . هـذا الدم كله ! وانت الذي ستريقه ، انت الذي كنت تملك تينك العينين الرقيقتين ! واحسرتاه ، انني لن أرى بعدُ أبداً تلك العذوبة ، لن ارى بعدُ أبداً فيلاب . انت يا اورست أخي الأكبر ، ورئيس اسرتنا كلها ، فخذني بين ذراعيك ، إحمني ، لأننا قادمان على آلام كبيرة جداً .

(يأخذها اورست بين ذراعيه . يخرج جوبيتر من مخبأه ، ويمضي متخفيا) .

ستار

اللوحة الثانية

(في القصر ؛ قاعة العرش . تمثال لجوبيتر ، رهيب ودام . المساء يهبط)

المشهد الاول

الكتر (وهي تدخل اولاً وتشير الى اورست أن يدخل)

اورست – انهم قادمون .

(يضع السيف في يده)

الكتر – ان هؤلاء جنود يقومون بدورتهم . اتبعني : سوف نختبيء من هذه الناحية (يختبآن خلف العرش)

المشهد الثاني

الكتر واورست – جنديان

الجندي الاول – لا أدري ما حل بالذباب اليوم : انه مجنون .

الجندي الثاني – إنه يشم رائحة الموتى ، فيستخفه الفرح . وانا لا اجرؤ بعدُ على التثاؤب خشية ان يدخل في فمي المفتوح ويذهب يقوم بحفلته في حلقومي (تظهر الكتر لحظة ثم تختبىء) عجباً لقد فرقع شيءٌ ما .

الجندي الاول – هذا آغاممنون يجلس على عرشه .

الجندي الثاني – ومؤخرته العريضة تجعل خشب المقعد يفرقع ؟ هذا مستحيل ، ايها الزميل ، فليس للموتى من وزن .

الجندي الاول – العامّة هم الذي لا وزن لهم . اما هو ، فقبل ان يكون ميتاً ملكياً ، كان ملكياً عيّاشاً يكسب كيلواته الخمسة والعشرين كل عام. ومن المستغرب ألا يكون قد بقي له بضعة كيلوات .

الجندي الثاني – تظن إذن ... انه هنا ؟

الجندي الاول – وأين تريده ان يكون ؟ لو كنت أنا ملكاً ميتاً ، وكانت لي كل عام إجازة أربع وعشرين ساعة ، فمن المؤكد أني سأعود لأجلس على عرشي واني سأقضي عليه نهاري وانا استعيد ذكريات الماضي ، من غير ان اؤذي أحداً .

الجندي الثاني - انت تقول هذا لأنك حي . ولكنك لو لم تكن بعدُ حيّاً لما كانت عيوبك دون عيوب الآخرين (يصفعه الجندي الاول) هولا ! هولا !

الجندي الاول – هذا لصالحك ؛ انظر ، فقد قتلت سبعاً بضربة واحدة ، سرباً برمته .

الجندي الثاني – من الموتى ؟

الجندي الاول – لا ، بل من الذباب . ولا بد ان يدي مليئتان بالدم (يمسح يديه بسرواله) يا للذباب البقري !

الجندي الثاني – حبذا لو كانت مولودة – ميتة . انظر الى جميع هؤلاء الموتى هنا : انهم لا ينبسون ببنت شفة ، وهم يتدبرون أمرهم حتى لا يزعجوا الآخرين . وسيكون شأن الذباب حين يموت مثل هذا .

الجندي الاول – اسكت فلو كنت افكر بان هنا ذباباً شبحياً فوق هذا كله..

الجندي الثاني – ولِمَ لا ؟

الجندي الاول – أتتصور ذلك؟ ان هذه الحشرات تموت بالملايين كل يوم. فلو قد أُطلق في المدينة جميع الذباب الذي مات منذ الصيف الماضي ، فسيكون ثمة ثلاثمئة وخمس وستون ذبابة ميتة على ذبابة حية واحدة، وكلها تطوّف حولنا . تصور ! سيكون الهواء مسكَّراً بالذباب، وسنأكل ذباباً ونتنفس ذباباً، وسيسيل الذباب ذوباً متدبقاً في شعابنا وامعائنا ... ولعله بسبب هذا تعوم في هذه الغرفة تلك الروائح الفريدة .

الجندي الثاني – عجباً ! قاعة بالف قدم مربع مثل هـذه القاعة ، يكفي بضعة اموات لينتنوها .. ويقال إن لأمواتنا أنفاساً كريهة .

الجندي الاول – اسمع ! إن هؤلاء الرجال يأكل بعضهم دم بعض ..

الجندي الثاني – اقول لك ان هناك شيئاً ما : فخشب الارض يفرقع .

(يذهبان لينظرا خلف العرش من اليمين، فيخرج الكتر واورست من اليسار ، ويمران امام درجات العرش ، ويعودان إلى مخبئهما من اليمين، في اللحظة التي يخرج فيها الجنديان من اليسار).

الجندي الاول – ترى جيداً ان ليس ثمة أحد . انـه كما قلت لك آغاممنون،

أغا ممنون الملعون ! لا بد انه جالسٌ على هذه الوسائد ، مستقيماً كأنه الألف، وهو ينظر الينا ؛ وليس له ان يقضي وقته الا بان ينظر الينا .

الجندي الثاني – من الأفضل ان نعدّل موضعنا ، وسواء لدينا ان يدغدغ الذباب أنفينا .

الجندي الاول – كنت اوثر ان اكون في فرقة الحرس ، وأنا مشارك في لعبة قمار حلوة . ان الموتى الذين يعودون هنا اصدقاء لنا ، عسكر عاديون مثلنا . ولكني حين أتذكّر ان المرحوم الملك هنا ، وانه يعدّ الازرار التي تنقص سترتي ، أحسّني عجيباً طريفاً ، كما يحدث حين يستعرضنا الجنرال .

(يدخل أجيست ، وكليتمنستر ، وخدم يحملون مصابيح)

أجيست – دعونا وحدنا .

المشهد الثالث

أجيست – كليتمنستر – اورست والكترا (مختبئين)

كليتمنستر – ما بك ؟

أجيست – هــل رأيت ؟ لو أني لم أصعقهم بالإرهاب لتخلصوا من ندمهم بلحظة واحدة .

كليتمنستر – أهذا وحده مــا يقلقك ؟ انك مستطيعٌ دائماً ان تثلّج شجاعتهم في الوقت المناسب .

أجيست – هذا ممكن . فأنا شديد البراعة في هذا التمثيل (فترة) انا آسف انه وجب عليّ أن أعاقب الكترا .

كليتمنستر – أيكون ذلك لأنهـا ابنتي ؟ لقد راق لك ان تعاقبها ، وانا أجد كل ما تفعله جيداً .

أجيست – انا لست آسفاً على ذلك ، من اجلك انت يا امرأة .

كليتمنستر – اذن ، لماذا ؟ انك لم تكن تحب الكترا .

إجيست – انني متعب . ها قد انقضى خمسة عشر عاماً وانا أحمل في الهواء ، بطرف ذراعي ، ندم شعبٍ برّمته . ها قد انقضى خمسة عشر عاماً وانا ارتدي لباس الفزّاعة : وقد انتهى الأمر بجميع هذه الثياب السوداء الى ان تحـلّ على روحي .

كليتمنستر – ولكني ، يا مولاي ، انا نفسي ...

أجيست – اعرف ، ايتها المرأة ، أعرف : انــك ستحدثينني عن ندمك . ندماً ، اني أحسدك عليه ، فهو يعمرُ لــك حياتك . اما انا ، فليس عندي ندم ، ولكن ليس في ارغوس من هو في مثل حزني .

كليتمنستر – يا مولاي العزيز ...

(تقترب منه)

أجيست – دعيني ، ايتها الساقطة ! ألا تخجلين ، تحت انظاره ؟

كليتمنستر – تحت انظاره ؟ من هو الذي يرانا ؟

أجيست – عجباً ! انه الملك . لقد أطلق الموتى ، هذا الصباح .

كليتمنستر – ابتهل اليك يا مولاي ... ان الموتى هم تحت الارض ، ولــن يزعجونا في هذا الوقت المبكر . اتراك قد نسيت انك انت نفسك قد اخترعت هذه الأساطير من أجل الشعب ؟

أجيست – انت على حق ايتها المرأة . واذن ؟ انت ترين كم انا متعب ؟ دعيني ، اني اريد ان أتأمل .

(تخرج كليتمنستر)

المشهد الرابع

اجيست – واورست والكترا (مختبئين)

أجيست – أهذا يا جوبيتر هو الملك الذي كنت بحاجة اليه من أجل أرغوس ؟ انني اروح وأجيء وأحسن الصياح بصوت قوي، وأحمل في كل مكان مظهري الكبير المرعب ، ويحسّ الذين يرونني انهم مذنبون حتى النخاع . ولكني صَدَفة فارغة : لقد أكل وحشٌ ما داخلي من غير ان أحسّ بذلك . وها أنا الآن انظر في ذاتي ، فأرى اني اكثر موتاً من آغا ممنون . هل قلت اني كنت حزيناً ؟ لقد كذبت . فليست هي حزينة ولا جذلة ، الصحراء ، وعدم الرمل الذي لا يُحصى تحت عدم السماء الصافية : انه مشؤوم . آه ! انني أهب مملكتي مقابل ان اذرف دمعة !

(يدخل جوبيتر)

المشهد الخامس

الاشخاص أنفسهم – جوبيتر

جوبيتر – لا تَشُكَّ : فانا ملك شبيه بجميع الملوك .

أجيست – من انت ؟ وماذا انت قادم تفعل هنا ؟

جوبيتر – أتراك لا تعرفني ؟

اجيست – اخرج من هنا ، وإلا أمرت حرسي ان يضربوك .

جوبيتر – اتراك لا تعرفني ؟ لقد رأيتني مع ذلك . كان ذلك في الحلم . صحيح أني كنت أبدو بهيئة اكثر ترويعاً (رعد وبرق. جوبيتر يتخذ مظهر الترويع) وهكذا !

اجيست – جوبيتر ؟

جوبيتر – ها نحن اذن (يعود فيصبح باسماً ، ويقترب من التمثال) أهذا أنا؟ أهكذا يتصورونني حين يقومون بصلواتهم ، سكان أرغوس ؟ إنه لمن النادر ان يستطيع إلهٌ ان يتأمل صورته وجهاً لوجه (فترة) ما أبشعني ! لا شك في انهم لا يحبونني كثيراً .

اجيست – انهم يخافونك .

جوبيتر – حسناً . لست بحاجة الى ان أكون محبوباً . أتحبني ، أنت ؟

اجيست – ماذا تريد مني ؟ ألم أدفع بما فيه الكفاية ؟

جوبيتر - لن تدفع ابداً بما فيه الكفاية .

اجيست – اني اموت وانا أقوم بمهمتي .

جوبيتر -لا تبالغ ! إنك في صحة جيدة ، وانت سمين . والحق اني لا أؤاخذك على ذلك . إنه شحم ملكي جميـل ، أصفر ، كشمع القنديل . وانت مصنوع لتعيش بعدُ عشرين عاماً .

اجيست – عشرين عاماً ؟

جوبيتر – هل تتمنى ان تموت ؟

اجيست – نعم .

جوبيتر – لو دخل أحد الى هنا يحمل سيفاً مشهراً ، أتراك تمـــد صدرك لهذا السيف ؟

اجيست - لا أدري .

جوبيتر – أصغ الي جيداً ، اذا مكـّنت لأحـــدٍ ان يذبحك كالعجل ، فستعاقب عقاباً نموذجياً ؛ ستبقى ملكاً في الجحيم الى أبد الآبدين هذا مـــا أتيت أبلغك إياه .

اجيست – وهل هناك من يسعى لقتلي ؟

جوبيتر – يبدو ذلك .

أجيست – الكتر ؟

جوبيتر - وشخص آخر ايضاً .

اجيست – من ؟

جوبيتر – اورست !

اجيست – آه ! (فترة) حسناً ، إن هذا منطقي ، فما حيلتي في ذلك ؟

جوبيتر – « فمـــا حيلتي في ذلك ؟ » (يغير لهجته) أصدر أمرك فوراً بالقبض على شاب غريب يدعو نفسه فيلاب . وليُلقَ مع الكتر في مخبأ عميق ، وانا أسمح لك بان تنساهما فيه . ولكن ماذا تنتظر ؟ نادِ حرَسك .

اجيست – لا .

جوبيتر – هل تتفضّل بان تشرح لي أسباب رفضك ؟

اجيست - اني متعّب .

جوبيتر – لماذا تنظر الى قدميك ؟ أدرْ نحوي عينيك المخططتين بالدم . انك نبيل وبليد كأنك حصان . ولكن مقاومتك ليست من تلك المقاومات التي تغيظني . إنها الفلفل الذي سيجعل خضوعك ، بعد قليل ، ألذ وأطيب . ذلك اني واثق من انك ستخضع في آخر الأمر .

اجيست – اقول لك اني لا اريد ان أدخل في مشاريعك . لقد فعلت ذلك اكثر مما ينبغي .

جوبيتر – تشجع ! قاوم ! قاوم ! آه ! كم انا متعطش الى نفوسٍ كنفسك ! ان عينيك ترسلان بروقاً ، وانت تحرق الارم وتلقي برفضك في وجه جوبيتر . ولكنك ايها العنيد ، ايها الحصان الصغير ، ايها الحصان الصغير الرديء ، كنت منـــذ وقت طويل تقول لي نعم . كفى ، وستطيعني . أتظن اني اترك جبل الاولمب بلا سبب ؟ لقد اردت ان أحذّرك من هذه الجريمة ، لأنه يروق لي ان احول دون وقوعها .

اجيست – تحذّرني ... هذا غريب حقاً .

جوبيتر – على العكس ، ليس ثمة ما هو اكثر طبعية من ذلك : اني اريد ان أبعد هذا الخطر عن رأسك .

اجيست – ومن كان يطلب منك هذا ؟ وآغاممنون، أتراك قد حذرته، هو؟ لقد كان مع ذلك يريد ان يعيش .

جوبيتر – يا للنفس العاقـّة ، ويا للشخصية البائسة : انت اعزّ عنـدي من آغا ممنون ، وانا اثبت لك ذلك ، فأراك تشكو .

اجيست – أعزّ من آغا ممنون ؟ انا ؟ إن اورست هو العزيز لديك . لقـد سمحتّ بأن أضيّع نفسي ، وقـــد تركتني اركض الى حمّام الملك ، والفأس في يدي – ولا شك في انـــك كنت تلحس شفتيك ، هناك فوق ، وانت تفكـّر بان روح المذنب لذيذة . اما اليوم ، فانـك تحمي اورست من نفسه – وانت

الذي دفعني الى قتل الأب ، اخترتني لأمسك ذراع الابن . كنت صالحاً فحسب لأن أكون قاتلاً . اما هو ، فلا شك في انه مرصود لأشياء اخرى في نظرك !

جوبيتر — يا له من حسد عجيب ! اطمئن" بالاً : فانا لا أحبّه اكثر مما أحبّك . انني لا أحبّ أحداً .

اجيست — انظر إذن ، ايها الإله الظالم ، ماذا صنعت مني . وأجبني : اذا كنت تمنع اليوم الجريمة التي يفكر اورست بارتكابها، لماذا تراك قد سمحت بجريمتي؟

جوبيتر — ليست جميع الجرائم تسوؤني بالنسبة نفسها . اننا يا أجيست ملكان ، وسأتحدث اليك بصراحة : الجريمة الاولى ، انا الذي ارتكبتها بخلق بشرٍ قابلين للموت . وبعد ذلك ، ما كان بوسعكم ان تعملوه ، انتم القتلة ؟ أن تهبوا ضحاياكم الموت ؟ كفى، كفى ! لقد كانوا يحملون الموت قبلاً في نفوسهم. وقصاراكم انكم كنتم تستعجلون تفتُّحه قليلاً . أتدري ما كان يحصل لآغاممنون لو لم تقتله؟ كان سيموت بعد ثلاثة أشهر بالسكتة القلبية على صدر عبدة جميلة . ولكن جريمتك كانت تخدمني .

أجيست — كانت تخدمك ؟ انني اكفّر عنها منذ خمسة عشر عاماً ، وقد كانت تخدمك ؟ يا للمصيبة !

جوبيتر — واي عجب في هذا ؟ انها تخدمني لأنك تكفر عنها ؛ انني احبّ الجرائم التي تطلب التكفير . وقد احببت جريمتك لأنها كانت قتلاً أعمى أصمّ ، مجهولاً من نفسه ، قديماً ، أشبه بالكارثة الطبيعية منه بالمشروع البشري. انك لم تحتقرني لحظة واحدة : لقد ضربت وانت في عنفوان الغضب والخوف ؛ ثم بعد ان سقطت درجة الحرارة، تأملت عملك باستفظاع ولم ترد ان تعترف به. ومع ذلك ، فأية فائدة أصبتُها منه ! كانت النتيجة عشرين الف رجل غارقين في الندم مقابل رجل واحد قتيل . انني لم أعقد صفقة" رديئة !

اجيست — انني افهم غايتك من هذه الخطب كلها : إن اورست لن يُعاني الندم .

جوبيتر — لن يعاني ظلاً من ندم . انه في هذه الساعة يضع خططه في

منهجية ، وتواضع . مرتاح الرأس . فما عساني أصنع بجريمة قتل لا يُعقبها ندم ، جريمة وقحة ، جريمة هادئة مطمئنة ، خفيفة كأنها البخار في رأس مرتكبها ؟ سوف أمنع هذا ! آه ! انني أكره جرائم الجيل الجديد : فهي عاقة كالزؤان . انه سيقتلك كالدجاجة ، ذلك الشاب الرقيق ، وسيمضي بيدين حمراوين وضمير نقي" ؛ ولو كنت مكانك لشعرت من ذلك بالمذلة . هيّا ! نادِ حرسك !

اجيست — قلت لك ان لا . إن الجريمة التي تُهيّأ هي أشدّ إساءة" لك من الا" تروق لي !

جوبيتر (مغيراً لهجته)— انت ملك يا أجيست ، وانا أتوجه الى ضميرك الملكي لأنك تحب" ان تملك .

اجيست — ماذا تقصد ؟

جوبيتر — انت تكرهني ولكننا قريبان ؛ لقد صنعتك على صورتي : ان الملك إله على الأرض ، نبيل وحزين كالإله .

اجيست — حزين ؟ انت حزين ؟

جوبيتر — انظر الي"(صمت طويل) لقد قلت لك انك مصنوع على صورتي. اننا كلانا ننشر النظام ، انت في ارغوس ، وانا في العالم ؛ والسر" نفسه يزنُ ثقيلاً في قلبينا .

اجيست — ليس عندي سر" .

جوبيتر — بلى . هو سري نفسه . السر المؤلم للآلهة والملوك : وهو أن البشر أحرار . انهم احرار يا اجيست . انت تعرف ذلك ، وهم لا يعرفونه .

اجيست — لو كانوا يعرفونه لأحرقوا القصر من اركانه الأربعة . وها قد مضى خمسة عشر عاماً وانا أمثّل لأقنّع عنهم قدرتهم .

جوبيتر — انت ترى جيداً اننا متشابهان .

اجيست — متشابهان ؟ بأية لهجة ساخرة يدّعي إله" أنه شبيهي؟ إن أعمالي واقوالي ، منذ استوليت على الملك ، تهدف الى تكوين صورتي ؛ وانا اريد من كل رعية من رعاياي ان يحملها في ذاته وان يُحس" ، حتى في الوحدة ، بنظري

القاسي يثقل على أشدّ افكاره خفاءً . ولكنني انا أوّل ضحاياي : انني لا ارى نفسي بعدُ إلاّ كما يرونني ، وانا المحني فوق بئر نفوسهم الفاغرة ، وصورتي هناك ، في الاعماق ، تنفّرني وتسحرني . فيا ايها الإله القادر ، من عساني أكون ، إلاّ الخوف الذي يكنّه الناس لي ؟

جوبيتر – وانا ، من تظنّني أكون ، (مشيراً الى التمثال) إن لي انا ايضاً صورتي . أتظنّ انها لا تُحدث لي دواراً ؟ انني منذ مئة الف سنة أرقص امام البشر . رقصة بطيئة مظلمة . ويجب ان ينظروا إليّ : فما دامت عيونهم محدّقة بي ، ينسون ان ينظروا في ذواتهم . واذا نسيت نفسي لحظة ، واذا تركت انظارهم تلتفت قليلاً ...

اجيست – ماذا يحدث ؟

جوبيتر – دعك من هذا. إن هذا لا يعني إلاّي. انك متعَبٌ يا أجيست ، ولكن ممَّ انت تشكو ؟ انك ستموت . اما انا ، فلا . فما دام على هذه الارض بشر ، فانا محكوم عليّ ان أرقص امامهم .

اجيست – واحسرتاه ! ولكن من حكم علينا ؟

جوبيتر – لا أحد الا أنفسنا ؛ ذلك اننا نملك الهوس نفسه . انك تحب النظام ، يا أجيست .

اجيست – النظام . هذا صحيح . ومن أجل النظام أغويت كليتمنستر ، ومن أجل النظام قتلت مليكي ؛ كنت اريد ان يسود النظام ، وان يسود على يدي . لقد عشت بلا رغبة ، بلا امل ، بلا حب : وانما أقمت النظام. فيا للهوس الإلهي الفظيع !

جوبيتر – ليس بوسعنا ان يكون لنا سواه : انني إله ، وقد وُلدت انت لتكون ملكاً .

أجيست – مع الأسف !

جوبيتر – يا أجيست ، يا مخلوقي وأخي البشري ، باسم هذا النظام الذي نخدمه كلانا ، آمرك : اقبض على اورست وعلى اخته .

اجيست – أهما خطيران الى هذا الحد ؟

جوبيتر – ان اورست يعلم أنه حر .

اجيست – (بحيوية) هو يعرف أنه حر . لا يكفي إذن ان يقيّد بالحديد . إن رجلاً حراً في المدينة هو أشبه بعنزة جرباء في قطيع . فهو سوف يصيب بالعدوى مملكتي كلّها ويهدم عملي . فماذا تنتظر ، ايها الإله القدير ، لكي تصعقه ؟

جوبيتر (بهدوء) – لأصعقه ؟ (فترة . بلهجة متعبة) اسمع يا أجيست : إن للآلهة سراً آخر .

اجيست – ماذا تراك ستقول لي ؟

جوبيتر – حين تنفجر الحرية يوماً في قلب انسان ، فان الآلهة لا يملكون الا العجز تجاه هذا الانسان . ذلك انها قضية بشر ، ويجب على البشر الآخرين – عليهم وحدهم – ان يتركوه يجري او ان يختقوه .

اجيست . (ناظراً اليه) – ان يخنقوه ؟ حسناً . انني سأطيعك بلا ريب . ولكن لا تُضف شيئاً . ولا تبق هنا وقتاً اطول ، لأنني لا أستطيع احتمال ذلك

(يخرج جوبيتر)

المشهد السادس

اجيست (يبقى وحده لحظة) **ثم الكتر واورست**

الكتر (قافزة نحو الباب) — إطعنه ! ولا تدع له وقتاً للصراخ ؛ إنني أرتج الباب .

اجيست — أهذا أنت إذن يا اورست ؟

اورست — دافع عن نفسك !

اجيست — لن أدافع عن نفسي . لقد فات الاوان لكي استغيث ، وانا سعيد ان يكون قد فات الاوان . ولكنني لن ادافع عن نفسي : اريد ان تقتلني .

اورست — حسناً . إن الطريقة لديّ سواء . وسأكون قاتلاً .

(يضربه بسيفه)

اجيست (مترنحاً) — لم تكن ضربتك فاشلة (يتشبث بأورست) دعني انظرك . أصحيح أنه ليس لديك ندم ؟

اورست — ندم ؟ لماذا ؟ انني افعل ما هو عدل .

اجيست — ما هو عدل ، هذا ما يريده جوبيتر . لقد كنتَ مختبئاً هنا ، وسمعتَه .

اورست — ماذا يهمني جوبيتر ؟ إن العدالة هي قضية بشرية ، ولست

بحاجة الى إله ليعلمني اياها . ان من العدل أن أسحقك ، ايها الفاجر القذر ، وان أهدم مملكتك على سكان أرغوس ، ومن العدل أن أرد لهم شعورهم بالكرامة .

(يدفعه عنه)

اجيست — أحس بالألم .

الكتر — انه يترنح ، ووجهه ممتقع ، يا للفظاعة ! ما أبشعه منظراً ، منظر انسان يموت .

اورست — اسكتي . ولا يحملنّ ذكرى اخرى الى القبر غير ذكرى فرحتنا .

اجيست — لعنتما انتما الاثنين .

اورست — اترى الموت لم يجهز عليك بعد ؟

(يضربه مرة اخرى . يسقط أجيست)

أجيست — حذار من الذباب ، يا اورست، حذار من الذباب . لم ينته كل شيء .

(يموت)

اورست (دافعاً اياه بقدمه) — إن كل شيء قد انتهى بالنسبة اليه على اي حال . إصحبيني الى غرفة الملكة .

الكتر — اورست ...

اورست — ماذا ؟ ..

الكتر — انها لا تستطيع بعدُ ان تؤذينا ..

اورست — وإذن ؟ انني لا أتعرّفك . لم تكوني تتحدثين كذلك منذ لحظة .

الكتر — وانا يا اورست لا أتعرفك بعد .

اورست — حسناً ، انا ذاهب وحدي .

(يخرج)

المشهد السابع

الكترا (وحدها)

الكترا – أتراها سوف تصرخ ؟ (فترة ، ترهف سمعها) انــه يمشي في الممر . وحين يفتح الباب الرابع .. آه ! لقد أردت ذلك ! اني أريده ، ولا بد اني مـا زلت اريده . (تنظر الى أجيست) ان هذا قد مات . هذا إذن ما كنت اريده . لم اكن أعي ذلك . (تقترب منه) مئة مرة رأيته في الحلم ، ممدداً في هذا المكان نفسه والسيف في قلبه . لقد كانت عيناه مغمضتين ، وكان يبدو نائمـاً . وكم كنت حاقدة عليه ، كم كنت مسرورة بأن أحقد عليه . انه لا يبدو نائماً ، وعيناه مفتوحتان ، انه ينظر الي . لقد مات - ومات حقدي معه . وانا هنا، أنتظر، والاخرى ما تزال حية ، في داخل غرفتها ، وهي عما قليل ستصرخ . انهـا ستصرخ كالوحش . آه ! لا أستطيع بعدُ أن أتحمل هذا النظر (تركع وتلقي معطفاً على وجه أجيست) ماذا كنت اريـد اذن ؟ (صمت . ثم صراخ كليتمنستر) لقد طعنها . كانت أمّنا ، وقد طعنها . (تنهض) هأنذا : لقد مات اعدائي . وطوال أعوام ، تمتعت بهذا الموت مسبقاً ، اما الآن ، فان قلبي مضغوط في كلابة . أتراني قـد كذبت على نفسي طوال خمسة عشر عاماً؟ ليس هذا صحيحاً، ليس هذا صحيحاً! لا يمكن ان يكون صحيحاً : فانا لست جبانة ! لقد أردتها ، هـذه الدقيقة ، وما زلت أريدها . اردت ان ارى هـذا الخنزير القذر مطروحاً على قدمي . (تنزع المعطف) ماذا يهمني نظرك ، نظر السمكة الميتة ؟ لقد اردته هـذا النظر . وانا اتمتع به (صراخ أضعف من كليتمنستر) لتصرخ ! لتصرخ ! اني اريـد صراخها المذعور واريد آلامها . (ينقطع الصراخ) يا للفرحة ! يا للفرحة ! انني أبـكي فرحاً : لقد مات اعدائي ، وأدرك أبي ثأره .

(يعود اورست ، وبيده سيف يقطر دماً . تهرع اليه)

المشهد الثامن

الكترا – اورست

الكترا – اورست !

(ترتمي بين ذراعيه)

اورست – مم انت خائفة ؟

الكترا – لست خائفة ، بل انا ثملة . ثمـلة من الفرح . ماذا قالت ؟ أتراها قد ابتهلت طويلاً للصفح عنها ؟

اورست – اسمعي يا الكترا : انني لست نادماً على مـا قمت به ، ولكني لا ارى من الخير ان أتحدّث عنه : إن هناك ذكريات لا تُشاطَر . اعلمي فقـط انها ماتت .

الكترا وهي تلعننا ؟ قلْ لي هذا فقط : وهي تلعننا ؟

اورست – نعم ، وهي تلعننا .

الكترا – خذني بين ذراعيك ، يا حبيبي ، وشُدّني بكل قواك . مـا أكثف الليل ، وكم تجهد أنوار هذه المصابيح في أن تخرقه ! هل تحبني ؟

اورست – ليس هو الليل : بل مطلع النهار . اننا احرار يا الكترا . يخيّل إليّ اني جعلتك تولدين ، واني وُلدت معك ! اني أحبّك وانت تخصّينني . كنت حتى الأمس ما ازال وحيداً ، وانت اليوم تخصّينني . إن الدم يوحد بيننا توحيداً

مزدوجاً لأننا من دم واحد ، وقد أرقنا دماً .

الكتر – ألق سيفك ، وهات يدك هذه . (تأخذ يده وتقبلها) إن أصابعك قصيرة ومربعة . إنها مصنوعة لكي تأخذ و تُمسك . ايتها اليد العزيزة ! انها أشدّ بياضاً من يدي . وكم قد ثقُلت لتضرب قاتليْ أبينا ! انتظر (تذهب فتحمل مصباحاً وتدنيه من اورست) يجب ان أضيء وجهك ، لأن الليل يتكاثف ، ولا اراك بعدُ في وضوح . انني بحاجة لأن أراك : وحين لا اراك بعد ، أخاف منك ؛ يجب ألاّ أغادرك بعينيّ . انني أحبّك . يجب ان افكر بأني أحبك . ما أشدّ ما تبدو غريباً !

اورست – انني حرّ يا الكتر ؛ لقد انقضّت الحرية عليّ كالصاعقة .

الكتر – حرّ ؟ أما انا فلا أحسني حرة . اكان بامكان هذا ألاّ يحدث ؟ لقد وقع شيء لسنا بعدُ أحراراً في رده . فهل بوسعك ان تحول دون ان نكون الى الابد قاتليْ أمنا ؟

اورست – أتظنين ان بودّي ان أحول دون ذلك؟ لقد قمت بعملي ، يا الكتر ، وكان هذا العمل طيباً . وسوف أحمله على كتفيّ كما يحمل عابر الماء المسافرين ، وسوف أنقله الى الشاطىء الآخر واقدّم عنه حساباً . وسأزداد بهجةً ما ازداد ثقلاً على الحمل ، لأن حرّيتي هي إياه . كنت حتى الامس ما ازال أمشي على الارض اتفاقاً ، وكانت آلاف من الدروب تفرّ من تحت قدميّ ، لأنها كانت تخصُّ آخرين . لقد استعرتها كلها ، درب ساحبي المراكب ، ذلك الذي يحاذي النهر ، وزقاق المُكاري ، وطريق سائقي العربات المبلّط ؛ ولكن لم يكن ثمة ايّ درب لي . اما اليوم فليس ثمة الا درب واحد ، والله يعلم الى اين يفضي : ولكنه دربي . مابك ؟

الكتر – انني لا أستطيع بعدُ أن اراك . فهذه المصابيح لا تضيء . انني اسمع صوتك ، ولكنه يؤلمني ، وهو يقطعني كالسكين . أيكون الظلام شديداً هكذا بعد الآن ، حتى في النهار ؟ اورست ! ها هو ذا !

اورست – مَنْ ؟

الكتر – ها هوذا ! من اين هو آت ؟ انه يتدلى من السقف كعناقيد العنب الأسود ، وهو الذي يسوّد الجدران ؛ إنه ينسلّ بين الأضواء وبين عينيّ ، وظلاله هي التي تسرق مني وجهك .

اورست – الذباب ...

الكتر – اسمع ! .. اسمع طنين أجنحته ، شبيهاً بهدير كور . إنه يحيط بنا يا اورست . انه يترصّدنا ، وهو عمّا قليل سينقضّ علينا ، وسأحسّ الف رجل دبقة على جسمي . فأين المفرّ ، يا اورست ؟ انه ينتفخ ، إنه ينتفخ ، وها هو كبير كالنحل ، وهو سيتبعنا الى كل مكان في دوّامات سميكة . يا للفظاعة ! اني اري عيونه ، ملايين عيونه تنظر الينا .

اورست – ماذا يهمنا الذباب ؟

الكتر – إنه آلهات الندم يا اورست ، إنه « الاريني » .

اصوات (خلف الباب) – افتحوا ! افتحوا ! إذا لم يفتحوا فيجب ان نحطم الباب .

(طرقات عنيفة على الباب)

اورست – إن صراخ كليتمنستر قد نبّه الحرس . تعاليْ ! قوديني الى معبد ابولون؛ سنقضي فيه ليلتنا ، بمنجى من البشر والذباب. وغداً سأتحدّث الى شعبي.

(ستار)

الفصل الثالث

المشهد الاول

(معبد ابولون . في الظل . تمثال لابولون في وسط المسرح . الكتر واورست نائمان عند أسفل التمثال ، محيطين ساقيه بذراعيهما . « الاريني » آلهات الندم تحيط بهما ، وهي نائمة واقفة ، كالطيور طوال الساق . في الداخل ، باب برونزي ثقيل) .

إلاهة اولى (متمطية) — هاههه ! لقد نمت واقفة ، مستقيمة من فرط الغضب ، وحلمت أحلاماً مغتاظة هائلة . فيا لزهرة الغضب الجميلة ، يا للزهرة الجميلة الحمراء في قلبي (تدور حول اورست والكتر) إنهما نائمان . ما أشدّ بياضهما ، وما أرقّهما ! سوف ألتفُّ على بطنهما وصدرهما كما يلتفّ غدير على الحصباء . وسوف أصقل بصبر هذه البشرة الدقيقة، وأدلكها، وأقشرها حتى العظم . (تقوم ببضع خطوات) يا لصباح الحقد النقيّ! اية يقظة رائعة : انهما نائمان، دبقان ، تنبعث منهما رائحة الحمى ؛ اما أنا ، فساهرة ، نضرة ، قاسية ، إن روحي من نحاس — وانا أحسّني مقدّسة .

الكتر (في نومها) — واحسرتاه !

إلاهة ثانية — إنّها تئن . صبراً ، فستعرفين عمّا قليل لدغاتنا ، وسنجعلك تهمهمين تحت مداعباتنا . سوف أدخل فيك ، كما يدخل الذكر في الانثى ، لأنك

زوجتي وستحسّين ثقل حبي . انك جميلة يا الكتر ، أجمل مني؛ ولكنك سترين ، إن قبلاتي تدفع الى الشيخوخة ، فلن تمضي ستة أشهر حتى اكون قد حطمتك كعجوز ، وسأبقى أنا صبيّة (تنحني عليهما) انهما فريستان جميلتان قابلتان للهلاك وجديرتان بان تؤكلا ؛ انني انظر اليهما ، وأتنشّق أنفاسهما فيخنقني الغضب . ويا للذة ان أحسّ نفسي صباحَ حقدٍ صغيراً ، لذة ان أحسّني مخالب وفكّين ، مع نارٍ تسري في العروق . إن الحقد يغرقني ويخنقني ، ويصعد في صدري كأنه الحليب . استيقظي يا اخواتي ، استيقظي : فهذا هو الصباح .

الالاهة الثانية — كنت أحلم اني كنت ألدغ .

الالاهة الاولى — صبراً : فانّ إلهاً يحميهما اليوم ، ولكن لن يلبث العطش والجوع ان يطردهما من هذا الملجأ . وآنذاك ستلدغينهما بكل اسنانك .

الاهة ثالثة — هاههه ! اريد أن أخلب .

الالاهة الاولى — انتظري قليلاً : فان اظفارك الحديدية ستخطّ عما قريب الف درب أحمر في لحم الآثمين . اقتربن يا أخواتي ، تعالين انظرن اليهما .

الاهة — ما أنضرهما !

الاهة اخرى — ما أجملهما !

الالاهة الاولى — ابتهجن: فانالمجرمين هم غالباً عجائز بشعون؛ ونادرةٌ هي الفرحة اللذيذة للقضاء على ما هو جميل .

الالاهات — هياهاه ! هياهاه !

الالاهة الثالثة — إن اورست يكاد يكون صبياً . وسيكونُ حقدي عليه رقةٍ رؤوماً . سوف آخذ على ركبتي رأسه المتقع واداعب شعره .

الالاهة الاولى — وبعد ذلك ؟

الالاهة الثالثة — وبعد ذلك أغرز فجأة اصبعيّ هذين في عينيه .

(يأخذن جميعاً في الضحك)

الالاهة الاولى — انهما يتنهّدان ويتقلّبان، فيقظتهما قريبة . هيّا، هيا اخوتي الذباب ، لننزع الآثمين من نومهما بأغانينا .

جوقة اللاهات — بز ، بز ، بز ، بز .
سوف نحطّ على قلبك الفاسد كالذباب على قطعة حلوى
ايها القلب الفاسد ، ايها القلب النازف ، ايها القلب اللذيذ
سوف نجني كالنحل نتن قلبك وقذارته
ونجعل منه ، سوف ترى ، عسلاً جميلاً أخضر
ايّ حبّ تُراه يملأنا رضى مثلُ الحقد ؟
بز ، بز ، بز ، بز .
سنكون عيون البيوت المحدّقة .
وهرير كلب الحراسة الذي سيكشّر عن انيابه لدى مرورك
والطنين الذي سيطير في السماء فوق الرأس
وضجيج الغابة
سنكون الصفير والزعيق والنعيب ،
سنكون الليل .
ليل روحك الكثيف
بز ، بز ، بز ، بز .
هياهاه ، هياهاه ، هياهاه .
بز ، بز ، بز ، بز .
نحن مصّاصات النتن ، الذباب
وسنقاسمك كل شيء .
سنذهب بحثاً عن الغذاء في فمك وشعاع النور في قلب عينيك
وسنواكبك حتى القبر
ولن نتنازل عن مكاننا إلاّ للدود
بز ، بز ، بز ، بز .

(يرقص الذباب)

الكتر (مستيقظة) — من يتكلم ؟ من انتنّ ؟

اللاهات — بز ، بز ، بز .

الكتر — آه ! ها أنتنّ ذا . ماذا ؟ هل قتلناها حقاً ؟

اورست (مستيقظاً) — الكتر !

الكتر — وانت ، من انت ؟ آه ! انت اورست . إذهب عنّا .

اورست — ولكن ما بك ؟

الكتر — انك تخيفني . لقد حلمت بأن امي سقطت على ظهرها وانها تنزف ، وان دمها كان يجري جداول تحت جميع ابواب القصر . إلمس يدي، انها باردتان. لا ، دعني . لا تلمسني . أتراها قد نزفت كثيراً ؟

اورست — اسكتي .

الكتر (مستيقظة تماماً) — دعني أراك : لقد قتلتها . انت الذي قتلتها . انك هنا ، وقد استيقظت الساعة ، وليس على وجهك شيء مسطور ، ومع ذلك فقد قتلتها .

اورست — واذن ؟ نعم ، لقد قتلتها ! (فترة) انت ايضاً تخيفينني . لقد كنت جميلة جداً ، بالأمس . اما اليوم ، فكأن وحشاً قد خرّب وجهك بمخالبه .

الكتر — وحش ؟ إنه جُرمك . إنه ينتزع وجنتي وجفوني : ويخيّل إلي ان عيني وأسناني عارية . وهؤلاء ، من هن ؟

اورست — لا تفكري بهن . إنهن لا يستطعن شيئاً ضدي .

اللاهة الاولى — لتأت الينا ، اذا جرؤت ، وسترى ان كنا لا نستطيع شيئاً ضدها .

اورست — صمتاً ، ايتها الكلاب . عُدْن الى مرقدكن ! (تهدر اللاهات) تلك التي كانت أمس في ثوبها الأبيض ترقص على درجات المعبد ، أيمكن ان تكون إياك ؟

الكتر — لقد شخت . في ليلة واحدة .

اورست — انك ما تزالين جميلة ، ولكن ... اين تراني قد رأيت هاتين

العينين الميتتين ؟ الكترا ... انك تشبهينها ؛ تشبهين كليتملسترا . أكان من المجدي أن أقتلها ؟ انني حين ارى جريمتي في هاتين العينين ، أجده فظيعاً مخيفاً .

الالاهة الاولى – ذلك انها تجدك فظيعاً مخيفاً .

اورست – أهذا صحيح ؟ أصحيح اني أثير لديك الاشمئزاز والخوف ؟

الكترا – دعني .

الالاهة الاولى – وإذن ؟ هل يبقى لديك ايّ شك ؟ كيف تراها لن تحقد عليك ؟ كانت تعيش بسلام مع أحلامها ، فأتيت تحمل الذبح والتدنيس . وها هي ذي ، تشاطرك غلطتك ، مسلوبةً على هذه القاعدة ، قطعة الارض الوحيدة الباقية لها .

اورست – لا تصغي إليها .

الالاهة الاولى – ابتعد ! ابتعد ! اطرديه يا الكترا ، ولا تدعي يده تلمسك . إنه جزّار ! وعلى يديه رائحة الدم الرطب . لقد قتل العجوز قتلةً قذرة ، لو تعلمين ، إذ ارتدّ عليها بضع مرات .

الكترا – ألا تكذبين ؟

الالاهة الاولى – تستطيعين ان تصدقيني . لقد كنت هناك ، وكنت اطير حولها .

الكترا – وقد طعنها عدة طعنات ؟

الالاهة الاولى – ما يقارب العشر . وفي كل طعنة ، كان السيف يحدث صوتاً في الجرح . وكانت تغطّي وجهها وبطنها بيديها ، فقطع لها يديها .

الكترا – هل تألمت كثيراً ؟ ألم تمت على الفور ؟

اورست – كفّي عن النظر اليهن ، وسدّي أذنيك ، وأياك خصوصاً ان تطرحي عليهن الاسئلة ؛ ستهلكين اذا طرحت عليهن الاسئلة .

الالاهة الاولى – لقد تألمت ألماً فظيعاً .

الكترا (مخفية وجهها بيديها) – ها !

اورست – إنها تريد ان تفصل بيننا ، وهي تنصب حولك جدران العزلة .

فحذار ؛ إنك حين تصبحين وحدك ، وحدك وبلا عون ، فسينقضضن عليك . اسمعي يا الكترا : لقد قررنا هذا القتل معاً ، ويجب ان نتحمل نتائجه معاً .

الكترا – تدعي اني أردته ؟

اورست – أليس ذلك صحيحاً ؟

الكترا – لا . ليس صحيحاً .. انتظر ... بلى ! آه ! لست ادري بعد . لقد حلمت بهذه الجريمة . ولكنك انت الذي نفذها ، يا جلاد أمّك بالذات .

الالاهات (ضاحكات صارخات) – جلاد ! جلاد ! جزار !

اورست – إن العالم وراء هذا الباب يا الكترا . العالم والصباح . وفي الخارج، تطلع الشمس على الدروب . اننا سنخرج عما قليل ، وسنسير على الدروب المشمسة ، وستفقد بنات الليل هؤلاء قدرتهن : فان أشعة النهار ستخترقهن كالسيوف .

الكترا – الشمس ...

الالاهة الاولى – إنك لن تري الشمس ابداً يا الكترا . لسوف نتكوم بينها وبينك كموجة من الجراد ، وستحملين الليل على رأسك في كل مكان .

الكترا – دعيني ! كفّي عن تعذيبي !

اورست – إن ضعفك هو الذي يكسبهن قوتهن . انظري : انهن لا يجرؤن على ان يقلن لي شيئاً . اسمعي : إن ذعراً ليس له من اسم قد حطّ عليك وهو الذي يفصل بيننا . ومع ذلك ، فما الذي عشتِه ولم أعشه ؟ أتظنّين أن اذني ستكفان يوماً عن سماع أنّات أمي؟ وعيناها الهائلتان – محيطان هائجان – في وجهها الطبشوري ، اتظنين ان عينيّ ستكفان يوماً عن رؤيتها ؟ والتمزق الذي يتأكلك ، أتعتقدين انه سيكف يوماً عن تمزيقي ؟ ولكن ما يهمني : انني حر . فيما وراء التمزق والذكريات . حر . ومنسجم مع نفسي . يجب ألا تحقدي على نفسك يا الكترا . أعطيني يدك : انني لن أتركك .

الكترا – دع يدي ! صحيح أن هاتيك الكلبات السود حولي تخيفني، ولكن أقل منك .

الالاهة الاولى – أترى ! أترى ! أليس صحيحاً ايتها الدمية الصغيرة اننا أقل إخافة لك منه ؟ إنك بحاجة الينا ، يا الكتر ، انك ابلتنا . انت بحاجة الى مخالبنا لتنقب في لحمك ، وأنت بحاجة الى أسناننا لتعض صدرك ، وانت بحاجة الى حبنا المغتذي بلحم البشر ليصرفك عن الحقد التي تحملينه لنفسك ، وانت بحاجة الى ان تتألمي في جسمك لتنسي آلام روحك . تعالي ! تعالي ! ليس لك الا ان تهبطي درجتين ، وسنتلقاك بأذرعتنا ، وستمزق قبلاتنا لحمك الطري ، وسيحل النسيان ، النسيان على نار الألم النقي .

الالاهات – تعاليْ ! تعاليْ !

(يرقصن بهدوء ، كما لو انهن يردن ان يسحرنها . تنهض الكتر) .

اورست (قابضاً على ذراعها) – لا تذهبي ، أبتهل اليك ، سيكون في ذلك هلاكك .

الكتر (متخلصة بعنف) – ها ! انني أكرهك .

(تهبط الدرجات ، فتنقض عليها الالاهات جميعاً) .

الكتر – النجدة ! النجدة !

(يدخل جوبيتر)

المشهد الثاني

الأشخاص انفسهم – جوبيتر

جوبيتر – إلى مرقدكنّ !

الالاهة الاولى – السيّد !

(تبتعد الالاهات على مضض ، تاركة الكتر ممددة على الارض)

جوبيتر – يا للصبية المسكينة ! (يقترب من الكتر) أهذا هو مصيرك إذن ؟ إن الغضب والشفقة يتنازعان قلبي . إنهضي يا الكتر : فما دمت هنا ، فانّ لباتي ان يؤذينك (يساعدها على النهوض) اي وجه رهيب . ليلة واحدة ! ليلة واحدة ! اين هي نضارتك القروية ؟ إن كبدك ورئتيك وطحالك قد ساءت في ليلة واحدة ، فليس جسمك بعدُ إلاّ جسماً بائساً . آه ! ايها الشباب المدّعي الجنون ! كم قد جلبت على نفسك من مصائب !

اورست – اترك هذه اللهجة يا صاحبي : فهي لا تناسب ملك الآلهة .

جوبيتر – وانت كذلك ، اترك هذه اللهجة المتكبرة : فهي لا تناسب مذنباً يكفّر عن جريمته .

اورست – انا لست مذنباً ، ولن تستطيع ان تحملني على التكفير عما لا أعارف به جرماً .

جوبيتر – ربما كنت على خطأ ، ولكن صبراً : انني لن اتركك في الخطأ طويلا .

اورست – تأمل ما شئت : فانني لست نادماً على شيء .

جوبيتر – حتى ولا على الذلّ الذي غرقت فيه أختك بسبب خطأك ؟

اورست – حتى ولا على هذا .

جوبيتر – هل تسمعينه ، يا الكتر ؟ هوذا من كان يزعم أنه يحبك .

اورست – أحبّها اكثر من نفسي . ولكن آلامها صادرة عنها ، وهـي وحدها من تستطيع ان تتخلص منها : انها حرّة .

جوبيتر – وانت ؟ ربما كنت انت ايضاً حراً ؟

اورست – انت تعرف هذا جيداً .

جوبيتر – انظر الى نفسك ، ايها المخلوق الوقح البليد : إن لك في الحقيقة هيئة متعالية ، ملتوية بين سيقان إله منقذ ، مع هذه الكلبات الجائعات اللواتي يحاصرنك . إذا جرؤت على الزعم بانك حر ، فـلا بد إذن من الاشادة بحرية الأسير المثقل بأغلاله ، في جوف زنزانة ، وحرية العبد المصلوب .

اورست – ولِمَ لا ؟

جوبيتر – حذارِ : إنك تتطاوس لأن ابولون يحميك . ولكن ابولون هو خادمي المطيع . فاذا رفعتُ إصبعاً ، تخلّى عنك .

اورست – وماذا تنتظر ؟ إرفع اصبعاً ، ارفع يدك كلّها .

جوبيتر – وما جدوى ذلك ؟ ألم أقل لك اني أنفر من العقاب ؟ لقد جئت أنقذك .

الكتر – تنقذنا ؟ كفّ عن السخرية ، يا سيّد الانتقام والموت ، فليس من المسموح به – حتى لإله – ان يمنح الذين يتألمون أملاً خادعاً .

جوبيتر – تستطيعين بعد ربع ساعة ان تكوني خارج هذا المعبد .

الكتر – سليمة معافاة ؟

جوبيتر – اني أمنحك كلمة الشرف .

الكتر – وما الذي ستطلبه مني بالمقابل ؟

جوبيتر – لا أطلب منك شيئاً ، يا بنيتي .

الكتر – لا شيء ؟ هل ما أسمعه صحيح ، ايها الإله الطيب ، ايهـا الآله المعبود ؟

جوبيتر – او لا شيء تقريباً . ان ما تستطيعين ان تعطيني اياه بكل سهولة هو بعض الندم .

اورست – حذار يا الكتر : ان هذا اللاشيء سيثقل على روحك كالجبل .

جوبيتر – (لألكتر) – لا تصغي اليه . بل أجيبني أنا : كيف تراك لا تقبلين انكار هذا الجرم؟ ان شخصاً آخر هو الذي ارتكبه ولا نكاد نستطيع ان نقول انك كنت ضالعة معه .

اورست – الكتر ! اتراك ستنكرين خمسة عشر عاماً من الحقد والأمل ؟

جوبيتر – من يتحدث عن الإنكار ؟ انها لم تُرد قط هذا العمل التدنيسي .

الكتر – واحسرتاه !

جوبيتر – هيّا ! ان بوسعك ان تثقي بي . ألست أقرأ في القلوب ؟

الكتر (غير مصدقة) – وانت تقرأ في قلبي أني لم أرد هذه الجريمة ؟ بينما حلمت طوال خمسة عشر عاماً بالقتل والانتقام ؟

جوبيتر – كفى ! ان تلك الاحلام الدامية التي كانت تهدهدك ، كان لهـا لون من البراءة : كانت تقنّع عنك عبوديتك ، وكانت تـلأم جراح كبريائك . ولكنك لم تفكري قط بتحقيقها . فهل أنا مخطىء ؟

الكتر – آه ! يا إلهي العزيز ، كم أتمنى ألاّ تكون مخطئاً !

جوبيتر – انت فتاة صغيرة جداً يا الكتر . وقد كانت الفتيات الصغيرات الاخريات يتمنين أن يصبحن أغنى النساء جميعاً أو أجملهن . اما أنت، المسحورة بقدر جنسك الفظيع ، فقـد تمنيتِ أن تصبحي اكثر النساء ألمـاً واجراماً . انـك لم تريدي الشر قط : لم تريدى الا شقاءك بالذات . ان الاولاد ، في مثل سنك ، ما يزالون يلعبون بالدمية او بالقفز ؛ امـا انت ، المسكينة الصغيرة التي لا تملك دُمى ولا رفاقاً ، فقد لعبت بالقتل ، لأنها لعبة يستطيع المرء ان يلعبها وحده .

الكترا – يا للأسف! يا للأسف! انني أستمع اليك وارى بوضوح أعماق قلبي .

اورست – الكترا ! الكترا ! انما انت الآن مذنبة . من يستطيع ان يعرف ما أردته غيرك انت ؟ فهل تراك تتركين احداً آخر يقرّر ذلــك ؟ لماذا تشوّهين ماضياً لا يمكن بعدُ ان يدافع عن نفسه؟ لماذا تنكرين تلك « الالكترا » الحاقدة التي كنتها ، تلك الالاهة الشابة ، إلاهــة الحقد ، التي أحببتها كثيراً ؟ أولاً ترين أن هذا الرب القاسي يتلاعب بك ؟

جوبيتر – أتلاعب بكما ؟ بل اسمعا ما الذي اقترحه عليكما : اذا انكرتما جريمتكما ، أقمتكما كليكما على عرش ارغوس .

اورست – بدلاً من ضحيتينا ؟

جوبيتر – هذا ما ينبغي .

اورست – وسأرتدي ثياب المرحوم الملك التي ما تزال دافئة ؟

جوبيتر – هذه الثياب او سواها ، سيّان .

اورست – نعم ؛ شريطة ان تكون سوداء ، أليس كذلك ؟

جوبيتر – ألست في حداد ؟

اورست – الحداد على امي ، كنت أنسى ذلــك . ورعيتي ، أينبغي ايضاً ان أُلبسها السواد ؟

جوبيتر – إنها ترتديه حالياً .

اورست – هذا صحيح. لندع لها الوقت الكافي لإبلاء ثيابها القديمة . حسناً، هــل فهمتِ يا الكترا ؟ اذا ذرفت بعض الدموع ، أُعطيت تنانــير كليتمنستر وقمصانها – تلــك القمصان النتنة الملطخة التي غسلتها بيديك طوال خمسة عشر عاماً . ودورها كذلك ينتظرك ، فليس لــك الا ان تأخذيه ؛ وسيكون الوهم ممتازاً ، وسيظنّ الجميع انهم يرون امك ثانية ، لأنك أخذتِ تشبهينها . اما انا، فاني اكثر اشمئزازاً : انني لن ارتدي ثياب المهرج الذي قتلته .

جوبيتر – انك ترفع رأسك عالياً جــداً : لقد طعنت رجلاً لم يكن يملك وسيلة الدفاع عن نفسه وعجوزاً كانت تطلب العفو؛ ولكن الذي يسمعك تتكلم

من غير ان يعرفك قــد يظن أنك أنقذت مسقط رأسك ، وانت تقاتل وحدك ضد ثلاثين .

اورست – ربما أكون في الواقع قد انقذت مسقط رأسي .

جوبيتر – أنت ؟ أتعرف مــا وراء هذا الباب ؟ سكان أرغوس – جميع سكان أرغوس إنهم ينتظرون منقذهم بالحجارة والمناشير والهراوات ليعبروا له عن عرفانهم . انك وحدك كالمصاب بالبرص .

اورست – نعم .

جوبيتر – إذهب ، ولا تفخر بذلك . لقــد قذفوك في عزلة الاحتقار والفظاعة ، يا أجبن القاتلين !

اورست – إن أجبن القاتلين هو الذي يعاني الندم .

جوبيتر – اسمع يا اورست ! لقــد خلقتك وخلقت كل شيء : فانظر (تنشق جدران المعبد ، وتبدو السماء متلألئة بالنجوم التي تدور . جوبيتر في داخــل المسرح ، يصبح صوته هائلاً – مكبّر صوت – ولكن المشاهد لا يكاد يميزه) إنظر إلى هذه الكواكب التي تدور في نظام ، من غــير ان تتصادم أبداً : أنا الذي نظمت مجراها ، وفقاً للعدل . اسمع انسجام الكرات، هذا النشيد المسبّح الهائل الذي يتردد في اربعة اركان السماء (ميلودرامه) باسمي تخلد الانواع والأجناس ، وقد أمرت ان يولد دائماً انسان من انسان وان يكون طفل الكلب كلباً ، وباسمي يمتــد لسان الامواج الرقيق ليلحس الرمــل وينسحب في الساعة المحددة ، وأنا الذي أنمي النبات ، وأنفاسي هي التي تقود حــول الارض سحائب اللقاح السوداء . انت لست في بيتك ايها الدخيل ؛ وانمــا انت في العالم كالشظية في اللحم ، كالصيّاد الذي لا يحق له الصيد في الغابة الملكية : ذلك أن العالم طيّب ؛ ولقد خلقته وفق رغبتي وانا الخير . اما انت ، فقد فعلت الشر ، والاشياء تتهمك بصوتها المتحجّر : إن الخير قائم في كل مكان ، إنــه نخاع البيلسان ، ونداوة الينبوع ، وحبّة الصوان وثقل الحجارة ؛ إنك واجده حتى في طبيعة النار والنور ، بل ان جسمك نفسه يكشف عنه ، لأنه ينسجم مــع اوامري . إن « الخير » في نفسك ، وخارج

نفسك ، وهو يخترقك كمنجل ، ويسحقك كجبل ، ويحملك ويدفعك كبحر ؛ وهو الذي أتاح نجاح مشروعك السيء ، لأنه كان ضوء الشموع ، وصلابة سيفك ، وقوة ذراعك . وهذا « الشر » الذي تفاخر به ، والذي تسمّي نفسك فاعله ، ما يكون إن لم يكن إنعكاس الوجود ، إن لم يكن حجة ومهرباً ، إن لم يكن صورة خادعة وجودها نفسه مدعوم « بالخير » . عُدْ فادخل في نفسك يا اورست : إن الكون يخطّئك ، وانت نفاية في الكون . عُدْ فادخل في الطبيعة ، ايها الابن المشوّه : اعرف خطأك ، واحتقره ، وانتزعه من نفسك كسنّ مسوّسة منتنة . او اخش ان ينحسر البحر امامك ، وان تنضب الينابيع على دربك ، وان تتدحرج الحجارة والصخور خارج طريقك ، وان تتفتّت الارض تحت قدميك .

اورست – لتتفتّت ! ولتُدِنّي الصخور ، ولتذبل الزهور لدى مروري : ان عالمك كلّه لن يكفي لتخطئتي . انت ملك الآلهة يا جوبيتر ، ملك الصخور والنجوم ، ملك امواج البحر . ولكنك لست ملك البشر .

(تتقارب الجدران ، ويبدو جوبيتر من جديد ، متعباً ، مقوس الظهر ؛ يستعيد صوته الطبيعي) .

جوبيتر – لست ملكك ، ايها الشبح الوقح . فمن خلقك اذن ؟

اورست – انت . ولكن ما كان ينبغي لك ان تخلقني حرّاً .

جوبيتر – لقد أعطيتك الحرية لتخدمني .

اورست – هذا ممكن ، ولكنها ارتدّت عليك ، ولا حيلة لنا بها ، لا انا ولا انت .

جوبيتر – أخيراً ، ها هو الاعتذار .

اورست – انني لا اعتذر .

جوبيتر – حقاً ؟ أتعرف انها تشبه كثيراً الاعتذار ، تلك الحرية التي تقول انك عبدٌ لها ؟

اورست – انا لست السيد ، ولا العبد ، يا جوبيتر . إنني حريتي ! فما كدت

خلقتني حتى كففت عن أن أخصّك .

الكترا – أستحلفك بأبينا يا اورست ، لا تُضِفْ التجديف الى الجريمة .

جوبيتر – إسمعها ، وافقد الأمل في ان تستردّها بحججك : إن هذه اللهجة تبدو جديدة بما فيه الكفاية على سمعها – وهي تصدمها بما فيه الكفاية .

اورست – وعلى سمعي ايضاً ، يا جوبيتر . وعلى حلقي الذي يهمس بالكلمات ، ولساني الذي يكوّنها عندما تمرّ به : انني أجد مشقّة في فهم نفسي . لقد كنتَ حتى الأمس غشاوة على عينيّ ، وسدادةً من شمع في أذني ؛ وبالأمس كان عندي عُذر : كنتَ عُذري بان أوجد ، لأنك كنت قد خلقتني في العالم لأخدم أغراضك ، وكان العالم سمسارة عجوزاً تحدثني عنك بلا انقطاع . ثم تركتني بعد ذلك .

جوبيتر – أتركك ، أنا ؟

اورست – أمس ، كنتُ قرب الكترا ، وكانت طبيعتك كلّها تُحيط بي ؛ كانت الجنيّة تنشد أغاني « خيرك » وتمحضني نصائحها . وكان النهار المحرق يرقّ كما يلطف النظر ، ليحرّضني على الرّقة ؛ ولكي تدعوني السماء الى نسيان الإهانات ، كانت تعذُب وتحلو كأنها الصفح . كان شبابي ، ليطيع اوامرك ، قد نهض فوقف امام نظري ، مبتهلاً كخطيبة يهمّ خطيبها بتركها : وكنت ارى شبابي للمرة الأخيرة . ولكن فجأة ، انقضّت الحرّية عليّ فأرعدت فرائصي ، وقفزت الطبيعة الى خلف ، فلم يكن لي بعدُ من عُمر ، وأحسستني وحيداً كل الوحدة ، وسط عالمي الصغير التافه ، كمن فقد ظله ؛ ولم يكن ثمة شيءٌ بعدُ في السماء ، لا « خير » ولا « شر » ، ولا أحد ليصدر إليّ اوامره .

جوبيتر – وإذن ؟ أيجب عليّ أن أعجب بالنعجة التي يعزلها الجربُ عن القطيع ، او بالأبرص الذي هو محبوس في محجره ؟ تذكر يا اورست : لقد كنت واحداً من قطيعي ، وكنت ترعى كلأ حقولي وسط نعاجي . وليست حريتك الا جرباً يتأكلك ، انها ليست الا منفى .

اورست – حقٌ ما تقول : منفى .

جوبيتر – ليس الشرّ شديد العمق : فقد بدأ بالأمس فحسب . عُدْ الينا . عُدْ : وانظر كم انت وحيد ، فحتى أختك تتركك . إنك ممتقع اللون ، والقلق يوسع عينيك . أتؤمل أن تعيش ؟ هأنت ذا متأكل بشرٍّ لا بشري ، ايها الغريب على طبيعتي والغريب على نفسك ذاتها . عُدْ : فأنا النسيان ، انا الراحة .

اورست – غريب على نفسي ، أعرف هذا . خارج الطبيعة ، ضد الطبيعة ، بلا عذر ولا ملجأ إلا فيّ . ولكنني لن أعود تحت شريعتك : فأنا محكومٌ علي بألا تكون لي شريعة اخرى غـير شريعتي . انني لن أعود الى طبيعتك : إن هنـاك الف درب مرسومة فيها تؤدي اليك ، ولكني لا أستطيع ان أتبع إلا دربي . ذلك اني انسان يا جوبيتر ، وعلى كل انسان ان يخترع دربه . إن الطبيعة تشمئز من الانسان ، وانت ، انت ، رب الأرباب ، انت ايضاً تشمئز من البشر .

جوبيتر – انك لا تكذب : فحين يشبهونك ، أكرههم .

اورست – حذار : لقد اعترفت بضعفك . اما انا ، فلا اكرهك . ما شأني بك ؟ إننا ننساب أحدنا بموازاة الآخر ، من غـير ان نتماسّ ، كسفينتين . انك رب ، وانا حر : فنحن متشابهان في الوحدة ، وضيقنا متشابـه . من ذا الذي قال لك إني لم أبحث عن الندم ، في اثناء هـذه الليلة الطويلة ؟ الندم . النوم . ولكني لا أستطيع بعدُ أن أعاني الندم . ولا أن أنام .

(صمت)

جوبيتر – ماذا تنوي أن تفعل ؟

اورست – إن سكان ارغوس هم ناسي . ويجب ان أفتح عيونهم .

جوبيتر – يا للناس المساكين ! انك ستهدي إليهم الوحدة والعار ، إنـك ستنتزع الأقمشة التي غطيتهم بها ، وستريهم فجأة حياتهم ، حياتهم القذرة الباهتة التي أعطوها من أجل لا شيء .

اورست – لماذا تراني ارفض أن أقدّم لهم اليأس الذي أعانيه ، ما دام هذا نصيبهم ؟

جوبيتر – وما عساهم يصنعون به ؟

اورست – ما يشاءون : انهم أحرار ، والحياة الانسانية تبـدأ في الجانب الآخر من اليأس .

(صمت)

جوبيتر – الحق ان هذا كله كان متوقعاً يا اورست . كان لا بـد لرجل من ان يأتي ليعلن غروبي. أفهذا أنت ؟ من الذي كان يمكن ان يصدق هذا ، أمس ، لدى رؤية وجهك الانثوي ؟

اورست – وهل كنت أصدّق هذا انا نفسي ؟ ان الكلمات التي أقولها هي اكبر من ان يستوعبها فمي ، فهي تمزّقه ؛ والقـدَر الذي أحمله هو أثقل من ان يحمله شبابي ، وقد حطّمه .

جوبيتر – انني لا أحبّك قط ، وانا مع ذلك أرثي لك .

اورست – وكذلك انا أرثي لك .

جوبيتر – وداعاً ، يا اورست . (يخطو بضع خطوات) وأمـا انت يا الكترا ، فكري بهذا : إن مملكتي لم تنته بعد ، مهما كان الأمر ، وانا لا اريـد ان اترك الصراع . فانظري إن كنت معي او ضدي . وداعاً .

اورست – وداعاً .

(يخرج جوبيتر)

للذهب ، وسنسير بخطى ً ثقيلة ، منحنيين تحت عبئنا الثمين . ستعطينني يــدك وسنمضي ..

الكتر — الى اين ؟

اورست — لا ادري ؛ نحو أنفسنا . ان في الجهة المقابلة من الانهار والجبال اورستاً والكتراً ينتظراننا . فيجب ان نبحث عنهما في صبر .

الكتر — انني لا اريد ان أسمعك بعد . انــك لا تقدّم لي الا المصيبة والاشمئزاز . (تقفز على المسرح . تقترب الالاهات ببطء) النجدة ! النجدة ! يا جوبيتر ، يا ملك الآلهة والبشر ، يا مليكي ، خذني بين ذراعيك ، احملني . احمني . انني سأتبع شريعتك ، سأكون عبدتك وملكك ، وسأعانق قدميك ركبتيك . احمني من الذباب ، من أخي ، من نفسي ، ولا تدعني وحيدة ، انــني سأكرس حياتي كلها للتكفير . انني أتوب ، يا جوبيتر ، أتوب .

(تخرج وهي تعدو)

المشهد الثالث

الأشخاص أنفسهم (ما عدا جوبيتر)

(الكتر تنهض على مهل)

اورست — الى اين انت ذاهبة ؟

الكتر — دعني . ليس لديّ ما أقوله لك .

اورست — انتِ التي عرفتك أمس فقط ، أينبغي ان أفقدك الى الأبد ؟

الكتر — ليتني لم أعرفك قط .

اورست — الكتر ! يا اختي ! يا اختي الحبيبة ! حبيبتي الوحيدة ، عذوبة حياتي الفريدة ، لا تتركيني وحدي ، إبقيْ معي .

الكتر — ايهــا السارق ! لم أكن املك شيئاً ، الا قليلاً من الهدوء وبعض الأحلام . وقــد سلبتني كل شيء ، سرقت فتاة فقيرة . كنت أخي ، ورئيس أسرتنا ، وكان عليك ان تحميني : ولكنك أغرقتني في الدم ، فأنا حمراء كبقرة مذبوحة ؛ ان كل الذباب يلاحقني ، الذباب الأكول ، وقلبي قفيرٌ فظيع !

اورست — صحيح هذا يا حبيبتي ، لقد أخذت منك كل شيء ، وليس لديّ ما اعطيك اياه — الا جريمتي . ولكنها هدية عظيمة . أتظنّين أنها لا تثقل على ضميري كالرصاص ؟ لقد كنّا خفيفين اكثر مما ينبغي يا الكترا : أما الآن ، فان أقدامنا تنغرسُ في الأرض كما تنغرسُ عجلات عربة في الأثلام . تعالي ، سوف

المشهد الرابع

اورست – الالاهات

(تقوم الالاهات بحركة ليتبعن الكتر ، فتوقفهن الالاهة الاولى)

الالاهة الاولى – دَعنها يا اخواتي ، انها تفلت منا . ولكن هذا يبقى لنا ، ولأجل طويل ، كما أعتقد ، لأن روحه الصغيرة صلبة . وهو سيتألم من أجل اثنين .

(تأخذ الالاهات في الطنين ويقتربن من اورست)

اورست – انني وحيد .

الالاهة الاولى – ولكن لا ، يا أجمل القتلة ، فانا باقية لك : وسترى اي لُعَب سأخترعها لأسليك .

اورست – سأبقى وحيداً حتى الموت . فبعد ..

الالاهة الاولى – تشجعن يا أخواتي ، انه يضعف . أنظرن : ان عينيه تلمعان : وعما قليل ستصدي أعصابه كاوتار قيثارة تحت عصف الارهاب .

الالاهة الثانية – ولن يلبث الجوع ان يطرده من ملجإه : وسنعرف مذاق دمه قبل ان يحل هذا المساء .

اورست – يا لألكتر المسكينة .

(يدخل المربي)

المشهد الخامس

اورست – الالاهات – المربّي

المربي – هذا انت ، يا معلمي ، اين انت ؟ أنني لا أرى شيئاً . وقد حملت لك بعض الطعام : ان سكان ارغوس يحاصرون المعبد ، ولا تستطيع ان تفكر بالخروج منه : وهذه الليلة ، سنحاول ان نفرّ . وبانتظار ذلك ، كل . (تسد الالاهات الطريق عليه) ها ! من هنّ هؤلاء ؟ وساوس اخرى ؟ كم أحنُّ الى بلد « الأتيك » الرقيق ، حيث كان عقلي على حق .

اورست – لا تحاول ان تقترب مني ، والا فانهنّ سيمزّقنك شرّ ممزّق .

المربي – مهلاً يا جميلاتي . خُذْن هذه اللحوم وهذه الفاكهة ، اذا كان باستطاعة عطاياي ان تهدئكن .

اورست – تقول ان سكان ارغوس متجمعون امام المعبد ؟

المربي – وكيف ! ولن استطيع ان اقول لك أيها أشد ضراوة في الرغبة بايذائك : اهؤلاء الفتيات الجميلات او اتباعك الاعزاء اولئك .

اورست – حسناً (فترة) . افتح هذا الباب .

المربي – هل انت مجنون ؟ انهم هنا ، خلفه ، يحملون اسلحتهم .

اورست – افعل ما اقوله لك .

المربي – ستسمح لي هذه المرة ان أعصاك . أقول لك انهم سيمزقونك .
اورست – انني معلمك ايها العجوز ، وآمرك بان تفتح الباب .

(يشق المربي الباب)

المربي – اولالا ! اولالا !
اورست – على مصراعيه !

(يفتح المربي الباب ويختبيء وراء احد المصراعين . تدفع الجموع المصراعين بعنف وتقف مذهولة على العتبة . نور قوي)

المشهد السادس

الاشخاص انفسهم – الجموع

(صراخ في الجموع : الموت له ! الموت له ! قطعوه ! مزقوه ! الموت له !)

اورست (من غير ان يصغي اليهم) – الشمس !
الجموع – ايها المدنس ! ايها القاتل ! ايها الجزار ! سوف نقطعك إربـاً ! ونصب الرصاص المذوّب في جروحك .
امرأة – سأقتلع عينيك .
رجل – سآكل كبدك .
اورست (ينتصب) ها أنتم اولاء ، يا اتباعي المخلصين ؟ انني اورست ، ملككم ، ابن آغاممنون ، وهذا اليوم هو يوم تتويجي .

(تهدر الجموع ، مبلبلة مشوشة)

لقد كففتم عن الصياح ؟ (تسكت الجموع) أعرف : انني أخيفكم . منذ خمسة عشر عاماً تماماً ، انتصب امامكم قاتل آخر ، وكان يرتدي قفازين أحمرين حتى المرفقين ، قفازين من دم ، ولم تخافوا منه ، لانكم قرأتم في عينيه أنه كان منكم ، وانه لم يكن يحمل شجاعة أعماله . ان الجريمة التي لا يستطيع مرتكبها ان يتحملها ، ليست جريمة أحد ، أليس كذلك ؟ انها حادث عرضي تقريباً . ولقد استقبلتم القاتل كأنه ملككم ، وأخذت الجريمة القديمة

تروح وتجيء بين جدران المدينة ، وهي تئن في رقة ، ككلب فقد معلمه . انكم تنظرون الي يا سكان أرغوس ، وقد فهمتم أن جريمتي تخصني وحدي ؛ انني اطالب بها في وجه الشمس ، انها سبب حياتي وفخري ، وانتم لا تستطيعون أن تعاقبوني ولا أن ترثوا لي ، ومن أجل هذا تخافون مني . ومع ذلك، فاني أحبكم ، يا أتباعي ، ومن أجلكم انتم قتلت . من أجلكم . لقد جئت اطالب بملكتي ، فطردتموني لأنني لم أكن منكم . اما الآن ، فأنا منكم ، يا رعاياي ، اننا مرتبطون بالدم ، وانا أستحق ان اكون ملككم . ان أخطاءكم وندمكم ووساوسكم الليلية ، وجريمة أجيست ، ان ذلك كله لي ، وأنا آخذ كل شيء على عاتقي . فلا تخافوا بعدُ موتاكم ، فانهم **موتاي** . وانظروا : لقد تركتكم ذبابكم المخلص وأقبل عليّ . ولكن لا تخافوا يا سكان أرغوس : فانني لن أجلس والدم يقطر مني على عرش ضحيتي : فقد قدّمه لي إله فقلت لا اريد ان اكون ملكاً بلا ارض ولا رعايا . فوداعاً يا شعبي ، وحاولوا ان تعيشوا : ان كل شيء جديد هنا ، وكلُّ شيء للبدء والحياة تبدأ كذلك بالنسبة لي . وانها لحياة غريبة . اسمعوا هذا ايضاً : ذات صيف ، هاجم الجرذان جزيرة سكيروس ، فأخذت تقضم كل شيء، وكان ذلك وباً عظيماً ؛ وقد حسب سكان المدينة انهم يموتون من جرّاء ذلك . ولكن أقبل ذات يوم عازف ناي ، فانتصب في قلب المدينة — على هذا النحو (ينهض واقفاً) وأخذ يعزف على الناي ، فاذا بالجرذان كله يتجمع حوله . ثم أخذ يمشي بخطى واسعة ، على هذا النحو (يهبط عن القاعدة) وهو يصيح في سكان سكيروس : « ابتعدوا ! » (تبتعد الجماهير) ورفعت جميع الجرذان رؤوسها مترددة ، كما يفعل الذباب . انظروا ! انظروا الى الذباب ! وفجأة ، لحقت الجرذان به . واختفى عازف الناي مع جرذانه الى الابد . على هذا النحو .

(يخرج ؛ ترتمي الالاهات على أثره وهي تهدر وتصيح)

(ستار)

جَلسة سِرّيّة

مسرحية في فصل واحد

الى تلك « السيدة » .

الأشخاص

اينــاس
استيل
غارسين
الخــادم

المشهد الاول

غارسين - خادم المبني

(صالة على طراز الامبراطورية الثانية . تمثال برونزي على المدفأة)

غارسين (يدخل وينظر فيما حوله) — هكذا إذن .

الخادم — هكذا .

غارسين — الأمر على هذا النحو . .

الخادم — الامر على هذا النحو .

غارسين — أظن . . اظنّ ان المرء لا بدّ له ، مـع الزمن ، من ان يتعوّد على الأثاث .

الخادم — هذا يتوّقف على الأشخاص .

غارسين — أتكون جميع الغرف متشابهة ؟

الخادم — أتظنّ ذلك ؟ فنحن يأتينا صينيون وهندوكيون . فـاذا تريدهم ان يفعلوا باريكة من طراز الامبراطورية الثانية ؟

غارسين — وأنا ، ماذا تريدني أن أفعل بهـا ؟ أتعرف من كنت ؟ دعك ! ليس لهذا أية أهمية . لقد كنت بعد كل حساب أعيش وسط أثاث لم أكن أحبّه ، وفي اوضاع زائفة ، كنت أعشق هذا . وضع زائف في غرفـة طعام من طراز لويس — فيليب ، ألا يوحي لك هذا بشيء ؟

الخادم – سوف ترى : إن الأمر ليس رديئاً ايضاً في صالة من طراز الامبراطورية الثانية .

غارسين – هكذا إذن ؟ حسناً ، حسناً ، حسناً . (ينظر فيا حوله) لم اكن على اي حال أتوقع هذا ... وانت لا بد تعلم ما يريدونه هناك ؟

الخادم – بأي صدد ؟

غارسين – (بحركة مبهمة عريضة) بصدد هذا كله .

الخادم – كيف تستطيع أن تصدق هذه البلاهات ؟ إن اولئك لم يضعوا قدمهم هنا قط . ولو أنهم قد جاءوا ..

غارسين – نعم .

(يضحكان كلاهما)

غارسين – (مستعيداً رصانته فجاة) – اين هي المقالي ؟

الخادم – ماذا ؟

غارسين – المقالي والمشاوي والأقماع الجلدية .

الخادم – هل انت تمزح ؟

غارسين (ناظراً اليه) – آه ؟ حسناً ، لا ، لم ارد المزاح (صمت ، يذرع المكان جيئة وذهاباً) ليس ثمةمن مرايا ولا نوافذ، طبعاً. ليس ماهو قابلاً للكسر (بعنف مفاجيء) ولماذا نزعوا مني فرشاة أسناني ؟

الخادم – ها هي ذي . ها هي الكرامة البشرية تعاودك . هذا فظيع .

غارسين (يدق على ذراع الأريكة غاضباً) – أرجوك ان توفر علي رفـع الكلفة بيننا . انني لا أجهل شيئاً من وضعي ، ولكنني لن أحتمل أن ...

الخادم – كفى ! كفى ! اعذرني . مـا الحيلة ؟ إن جميع الزبائن يطرحون السؤال نفسه . يأتون فيقولون : « اين هي المعدات ؟ » وفي تلك اللحظة ، أقسم لك أنهم لا يفكرون بالقيام بزينتهم . ثم مـا ان يطمئنوا ، حتى تكون فرشاة الاسنان حاضرة . ولكن قـل لي بالله عليك ، اتراك لا تستطيع ان تفكر ؟ إنني ، بعد كل شيء ، أسألك : لماذا تريد ان تنظف اسنانك ؟

غارسين (وقد استعاد هدوءه) – صحيح ، في الواقع ، لماذا ؟ (ينظر فيا حوله) ولماذا ينظر الناس الى أنفسهم في المرايا ؟ في حين أن البرونز ، من حسن الحظ .. أتصور أن هنـاك لحظات انظر فيها بعيني على سعتهما . على سعتهما ، أتسمع ؟ الى ، كفى ، ليس ثمة ما يمكن إخفاؤه ؛ اقول لـك اني لا أجهل شيئاً من وضعي . اتريد أن اروي لك كيف يجري هـذا ؟ ان الرجل يختنق ، يغطس ، يغرق ، ويبقى نظره وحده خارج المـاء ، وماذا يرى ؟ قطعة برونز من صنع « باربوديان »[1] . أي كابوس ! هيا ، لا شك في انهم قد منعوك من ان تجيبني ، ولهذا لا ألح . ولكن تذكر أني لا أؤخذ على حين غرة ، فلا يخطر لـك ان تبتهج بأنك قد فاجأتني؛ انني انظر الىالموقف مواجهة (يعود الى ذرع المكان جيئة وذهابا) ليس ثمة اذن فرشاة أسنان . ولا سرير . ذلك ان المرء لا ينام أبـداً ، بالطبع ؟

الخادم – عجباً !

غارسين – كنت سأراهن على ذلك لماذا ينام المرء ؟ ان النوم يأخذك من وراء أذنيك ، وانت تشعر بعينيك تنغلقان ، ولكن لماذا تنام ؟ انك تتمدد على الاريكة ثم فجأة ... يطير النوم . يجب ان تفرك عينيك ، وتنهض مرة اخرى ويبدأ كل شيء من جديد .

الخادم – كم أنت خيالي !

غارسين – اسكت . انني لن أصرخ ، ولن أئن ، ولكني اريد ان اواجه الموقف مواجهة . انني لا اريد ان يقفز علي الموقف قفزاً من الوراء ، من غير ان اتمكن من تعرّفه . أهذا خيالي ؟ ان هذا يعني انـه لا حاجة بنا للنوم . فلماذا ننام اذا لم نكن ناعسين ؟ حسناً . انتظر . انتظر : لماذا يكون هذا شاقاً ؟ لماذا يكون بالضرورة شاقاً ؟ انني ادرك : هي الحياة بلا انقطاع .

الخادم – اي انقطاع ؟

غارسين (مقلداً اياه) – اي انقطاع ؟ (بلهجة ارتياب) انظر الي . لقـد كنتُ

---

١ – سباك فرنسي (١٨١٠ – ١٨٩٠) صنع كثيراً من تماثيل البرونز . (هـ.م)

متأكداً من ذلك . هذا ما يشرح وقاحة نظرك الخشنة . الحقيقة انها أصبحت هزيلة .

الخادم – ولكن عمَّ تتحدث ؟

غارسين – عن جفونك . ان جفوننا تخفق ، نحن ، وهذا ما يسمى بطرفة عين . برق صغير أسود ، وستار يهبط ويرتفع : وهكذا يتم الانقطاع . ان العين تترطّب والعالم يتلاشى . انك لا تستطيع ان تعرف كم كان ذلك منعشاً . أربعة آلاف استراحة في ساعة . أربعة آلاف فرار صغير . وحين أقول أربعة آلاف ... فماذا إذن ؟ أتراني سأعيش بلا جفون ؟ لا تتباله . بلا جفون ، بلا نوم ، الأمر سواء . انني لن أنام بعد ... ولكن كيف تراني سأستطيع أن أحتمل نفسي ؟ حاول ان تفهم ، ابذل بعض الجهد : ان لي طبعاً مناكفاً ، كما ترى ، وقد ... قد تعوَّدت أن أناكف نفسي . ولكني لا أستطيع أن أناكف نفسي بلا راحة : فهنالك كانت الليالي . وكنت أنام . وكان نومي لذيذاً . على سبيل التعويض . كنت أصنع لنفسي أحلاماً بسيطة . كان هناك سهل ... سهل ، هذا كل شيء . وكنت أحلم انني كنت أتنزّه فيه . هل الوقت نهار ؟

الخادم – انت ترى جيداً ان المصابيح مضاءة .

غارسين – عجباً ! ان هذا هو نهاركم . وفي الخارج ؟

الخادم (مذعوراً) – الخارج ؟

غارسين – الخارج ! فيما وراء هذه الجدران .

الخادم – ان هناك ممرّاً .

غارسين – وفي آخر الممرّ ؟

الخادم – هناك غرف وممرّات اخرى وسلالم .

غارسين – وبعد ذلك ؟

الخادم – هذا كل شيء .

غارسين – ان لك طبعاً يوماً للخروج . فأين تذهب ؟

الخادم – الى بيت خالي ، الذي هو رئيس الخدم ، في الطابق الثالث .

غارسين – كان عليَّ ان ادرك ذلك . أين هو مفتاح الكهرباء ؟

الخادم – ليس هناك من مفتاح .

غارسين – اننا لا نستطيع اذن أن نطفىء النور ؟

الخادم – تستطيع الادارة أن تقطع المجرى . ولكني لا أذكر انها فعلت ذلك في هذا الطابق بالذات . ان الكهرباء تحت تصرفنا .

غارسين – حسناً جداً . واذن ، فيجب على المرء أن يعيش مفتوح العينين ...

الخادم (بلهجة ساخرة) – أن يعيش ...

غارسين – انك ان تجادلني بسبب احد المفردات . مفتوح العينين للأبد . سيظلُّ في عينيّ نهار ساطع . وفي رأسي . (فترة) ولنفرض اني سألقي تمثال البرونز على المصباح الكهربائي ، فهل تراه ينطفيء ؟

الخادم – انه أثقل من أن تستطيع حمله .

غارسين (يتناول التمثال البرونزي بيديه ويحاول ان يرفعه) – انت على حق . انه أثقلُ من أن يُحمل .

(صمت)

الخادم – اذا لم تكن بحاجة لي بعد ، فاني سأتركك .

غارسين (منتفضاً) – أأنت ذاهب ؟ الى اللقـــاء (يتجه الخادم الى الباب) انتظر . (يلتفت الخادم) هل ذلك جرس ؟ (يوميء الخادم ايماءة ايجاب) هل أستطيع أن أقرع الجرس حين أريد ، وهل أنت مجبرٌ على أن تأتي ؟

الخادم – مبدئياً ، نعم . ولكن هذا الجرس صاحب مزاج . ان في آليّته ما هو معطّل .

(يتجه غارسين الى الجرس فيضغط على الزر ، يرن الجرس)

غارسين – انه صالح !

الخادم (مندهشاً) – انه صالح (يدق بدوره) ولكن لا تنخدع ، فذلك لا يستمر . هيّا . انني في خدمتك .

غارسين (يقوم بحركة ليستبقيه) - انني . .

الخادم – ماذا ؟

غارسين – لا ، لا شيء . (يتجه الى المدفأة ويأخذ قاطعة الورق) ما هذا ؟

الخادم – انت ترى جيداً : انها قاطعة ورق .

غارسين – وهل ثمة من كتب هنا ؟

الخادم – لا .

غارسين – ما جدواها اذن ؟ (يهز الخادم كتفيه) حسناً . اذهب .

(يخرج الخادم)

المشهد الثـــاني

غارسين (وحده)

(غارسين وحده . يتجه الى تمثـــال البرونز ويلامسه بيده . يجلس . ثم ينهض . يتجه الى الجرس فيضغط على الزر ، فلا يقرع الجرس . يحاول مرتين أو ثلاثاً . ولكن عبثاً . فيتجه الى الباب ويحاول ان يفتحه ، ولكن الباب يصمد . ينادي)

غارسين – أيها الخادم ! أيها الخادم !

(لا جواب ، يطر الباب بضربات من قبضته وهو ينادي الخـــادم . ثم يهدأ فجأة ويذهب ليجلس . في هذه اللحظة يفتح الباب وتدخل ايناس ، يتبعها الخادم)

المشهد الثـــالث

غارسين – ايناس – الخادم

الخادم (لغـارسين) هل ناديتني ؟

(يهم غارسين بالاجابة ، ولكنه يلقي نظرة على ايناس)

غارسين – لا .

الخادم (ملتفتاً الى ايناس) – أهلاً وسهلاً يا سيدتي . (ايناس صامتة) ان كان لديك أسئلة تطرحينها عليّ ... (تظل ايناس صامتة)

الخادم (خائباً) – ان الزبائن يحبُّون عادةً أن يستعلموا ... وأنا لا ألحُّ . والحق أن السيد مطـّلع على شؤون فرشاة الاسنان والجرس وتمثال باربادیان ، وهو سيجيبك مثل اجابتي لك .

(يخرج . صمت . غارسين لا ينظر الى ايناس . ايناس تنظر فيما حولها ، ثم تتجه فجأة نحو غارسين)

ايناس – أين فلورانس ؟ (غارسين يصمت) أسألك أين هي فلورانس ؟

غارسين – لا أدري من ذلك شيئاً .

ايناس – أهذا كل ما وجدته لتجيبني به ؟ التعذيب غيابياً ؟ لقد فشلت . ان فلورانس كانت بلهاء صغيرة ، وانا غير متحسِّرة عليها .

غارسين – استميحك العذر : من تُراك تظنينني ؟

ايناس – أنت ؟ انك الجلاّد .

غارسين (ينتفض ثم يأخذ في الضحك) – انه التبـــاس على غاية الطرافة . الجلاد ، حقاً ! لقد دخلتِ ، فنظرت اليّ وفكـّرت : انه الجلاد . أية غرابة ! ان الخادم مضحك ، فقد كان يجب عليه ان يقدّم أحـدنا للآخر . الجـلاد ! أنا جوزف غارسين ، صحفي وأديب . والحقيقة هي انـنـــا نسكن تحت اللافتة نفسها . السيدة ...

ايناس (بجفاء) – ايناس سيرانو . آنسة .

غارسين – حسناً . ممتاز . لقد تحطـّم الجليد . انـــك اذن ترين اني أشبه جلاداً ؟ وما هي العلامات الفارقة للجلادين ، من فضلك ؟

ايناس – يبدون وكأنهم خائفون .

غارسين – خائفون ؟ ان هذا بالغ الطرافة . وممن ؟ من ضحاياهم ؟

ايناس – كفى ! انني أعرف ما أقول . لقد نظرت الى نفسي في المرآة .

غارسين – في المرآة ؟ (ينظر فيما حوله) ان هذا مزعج حقاً : لقد نزعوا كل ما يمكن ان يشبه مرآة . (فترة) على أي حال ، أستطيع أن اؤكد لك اني لست خائفـــاً . انني لا أنظر الى الموقف نظرة استخفاف ، وانا شديد الوعي بخطورته ولكني لست خائفاً .

ايناس (هازة كتفيها) هذا من شأنك (فترة) هل يتفق لك بين الفينـــة والفينة ان تقوم بنزهة في الخارج ؟

غارسين – ان الباب مقفل .

ايناس – هذا أسوأ .

غارسين – انني أفهم أن يزعجك حضوري . وأنا شخصياً كنت أفضـّل ، لو خيِّرت ، ان أبقى وحدي : فيجب ان أنظـّم حيـــاتي ، وانا بحـاجة الى الانفراد . ولكني واثق من ان بامكاننا ان نتدبّر الأمر بيننا : فأنا لا أتـكلم ، ولا أتحرّك قط ، وأحـــدث ضجة يسيرة . على اني ارى ، اذا سمحت لنفسي باسداء نصيحة ، انه لا بد من المحافظة على تأدب كبير فيما بيننا . وسيكون

ذلك أفضل دفاع لنا .

ايناس — انني لست متأدّبة .

غارسين — انني اذن سأكون مؤدّباً بما يكفي شخصين .

(صمت . غارسين جالس على الاريكة . ايناس تروح وتجيء .)

ايناس (ناظرة اليه) — فمك .

غارسين (منتزعاً من حلمه) — عفواً ؟

ايناس — الا تستطيع ان توقف فمك ؟ انه يدور كالبلبل تحت أنفك .

غارسين — استميحك العذر : انني لم أكن متنبّهاً لذلك .

ايناس — هذا ما آخذه عليك (تشنج عضلي في وجه غارسين) لقد عدت ؟ انت تزعم انك مؤدّب وتترك وجهك على سجيّته . انت لست وحدك ولا يحق لك ان تجشّمني مشهد خوفك .

(ينهض غارسين ويتجه اليها)

غارسين — ألست خائفة ، انت ؟

ايناس — وما جدوى ذلك ؟ ان الخوف صالح قبلُ ، حين كنا نحتفظ بالأمل .

غارسين (بهدوء) — ليس ثمة بعد من أمل ، ولكننا دائماً قبل . اننا لم نبدأ في العذاب ، يا آنسة .

ايناس — أعرف ذلك (فترة) واذن ؟ ما الذي سيأتي ؟

غارسين — لا أدري . انني أنتظر .

(صمت . يعود غارسين للجلوس . تعود ايناس الى الرواح والمجيء . ينتاب غارسين تشنج عضلي في فمه ، ثم ، بعد نظرة يوجهها لايناس ، يخفي وجهه في يديه . تدخل استيل والخادم)

المشهد الرابع

ايناس ، غارسين ، استيل ، الخادم

([illegible]ظر الى غارسين الذي لم يرفع رأسه)

[illegible] لغارسين) — لا ، لا ، لا ترفع رأسك . انا أعرف ما الذي تخفيه بيدي[illegible] انه لم يبق لك من وجه (غارسين يسحب يديه) ها ! (فترة، بدهشة) انني [illegible] .

[illegible] — لست الجلاّد ، يا سيدتي .

[illegible] — لم أكن اظنّك الجلاد . لقد ... لقد ظننت ان أحداً كان يريد ان ي[illegible] لعبة (للخادم) من تنتظر بعد ؟

[illegible] — لن يأتي أحدٌ بعد .

[illegible] متعزية) — آه ! سنبقى إذن وحدنا ، انا والسيد والسيدة ؟

[illegible] في الضحك)

[illegible] (بجفاء) — ليس هناك ما يُضحك .

[illegible] (ماضية في الضحك) — ولكن ما أبشع هذه الارائك ! وانظروا كيف[illegible]ها ، انه ليخيّل اليّ ان اليوم هو رأس السنة ، واني في زيارة لخالتي [illegible] . أظنّ ان لكلٍّ مقعده . هل هذا لي ؟ (للخادم) ولكنني لن أستط[illegible]اً أن أجلس عليه ، هذه كارثة : فأنا ارتدي الازرق الفاتح ، وهو أخض[illegible] نجي .

ذلك أفضل دفاع لنا .

ايناس – انني لست متأدّبة .

غارسين – انني اذن سأكون مؤدّباً بما يكفي شخصين .

(صمت . غارسين جالس على الاريكة . ايناس تروح وتجيء .)

ايناس (ناظرة اليه) – فمك .

غارسين (منتزعاً من حلمه) – عفواً ؟

ايناس – الا تستطيع ان توقف فمك ؟ انه يدور كالبلبل تحت أنفك .

غارسين – استميحك العذر : انني لم أكن متنبّهاً لذلك .

ايناس – هذا ما آخذه عليك (تشنج عضلي في وجه غارسين) لقد عدت ؟ انت تزعم انك مؤدّب وتترك وجهك على سجيّته . انت لست وحدك ولا يحق لك ان تجشّمني مشهد خوفك .

(ينهض غارسين ويتجه اليها)

غارسين – ألست خائفة ، انت ؟

ايناس – وما جدوى ذلك ؟ ان الخوف صالح قبـــلُ ، حين كنا نحتفظ بالأمل .

غارسين (بهدوء) – ليس ثمة بعد من أمل ، ولكننا دائماً قبل . اننا لم نبدأ في العذاب ، يا آنسة .

ايناس – أعرف ذلك (فترة) واذن ؟ ما الذي سيأتي ؟

غارسين – لا أدري . انني أنتظر .

(صمت . يعود غارسين للجلوس . تعود ايناس الى الرواح والمجيء . ينتاب غارسين تشنج عضلي في فمه ، ثم ، بعد نظرة يوجهها لايناس ، يخفي وجهه في يديه . تدخل استيل والخادم)

المشهد الرابـــع

ايناس ، غارسين ، استيل ، الخادم

(استيل تنظر الى **غارسين** الذي لم يرفع رأسه)

استيل (لغارسين) – لا ، لا ، لا ترفع رأسك . انا أعرف مـــا الذي تخفيه بيديك ، أعرف انه لم يبق لك من وجه (غارسين يسحب يديه) ها ! (فترة، بدهشة) انني لا أعرفك .

غارسين – لست الجلاّد ، يا سيدتي .

استيل – لم أكن اظنّك الجلاد . لقد ... لقد ظننت ان أحـداً كان يريد ان يلعب معي لعبة (للخادم) من تنتظر بعد ؟

الخادم – لن يأتي أحدٌ بعد .

استيل (متعزية) – آه ! سنبقى إذن وحدنا ، انا والسيد والسيدة ؟

(تأخذ في الضحك)

غارسين (بجفـــاء) – ليس هناك ما يُضحك .

استيل (ماضية في الضحك) – ولكـــن ما أبشع هذه الارائك ! وانظروا كيف وضعوها ، انه ليخيـــل اليّ ان اليوم هو رأس السنة ، واني في زيارة لخالتي ماري . أظنّ ان لكلٍّ مقعده . هل هذا لي ؟ (للخادم) ولكنني لن أستطيع أبداً أن أجلس عليه ، هذه كارثة : فأنا ارتدي الازرق الفاتح ، وهو أخضر اسبانجي .

ايناس ـ هل تريدين مقعدي ؟
استيل ـ المقعد طراز بوردو ؟ انت لطيفة جداً ، ولكنه ليس خـــيراً من ذلك على الاطلاق . لا ، ماذا تريدين ؟ ان لكـــل نصيبه : ان نصيبي المقعد الأخضر ، فأنا أحتفظ به . (فترة) المقعد الوحيد الذي قد يناسب ، هو مقعد السيـد .

(صمت)

ايناس ـ هل سمعت يا غارسين ؟
غارسين ـ (منتفضاً) ـ الـ . . . مقعد . اوه ؟ عفواً (ينهض) انني اقدمه لك يا سيدتي .
استيل ـ شكراً (تنزع معطفها وترميه على المقعد . فترة) لنتعارف ما دمنـا سنسكن معاً . انا استيل ريغو .

(ينحني غارسين ويهم بان ينطق باسمه ، ولكن ايناس تمر من امامه) .

ايناس ـ ايناس سيرانو . انني سعيدة جداً .

(ينحني غارسين من جديد)

غارسين ـ جوزف غارسين .
الخادم ـ هل انتم بحاجة الي بعد ؟
استيل ـ لا . اذهب . سأقرع لك الجرس .

(ينحني الخادم ويخرج)

المشهد الخامس

ايناس ، غارسين ، استيل

ايناس — انت جميلة جداً . وقد وددت لو كنت أملك زهـوراً لأحيّي بها مقدمك .
استيل : زهـــور ؟ نعم . كنت احب كثيراً . ولكنها ستذبل هنـــا : فالحرارة اشد من ان تحتمل . المهم هـــو ان يحتفظ المرء بالبشاشة . أنتِ . . .
ايناس : نعم ، في الاسبوع الماضي . وانت ؟
استيل : أنا ؟ أمس . ولم تنته الحفـــلة (تتكلم بلهجة طبيعية جداً ، ولكن كما لو أنها كانت ترى ما تصفه) إن الريح تزيح غلالة أختي . انها تفعل ما في وسعها لتبكي . هيا ؛ هيا ! مزيداً من الجهد . هكذا، دمعتان، دمعتان صغيرتان تلتمعان تحت الغلالة . إن اولغا جارديه قبيحة جداً هذا الصباح . وهي تمسك أختي من ذراعها . انها لا تبكي بسبب «الريميل» على جفونها ، وينبغي ان اقول انني لو كنت مكانها . . . لقد كانت خير صديقاتي .
ايناس : هل تألمت كثيراً ؟
استيل : لا ، الأصح ان اقول اني كنت مخبّلة .
ايناس : وما الذي كنت . . .
استيل : ذات الرئة (اللهجة السابقة نفسها) حسناً ، لقد ذهبوا . صباح الخير ،

صباح الخير ، ما اكثر الايدي الـتي تصافح ! زوجي مريض من فرط الاسى ، وقـد ظل في البيت . (لايناس) وانت ؟

ايناس : اختنقت بالغاز .

استيل : وانت ، يا سيد ؟

غارسين : اثنتا عشرة رصاصة في الجسم (حركة من استيل) اعـذريني ، فأنا لست ميتاً لطيف المعاشرة .

استيل : اوه حبذا يا سيدي العزيز لو انك لم تستعمل فقط كلمات قاسية الى هذا الحد . ان هذا ... يصدم . وما الذي يعينه ، في نهاية الأمر ؟ ربما لم نكن قط أحياء كما نحن اليوم . واذا كان لا بد من وصف لهذا الوضع ، فأنا أقترح ان نُسمّى غائبين ، فهذا أدق . كم انقضى من الزمن على غيابك ؟

غارسين : زهاء شهر .

أستيل : ومن اي بلد أنت ؟

غارسين : من ريو .

أستيل : اما انا ، فمن باريس . هل لك هناك من أقرباء بعد ؟

غارسين: زوجتي (بلهجة استيل نفسها) لقد جاءت الى الثكنة كما تجيء كل يوم، فلم يدعوها تدخل . وأخذت تنظر عبر قضبان الحاجز ، وهي لم تكن تعـرف بعد أني أصبحت غائباً ، وان كانت ترتاب في ذلك . ثم ذهبت . وكانت ترتدي السواد . وهـذا أفضل ، فهي لن تكون بحاجـة الى تغيير ثيابهـا . ولم تكن تبكي ؛ انهـا لم تكن من قبل لتبكي قط ؛ وكانت هي مجللة بالسواد في الشارع المقفر ، بعينيهـا الكبيرتين ، عيني الضحيـة . آه ! كانت تزعجني .

(صمت . يتجه غارسين ليجلس على مقعد الوسط ويضع رأسه بين يديه)

ايناس : أستيل .

استيل : يا سيد ، يا سيد غارسين !

غارسين : عفواً !

أستيل : لقد جلستَ على مقعدي .

غارسين : المعذرة .

(ينهض)

أستيل : كنتَ في حالة استغراق شديد .

غارسين : انني أنظّم حياتي . (تأخذ ايناس في الضحك) والذين يضحكون يحسنون صنعاً بأن يحتذوا حذوي .

ايناس : انها منظّمة ، حياتي أنا . منظمة تماماً . لقد نظمت نفسها بنفسها هناك ، فلا حاجة بي لأن أهتم بها .

غارسين : حقاً . وتحسبين أن الأمر بهذه السهولة (يمر يده على جبينه) ما أشد الحر ! هل تسمحان لي ؟

(يهم بنزع سترته)

استيل : آه . كلا . (بلهجة أرق) لا . انني أشمئز من الرجال حين يظهرون بأكمام قمصانهم .

غارسين : (لابساً معطفه من جديد) حسناً (فترة) اما انا ، فقد كنت أقضي ليـالي في قاعات التحرير. وكان الحر فيها شديداً دائماً (فترة باللهجة السابقة نفسها) ان الحر فيها شديد . وها هو الليل .

استيل – عجباً ، صحيح انه الليل . ان اولغا تخلع ثيابها . كم يمر الوقت سريعاً ، على الارض .

ايناس – انه الليل . وقد وضعوا الختم على باب غرفتي . وغرفتي فـارغة في الظلام .

غارسين – لقد وضعوا ستراتهم على ظهور كراسيهم وشمروا أكمام قمصانهم الى فوق مرافقهم . وكانت تنبعث منها رائحـة البشر والغليـون (صمت) كنت احب أن أعيش وسط الرجال وهم في قمصانهم .

استيل : الواقع ان ذوقينا مختلفان. وهذا هو الدليل . (متوجهة الى ايناس)

هل تحبين انت هـذا ، الرجال وهم في قمصانهم ؟

إيناس : بقمصان او بغير قمصان ، لا أحب الرجال كثيراً .

استيل : (تنظر اليهما معاً في ذهول) ـ ولكن لماذا ، لماذا تراهم قد جمعونا ؟

ايناس : (بصرخة مكتومة) ماذا تقولين ؟

استيل : انني انظر اليكما كليكما وافكر بأننا سنبقى معاً . كنت أتوقع أن أجد اصدقاء لي او اقرباء .

ايناس : صديقاً ممتازاً في وسط وجهه ثقب !

استيل : وهـذا ايضاً . كان يرقص التانغو كراقص محترف . ولكن نحن ، نحن ، لماذا جمعونا ؟

غارسين : الحق انها المصادفة . انهم يضعون الناس حيث يستطيعـون ، وفقاً لدورهم في الوصول (لايناس) لماذا تضحكين ؟

ايناس : لأنك تسليني انت ومصـادفتك . أتكون بمثل هذه الحاجـة الى الاطمئنان ؟ إنهم لا يتركون شيئاً للمصادفة .

استيل : (بحياء) ولكن ربما نكون قد التقينا في الماضي ؟

ايناس ـ على الاطلاق . فلو لقيتك لما نسيتك .

استيل ـ ربما كانت لنـا إذن علاقات مشتركة ؟ الا تعرفين آل دوبوا ـ سيمور ؟

ايناس ـ لا أظنّ .

استيل ـ لقد كانوا يستقبلون جميـع الناس .

ايناس ـ وماذا يعملون ؟

استيل (مندهشة) ـ انهم لا يعملون شيئاً . بـل هم يمتلكون قصراً في « كوريز » و ...

ايناس ـ كنت ، أنا ، مستخدمة في البريد .

استيل (تتراجع قليـلا) ـ آه ؟ هكـذا إذن ؟ ... (فـترة) وأنت يا سيد غارسين ؟

غارسين ـ لم أغادر ريو قط .

استيل ـ إذا كان الأمر كذلك،فأنت على حق : إن المصادفة هي التي جمعتنا .

ايناس ـ المصادفة . وهذا الاثاث هو هنـا إذن بالمصادفة . ومصادفة أن يكون المقعد إلى اليمين أخضر سبانخياً ، وأن يكون المقعد إلى اليسار من طراز بوردو . مصادفة ، أليس كذلـك ؟ حسناً ، حاولي اذن أن تغيّري موضعهما وخبريني ماذا يحدث . وتمثال البرونز، أهو مصادفة كذلك ؟ وهذا الحرّ ؟ وهذا الحرّ ؟ (صمـت) أقول لكم انهم قد رتبوا كل شيء، حتى في أدقّ التفاصيل، وبمحبّة . لقد كانت هذه الغرفة في انتظارنا .

استيل ـ ولكن كيف ذلك ؟ ان كل شيء هنا قبيح جداً ، وقـاس جداً ، ومقرّن جداً . لقد كنت أكره الزوايا .

ايناس (هازاً كتفيـه) ـ أتظنـين اني كنت أعيش في صالة من طراز الامبراطورية الثانية ؟

(فترة)

أستيل ـ ان كل شيء اذن متوقّع ؟

ايناس ـ كل شيء . ونحن فيما بيننا منسجمون .

أستيل ـ أليس من قبل المصادفـة أن تكوني **أنت** تجاهي أنا ؟ (فـترة) ماذا ينتظرون ؟

ايناس ـ لا ادري . ولكنهم ينتظرون .

استيل ـ لا أستطيع أن أحتمل ان يُنتَظَر مني شيء . ان هذا سرعان ما يرغّبني بان أفعل العكس .

ايناس ـ حسناً ، افعليه ! افعليه اذن ! انك لا تعرفين حتى ماذا يريدون .

استيل (ضاربة بقدمها) ـ ان هذا غير محتمل . ولا بـد من ان يحدث لي شيء بسببكما ! (تنظر اليهما) بسببكما . كانت هناك وجوه تحدثني على الفور . امـا وجهاكما ، فلا يقولان لي شيئاً .

غارسين (فجأة لايناس) ـ هيّا ، لماذا نحن معاً ؟ لقد قلت عن ذلك اكثر مما

ينبغي : فاستمرّي حتى النهاية .

ايناس (منـــدهشة) – ولكني لا أعرف عن هذا شيئاً على الاطلاق

غارسين – بل يجب ان تعرفي . (يفكر لحظة)

ايناس – ليت كلاً منا يملك فقط شجاعة أن يقول ...

غارسين – ماذا؟

ايناس – استيل !

استيل – عفواً !

ايناس – ماذا فعلت ؟ لماذا أرسلوك الى هنا ؟

استيل (بحيويـــة) – ولكني لا أعرف ، لا أعرف على الاطـــلاق بل أنا أتساءل عما اذا لم يكن في الأمر خطأ . (لإينـــاس) لا تبتسمي. وفكري بعدد الناس الذين ... الذين يغيبون كل يوم . انهم يأتون الى هنـــا بالألوف ولا يلتقون الا" بمرؤوسين أو بمستخدمين لا ثقافة لهم . فكيف تريد ألا" يكون ثمة خطأ ؟ ولكن لا تبتسمي (لغـــارسين) وأنت ، قل شيئاً . لئن أخطأوا في حالتي ، فمن الممكن ان يخطئوا في حالتك (لإينـاس) وكذلك في حالتك انت . أفليس من الأفضل أن نعتقد بأننا موجودون هنا خطأ" ؟

ايناس – أهذا كل ما عندك لتقوليه لنا ؟

استيل – ماذا تريدان أن تعرفا اكثر من ذلك ؟ ليس لديّ ما أخفيه . لقد كنت يتيمة" وفقيرة ، وكنت أربي أخي الأصغر . وقد طلب يدي صديق قديم من أصدقاء أبي . وكان غنياً وطيباً ، فقبلت . ماذا كنت تفعلين لو كنت مكاني؟ كان أخي مريضاً ، وكانت صحته تتطلب اكبر حظوظ العناية . وقد عشت ستة أعوام مع زوجي بلا غيوم . ومنذ عامين ، التقيت الذي كان لا بـد" أن أحبه ، وقد عرف أحدنا الآخر على الفور ، وكان يريد أن أذهب معه ، ولكني رفضت ، وبعد ذلك أصبت بذات الرئة . هذا كل شيء . ربما كان بالإمكان أن يؤخذ عليّ باسم بعض المبادىء أن أضحي بشبابي من أجـــل عجوز . (لغارسين) أتعتقد أن هذا خطأ ؟

غارسين – بالطبع لا (فترة) وأنت ، هل تجدين من الخطأ أن يعيش المرء وفق مبادئه ؟

استيل – من الذي يستطيـع أن يؤاخذك على ذلك ؟

غارسين – كنت أُدير صحيفة تدعو إلى السلام . وانفجرت الحرب . فما العمل ؟ كانت عيون الجميـع مسدّدة" إليّ . « أتراه يجرؤ ؟ » ولقـــد جرؤت . وشبكت ذراعي فأطلقوا عليّ الرصاص . أين هو الخطأ ؟ أين هو الخطأ ؟

استيل (تضع يدها على ذراعه) ليس هناك من خطأ . فأنت ...

ايناس (تتم العبارة . بلهجة ساخرة) – بطل . وزوجتك يا غارسين ؟

غارسين – زوجتي ؟ لقد انقذتها من المستنقع .

استيل (لإيناس) – أترين ! أترين !

ايناس – أرى (فترة) على من تقوم بالتمثيل ؟ اننا فيما بيننا .

استيل (بوقاحة) – فيما بيننا ؟

ايناس – بين قتَلة . اننا في الجحيم ، يا صغيرتي ، وليس ثمة اي خطأ ابداً ، والأشخاص لا يُعذَّبون أبداً من أجل لا شيء .

استيل اسكتي .

ايناس – في الجحيم ! معذّبون ! معذّبون !

استيل – اسكتي . هل تريدين ان تسكتي ؟ انني امنعك من استعمال كلمات خشنة .

ايناس – معذّبة" هي القدّيسة الصغيرة . معذّب" هو البطل النقيّ . لقـد حصلنا على ساعة متعتنا ، أليس كذلك ؟ إن هناك أشخاصاً تألّموا من أجلنا حتى الموت ، وكان ذلك يسلّينا كثيراً . ولا بدّ الآن من ان ندفع الثمن .

غارسين (مرفوع اليد) – هل تراكما ستصمتان ؟

ايناس (تنظر اليه بلا فزع ، ولكن باندهاش كبير) ها ! (فترة) انظر ! لقد فهمت ، انني أعرف لماذا وضعونا معاً !

غارسين – حذار مما ستقولين .

ايناس — سترى كم أنّ ذلك بليد . بليد الى ما لا حدّ له ! ليس ثمة عذاب جسمي ، أليس كذلك ؟ ومع هـذا ، فنحن في الجحيم . وليس من المنتظر ان يأتي أحد . لا أحد . وسنبقى حتى النهاية معاً . أليس كذلك ؟ على أنّ ثمة من هو ناقص هنا ، بالا… ال : إنّه الجلاّد .

غارسين (بصوت منخفض) — أعرف ذلك جيداً .

ايناس — لقد حققوا توفيراً في الموظفين . هذا كل ما في الأمر . فالزبائن هم أنفسهم الذين يقومون بالخدمة ، كما في المطاعم التعاونية .

استيل — ماذا تقصدين ؟

ايناس — إن الجلاّد هو كلُّ واحدٍ منا بالنسبة للآخرين .

(فترة . يتمثلون النبأ)

غارسين (بصوت رقيق) — لـن أكون جلاّدكما . انني لا أريد بكما أيّ شرّ ، وليس لي من شأن معكما . لا شأن إطلاقاً . وذلك على غاية البساطة . الأمر هو التالي : إن كلا منا قائم في زاويته ؛ هوذا التوقّف في اللعبة . أنت هناك ، وأنت هناك ، وأنا هنا . وصمتاً . لا كلمة : ليس الأمر شاقاً ، أليس كذلك ؟ إنّ كلا منا يملك من العمل مع نفسه ما يكفيه . وأعتقد أن بوسعي أن أبقى عشرة آلاف عام من غير أن أتكلّم .

استيل — أينبغي أن أصمت ؟

غارسين — نعم وسوف ... سوف ننجو . يجب أن نصمت . أن ينظر كلّ منا في نفسه ، وألاّ يرفع رأسه أبداً . متفقون ؟

ايناس — متفقون .

استيل (بعد تردّد) — متفقون .

غارسين — إذن ، وداعاً .

(يتجه الى مقعده ، ويضع رأسه بين يديه . صمت . تأخذ ايناس في الغناء لنفسها)

في شارع « بلان — مانتو »
وضعوا ألواحاً خشبيه

ووضعوا نخالة في دلو
وكان ذلك مقصلة
في شارع « بلان — مانتو »

في شارع « بلان — مانتو »
نهض الجلاّد باكراً
ذلك انّ أمامه عملاً
فعليه ان يقطع رؤوس جنراليه
ومطارنة واميرالية
في شارع « بلان — مانتو »

في شارع « بلان — مانتو »
جاءت نساء أنيقات
بحلى جميلات
ولكنهن كنّ بلا رأس
كان الرأس قد تدحرج من أعلى
الرأس مع القبعة
في مجرى « بلان — مانتو »

(في هذه الاثناء تتزين استيل بالمسحوق والحمرة ، وتبحث عن مرآة فيما حولها بهيئة قلقة . تبحث في محفظتها ، ثم تلتفت الى غارسين) .

استيل — هل لديك مرآة ، يا سيد ؟ (لا يجيب غارسين) مرآة جيب ، او أي شيء مماثل ؟ (يظل غارسين صامتاً) اذا تركتماني وحيدة ، فاحصلا لي على مرآة ، على الأقل .

(يظل غارسين ورأسه بين يديه ، من غير ان يجيب)

ايناس (باستعجال) — إن في محفظتي مرآة (تفتش في محفظتها . في خيبة) لقد فقدتها . لا بدّ أنهم انتزعوها مني في قلم المحكمة .

استيل — كم أنّ هذا مزعج !

(فترة . تغمض عينيها وتترنح . تهرع ايناس وتمسك بها)

اينياس — سترى كم أنّ ذلك بليد . بليد الى ما لا حدّ له ! ليس ثمّة عذاب جسمي ، أليس كذلك ؟ ومع هذا ، فنحن في الجحيم . وليس من المنتظر ان يأتي أحد . لا أحد . وسنبقى حتى النهاية معاً . أليس كذلك ؟ على أنّ ثمّة من هو ناقص هنا ، بالاجمال : إنّه الجلاّد .

غارسين (بصوت منخفض) — أعرف ذلك جيداً .

اينياس — لقد حقّقوا توفيراً في الموظفين . هذا كل ما في الأمر . فالزبائن هم أنفسهم الذين يقومون بالخدمة ، كما في المطاعم التعاونية .

استيل — ماذا تقصدين ؟

اينياس — إن الجلاّد هو كلُّ واحدٍ منا بالنسبة للآخرين .

(فترة . يتمثلون النبأ)

غارسين (بصوت رقيق) — لــن أكون جلاّدكما . انني لا أريد بكما أيّ شرّ ، وليس لي من شأن معكما . لا شأن إطلاقاً . وذلك على غاية البساطة . الأمر هو التالي : إن كلا منا قائم في زاويته ؛ هوذا التوقّف في اللعبة . أنت هناك ، وأنت هناك ، وأنا هنا . وصمتاً . لا كلمة : ليس الأمر شاقاً ، أليس كذلك ؟ إنّ كلا منا يملك من العمل مع نفسه ما يكفيه . وأعتقد أن بوسعي أن أبقى عشرة آلاف عام من غير أن أتكلّم .

استيل — أينبغي أن أصمت ؟

غارسين — نعم . وسوف ... سوف ننجو . يجب أن نصمت . أن ينظر كلّ منا في نفسه ، وألاّ يرفع رأسه أبداً . متفقون ؟

اينياس — متفقون .

استيل (بعد تردد) — متفقون .

غارسين — إذن ، وداعاً .

(يتجه الى مقعده ، ويضع رأسه بين يديه . صمت . تأخذ اينياس في الغناء لنفسها)

في شارع « بلان — مانتو »
رفعوا ألواحاً خشبية

ووضعوا نخالة في دلو
وكان ذلك مقصلة
في شارع « بلان — مانتو »

في شارع « بلان — مانتو »
نهض الجلاّد باكراً
ذلك انّ أمامه عملاً
فعليه ان يقطع رؤوس جنراليه
ومطارنة واميرالية
في شارع « بلان — مانتو »

في شارع « بلان — مانتو »
جاءت نساء أنيقات
بحلى جميلات
ولكنهن كنّ بلا رأس
كان الرأس قد تدحرج من أعلى
الرأس مع القبعة
في مجرى « بلان — مانتو »

(في هذه الاثناء تتزين استيل بالمسحوق والحمرة ، وتبحث عن مرآة فيما حولها بهيئة قلقة . تبحث في محفظتها ، ثم تلتفت الى غارسين) .

استيل — هل لديك مرآة ، يا سيد؟ (لا يجيب غارسين) مرآة جيب ، او أي شيء مماثل ؟ (يظل غارسين صامتاً) اذا تركتماني وحيدة ، فاحصلا لي على مرآة ، على الأقل .

(يظل غارسين ورأسه بين يديه ، من غير ان يجيب)

اينياس (باستعجال) — إن في محفظتي مرآة (تفتش في محفظتها . في خيبة) لقد فقدتها . لا بدّ أنهم انتزعوها مني في قلم المحكمة .

استيل — كم أنّ هذا مزعج !

(فترة . تغمض عينيها وتترنح . تهرع اينياس وتمسك بها)

ايناس ـ ما بك ؟

استيل (تفتح عينيها من جديـــد وتبتسم) ـ أحسني غريبة (تجس نفسهـا) انني حين لا أرى نفسي، فمها جسست أعضائي أظلُّ أتساءل هل انا موجودة حقاً ، وهذا ما لا تشعرين به انت .

ايناس ـ انت محظوظة . اما أنا ، فأحسني دائماً من الداخل ...

استيل ـ آه ! نعم من الداخــل . إن كل مـا يخطر في الرؤوس مبهمٌ جداً ، وهو يُنيمني (فترة) إن في غرفة نومي ست مرايا كبيرة . إني أراها . أراها . ولكنها هي لا تراني . إنها تعكس المقعد المزدوج والسجادة ، والنافذة ... وكم هي فارغة ، المرآة التي لا أنعكس فيهـا . حين كنت أتــكلم ، كنت أتدبَّر أمري بحيث تكون ثمة مرآة أستطيـع أن أنظر فيها نفسي . كنت أتكلم، وكنت أراني أتكلم . كنت أرى نفسي كما يراني الناس، وكان هـذا يبقيني يقظة . (في يأس) أحمر الشفاه : انني واثقة من اني وضعته مائلاً . انني لا أستطيـع ، مع ذلك ، أن اظلّ بلا مرآة الى الأبد .

ايناس ـ هل تريدين أن أجعل من نفسي مرآة لـك ؟ تعاليْ ، انني ادعوك لتجلسي على مقعدي .

استيل (تشير الى غارسين) ـ ولكن ...

ايناس ـ لا نهتمُّ به .

استيل ـ اننا سنؤذي نفسينا : وانت التي قلت ذلك .

ايناس ـ هل يبدو عليَّ اني اريد ايذاءك ؟

استيل ـ من يدري ؟

ايناس ـ بل أنت التي ستُلحقين بي الاذى . ولكن ماذا في ذلـك ؟ فما دام عليَّ أن أتألم ، فسيَّان عنـــدي أن تكوني انت السبب . إجلسي . اقتربي . ازدادي اقتراباً . انظري في عيني : هل ترين نفسك فيها ؟

استيل ـ انني اراني صغيرة جداً واراني رؤية معتكرة .

ايناس ـ اما انا فأراك . اراك برمّتك . إطرحي عليَّ اسئلة . فلن تكون ثمة مرآةٌ اكثر أمانة مني .

(تلتفت استيل ، منزعجة ، الى غارسين ، كما لو انها تريد ان تستنجد به)

استيل ـ يا سيد ! يا سيد ! ارجو ألاَّ نزعجك بثرثرتنا ؟

(لا يجيب غارسين)

ايناس ـ دعيه ؛ إنه لا حساب له ؛ فنحن وحدنا . إسأليني .

استيل ـ هل صبغت شفتي بالأحمر على نحوٍ صحيح ؟

ايناس ـ أريني . ليس كما ينبغي .

استيل ـ كنت أحسُّ ذلك . من حسن الحظ أنَّ ... (ترمي غارسين بنظرة) أحداً لم يرني . انني اذن اعيد صبغ شفتي .

ايناس ـ هــذا أفضل . لا . إتبعي تخطيط الشفتين ؛ سأساعدك . هنا ، هنا . حسناً .

استيل ـ أهو حسنٌ كما كنت الساعة ، حين دخلت ؟

ايناس ـ بل أفضل ؛ أثقل ، وأقسى . فمك الجحيمي .

استيل ـ وهذا جيِّد؟ كم هو مزعج ألاَّ أستطيع بعدُ أن أحكم بنفسي . هل تقسمين لي بأنَّ ذلك جيد ؟

ايناس ـ الا تريدين ان نرفع الكلفة بيننا ؟

استيل ـ بلى ، أقسمي لي بان ذلك جيد .

ايناس ـ انك جميلة .

استيل ـ ولكن هل تملكين ذوقاً ؟ هل تملكين ذوقي ؟ كم ان هذا مزعج ، كم هو مزعج !

ايناس ـ إنني املك ذوقك ، مـا دمت تعجبينني . انظري اليَّ جيداً . ابتسمي لي . فأنا ايضاً ، لست قبيحة . ألست أفضل من مرآة ؟

استيل ـ لا أدري . انت تخيفينني . لقد أصبحت صورتي في المرايا أليفة . كنت أعرفها معرفــة ممتازة .. سأبتسم : وستمضي بسمتي الى أعمق بؤبؤيك ، والله يعلم ما سوف تؤول اليه .

ايناس ـ ومَنْ يمنعك من ان تجعليني أليفة؟ (يتبادلان النظر . تبتسم استيل وهي

مبهورة بعض الشيء) أراك غير راغبة في رفع الكلفة معي ؟

استيل — يشقّ عليّ ان أرفع الكلفة مع النساء .

ايناس — وخصوصاً مستخدمات البريد ، كما أفترض ؟ ماذا هناك ، في أسفل خدّك ؟ طابع أحمر ؟

استيل — (منتفضة) — طابع أحمر ، أية فظاعة ! اين هذا ؟

ايناس — هنا ! هنا ! انا مرآة القنبر ؛ وانا التقطك يا قنبرتي الصغيرة ! ليس ثمة ايّ احمرار . ادنى احمرار . افرضي أن المرآة أخذت تكذب ؟ او افرضي اني أغمضت عيني ، اني رفضت ان أنظر اليك ، فماذا انت فاعلة بهذا الجمال كله ؟ لا تخافي : يجب ان انظر اليك ، وستبقى عيناي مفتوحتين على سعتهما . وسأكون لطيفة ، لطيفة ، لطيفة جداً . ولكنك سترفعين الكلفة معي في الحديث .

(فترة)

استيل — هل أروقك ؟

ايناس — كثيراً .

(فترة)

استيل (مشيرة الى غارسين بهزة من رأسها) — اودّ لو ينظر اليّ هو ايضاً

ايناس — ها ! لأنه رجل . (لغارسين) لقد ربحت (غارسين لا يجيب) ولكن آن لك ان تنظر اليها ! (يظل غارسين على صمته) لا تمثل هذا الدور ، فانه لم يفتك كلمة مما كنا نقول .

غارسين (رافعاً رأسه فجأة) — تستطيعين ان تقولي ذلك ، ولا كلمة : لقد حاولت طويلاً أن أسدّ اذنيّ بأصابعي ، ولكنكما كنتما تثرثران في رأسي . فهل لكما ان تدعاني الآن ؟ انا لا شأن لي بكما .

ايناس — وهل كان لك شأن بالصغيرة ؟ لقد رأيت محاولاتك : كنت تتخذ تلك الملامح لتثير اهتمامها .

غارسين — أقول لك ان تدعيني . إن هناك من يتحدث عني في الجريدة ، وانا اودّ ان أستمع اليه . انني أهزأ بالصغيرة ، إن كان هذا يهدّئك .

استيل — شكراً .

غارسين — لم اكن اريد ان ابدو فظاً ...

استيل — يا لك من فظّ !

(فترة . انهم واقفون ، احدهم تجاه الآخر)

غارسين — هكذا ! (فترة) لقد ابتهلت اليكما ان تصمتا .

استيل — انها هي التي بدأت . لقد جاءت تقدم لي مرآتها ولم أكن أطلب منها شيئاً على الاطلاق .

ايناس — على الاطلاق . باستثناء أنك كنت تحتكّين به وتفعلين الأفاعيل لكي ينظر اليك .

استيل — وبعد ذلك ؟

غارسين — هل انتما مجنونتان ؟ ألا تريان اين نحن ذاهبون ؟ اسكتا (فترة) سنعود إلى الجلوس بكل هدوء ، وسنغمض أعيننا ، وسيحاول كل منا ان ينسى حضور الآخرين .

(فترة ، يعود الى الجلوس . تتوجهان الى مقعديهما بخطوة مترددة . تلتفت ايناس فجأة)

ايناس — آه ! ان ينسى . اية سخافة ! انني أحسك حتى عظامي . ان صمتك يصرخ في اذني . تستطيع ان تسمّر فمك ، وتستطيع ان تقطع لسانك فهل هذا يمنعك من ان توجد ؟ وهل تُراك ستوقف فكرك ؟ انني أسمع فكرك يطقطق كالساعة المنبه ، وأعرف انك تسمع فكري . ومهما حاولت أن تنزوي على مقعدك ، فانت في كل مكان ، والأصوات تصلني ملطّخة لأنك سمعتها لدى مرورها . لقد سرقت مني حتى وجهي : فأنت تعرفه ، أما انا فلا . وهي ؟ هي ؟ لقد سرقتها مني : فلو كنا انا وهي وحدنا ، أتظنّ انها ستجرؤ على ان تعاملني كما تعاملني ؟ لا ، لا : انزع هاتين اليدين عن وجهك ، فأنا لن اتركك ، لأن ذلك سيكون أيسر مما ينبغي . انك ستبقى هنا ، بلا احساس ، غارقاً في ذاتك كالبوذا ، وستكون عيناي مغمضتين ، وسأشعر بأنها ستهبك جميع ضجيج

حياتها ، وحتى حفيف ثوبها ، وأنها ترسل لـك ابتسامات لا تراها ... ولن أسمح بهذا ! انني أريد ان أختار جحيمي ؛ اريد ان اراك بملء عيني ، وأن أصارع بوجه مكشوف .

غارسين — حسناً . انني أفترض انـه كان من الواجب ان نبلغ هذا ؛ لقد حرّكونا كالاطفال . وليتهم جعلوني أقيم مع رجال ... ان الرجال يعرفون أن يصمتوا . ولكن ينبغي ألاّ نفرط في المطالب (يتجه نحو استيل ويمر يده تحت ذقنها) انني إذن اروق لك ، ايتها الصغيرة ؟ يبدو أنك كنت تغمزينني بعينك !

استيل — لا تلمسني .

غارسين — عجباً ! لنتصارحْ بارتياح لقد كنت احبُّ النساء كثيراً ، لو تعلمين ؛ وكنّ يحببني هنّ ايضاً كثيراً . فلتطمئنّ نفسك ، فليس لنا بعدُ مـا نفقده . التأدُّب ، ما جدواه ؟ الحركات الاحتفالية ، مـا جدواها ؟ اسمعي ! سنكون عما قليل عُراةً كالدود .

استيل — دَعني .

غارسين — كالدود ! آه ! لقد حذّرتكما . انني لم أكن أطلب منكما شيئاً ، الا بعض الصمت وان تتركاني بسلام . وكنت قـد وضعت أصابعي في أذنيّ . وكان غوميز يتكلم ، واقفاً بين الطاولات ، وكان جميع رفاق الجريدة يصغون . وهم بقمصانهم المشمّرة . وكنت اريد أن أفهم ما الذي كانوا يقولونه ، وكان ذلك صعباً : فان احداث الارض تمرُّ بسرعة . أفما كان باستطاعتكما ان تصمتا ؟ اما الآن ، فقد انتهى الأمر ؛ إنه لا يتكلم بعد ، وقد عاد الى رأسه رأيـه في . حسناً ، يجب ان نمضي الى النهايـة . عراة كالدود : اريـد ان أعرف حقيقة وضعي .

ايناس — انك تعرفه . تعرفه الآن

غارسين — مـا لم يعترف كلٌّ منا لماذا أدانوه ، فلن نعرف شيئاً . ابدئي انت ، ايتها الشقراء . لمـاذا ؟ قولي لنا لماذا : إن بوسع صراحتك ان توفر كوارث ؛ فنحن حين نعرف شياطيننا ... هيا ، لماذا ؟

استيل — اقول لك اني أجهل السبب . انهم لم يريدوا أن أعرفه .

غارسين — أعرف ذلـك . وانا ايضاً لم يريدوا ان يجيبوني . ولكني أعرف نفسي . أنت تخافين ان تكوني اول من يتكلم ؟ حسناً . انني سأبدأ . (فترة) أنا لست جميلاً جداً .

ايناس — كفى . نحن نعرف انك فررت من الجندية .

غارسين — دعي هذا . ولا تتحدثي عنه ابداً . انا موجود هنا لأنني عذّبت زوجتي . هذا كل ما في الأمر . طوال خمس سنوات . انها طبعاً ما تزال تتألمّ ؛ ها هي ذي ؛ فما ان أتكلم عنها حتى أراها . إن غوميز هو الذي يهمّني ، غـير اني أراها هي . اين غوميز ؟ طوال خمس سنوات . ولقد اعادوا لهـا امتعتي ، وهي جالسة امام النافذة ، وسترتي على ركبتيها . سترتي المثقوبة اثني عشر ثقباً. اما الدم عليها ، فيشبه الصدأ . وقد احمرّت اطراف الثقوب . ها ! انهـا قطعة متحفية ، سترة تاريخية . وقد ارتديتها ! هل تراك ستبكين ؟ اينتهي بك الأمر الى ان تبكي ؟ كنت أعود الى المنزل ثمـلاً كالخنزير ، وكانت تنبعث مني رائحة الخمر والنساء . وكانت قـد انتظرتني طوال الليل ؛ ولم تكن تبكي . وطبعاً لم توّجه لي كلمة عتاب . عيناها فقط . عيناها الكبيرتان . لست نادماً على شيء . سأدفع الثمن ، ولكني لست نادمـاً على شيء . الثلج يهطل في الخارج . ولكن هل تراك ستبكين ؟ إنها امرأة تملك رسالة الاستشهاد .

ايناس (برقة تقريباً) — لماذا جعلتها تتعذّب ؟

غارسين — لأن ذلك كان سهلاً وكانت كلمة تكفي لتغيّر لونهـا ؛ كانت امرأة حسّية . ها ! لا كلمة عتاب ! وانا رجـل معاكس . كنت انتظر ، كنت انتظر دائماً . ولكن لا ، لا دمعة ولا عتاب . كنت قـد انتزعتها من المستنقع ، فانت تفهمين إذن ؟ إنها تمرُّ يدها على السترة ، من غـير ان تنظر اليها . وإن أصابعها لتتلمّس الثقوب تلمّساً . ماذا تنتظرين ؟ ماذا تأملين ؟ اقول لـك انني لست نادماً على شيء . لقد كانت ، في حقيقة الأمر ، معجبة بي اكثر مما ينبغي. أتفهمين ذلك ؟

اينياس – لا . فلم يكن ثمة من هو معجب بي .

غارسين – هذا أفضل . أفضل بالنسبة لك . ولا بدّ ان ذلك كله يبدو لك تجريدياً . حسناً ، هاك حكاية : كنت قد أسكنتُ عندي خلاسية . ويا لها من ليال ! كانت زوجتي تنام في الطابق الاول ، وكان لا بـد لها من ان تسمعنا . فكانت تنهض قبلنا ، ولما كنا نتأخر في النوم ، فقد كانت تحمل لنا الفطور الى السرير .

اينياس – قذر !

غارسين – نعم ، نعم ، القذر الحبيب (يبدو شارداً) كلا . لا شيء . انّ هذا غوميز ، ولكنه لا يتحدث عني . قذر ، كنتِ تقولين ؟ عجباً : لولا ذلك ، ماذا كنت سأفعل ؟ وانتِ ؟

اينياس – انا ؟ كنت ما يسمّونه هناك امرأة ملعونة . ملعونة سلفاً. ولذلك لم تحدث مفاجأة ضخمة .

غارسين – هذا كل شيء ؟

اينياس – لا ، فهناك ايضاً قضيتي مع فلورانس . ولكن هذه قصة اموات . ثلاثة اموات . هو أولاً ، ثم هي وأنا . لم يبق هناك من أحد بعد، فانا مطمئنة ؛ الغرفة ، بكل بساطة . انني ارى الغرفة ، بين الفينة الفينة . فارغة ، بمصاريع مغلقة . آه ! آه ! لقد انتهى بهم الأمر الى نزع الأختام . للايجار ... أصبحت للايجار . إن على بابها لافتة . هذا ... مضحك .

غارسين – ثلاثة . لقد قلت ثلاثة ، أليس كذلك ؟

اينياس – ثلاثة .

غارسين – رجل وامرأتان ؟

اينياس – نعم .

غارسين – عجباً (صمت) لقد قتل نفسه ؟

اينياس – هو ؟ كان أعجز من ذلك . ومع هذا ، فانه لم ينـج من العذاب . لا ، وانما هو ترام قد دهسه . يا للسخرية ! كنت اسكن في بيتهم ، وكان هـو

ابن عمي .

غارسين – وكانت فلورانس شقراء ؟

اينياس – شقراء (نظرة لأستيل) انني ، لو تعلم ، لست آسفة على شيء ، ولكن لا يسلّيني كثيراً أن اروي لك هذه الحكاية .

غارسين – هيا ! هيا ! هل كنت مشمئزة منه ؟

اينياس – شيئاً فشيئاً . كلمة من هنا ، وكلمة من هناك . كان مثلاً يُحدث صوتاً فيما هو يشرب ؛ وكان ينفخ بأنفه في قدحه . اشياء تافهة . اوه ! كان شخصاً مسكيناً ، قابلاً للجرح . لماذا تبتسم ؟

غارسين – لأنني انا ، لست قابلاً للجرح .

اينياس – هذا ما يحتاج لإثبات . لقد اندسستُ فيها ، فرأته بعينيّ... وفي النهاية ظلّت على ذراعي . وقد استأجرنا غرفة في الطرف الآخر من المدينة .

غارسين – وبعد ذلك ؟

اينياس – بعد ذلك الترام . كنت اقول لها كل يوم : هكذا ! يا صغيرتي ! لقد قتلناه . (صمت) انني شريرة .

غارسين – نعم . وأنا كذلك .

اينياس – لا ، انت لست شريراً ، بل شيء آخر .

غارسين – ماذا ؟

اينياس – سأقوله لك فيما بعد . انا الشريرة : وهذا يعني اني بحاجة الى عذاب الآخرين لكي أوجد . شعلة . شعلة في القلوب . وحين أكون وحدي ، أنطفىء . وطوال ستة أشهر اشتعلت في قلبها ، فأحرقت كل شيء . وقد نهضت ذات ليلة ، وذهبت تفتح صنبور الغاز من غير ان احسّ بذلك ، ثم عادت تنام الى قربي .

غارسين – هكذا !

اينياس – ماذا ؟

غارسين – لا شيء . ان هذا غير نظيف .

ايناس — أجل ، هذا غير نظيف . وبعد ؟

غارسين — اوه انت على حق (لاستيل) الآن دورك . ماذا فعلت ؟

استيل — قلت لك انني لا أعرف مما حدث شيئاً . لقد ساءلت نفسي طويلاً . .

غارسين — حسناً . سوف نساعدك . ذلك الشخص ذو الوجه المحطم ، من يكون ؟

استيل — اي شخص ؟

ايناس — تعرفينه جيداً ، ذلك الذي كنت خائفة منه ، حين دخلت .

استيل — انه صديق .

غارسين — لماذا كنت خائفة منه ؟

استيل — لا يحق لك أن تسألني .

ايناس — هل قُتل بسببك ؟

استيل — ولكن لا ، انت مجنونة .

غارسين — لماذا اذن كان يخيفك ؟ هل انطلق في وجهه عيارٌ ناري ؟ أهذا ما حطم رأسه ؟

استيل — اسكتا ! اسكتا !

غارسين — مات بسببك ! بسببك !

ايناس — طلق ناري ، بسببك .

استيل — دعاني وشأني. انكما تخيفانني. وانا اريد الذهاب ! اريد الذهاب !

(تسرع الى الباب وتهزه)

غارسين — إذهبي . فأنا لا أطلب اكثر من هذا . غير ان الباب مغلق من الخارج .

(تدق استيل الجرس ، فلا ينطلق . يضحك ايناس وغارسين . تلتفت استيل اليهما وهي مستندة الى الباب) .

استيل (بصوت بطيء أبح) — انتما قذران .

ايناس — تماماً. قذران. ماذا اذن؟ لقد قتل الرجل بسببك. أكان عشيقك؟

غارسين — طبعاً ، كان عشيقها . وقد اراد ان تكون له وحده. أليس هذا صحيحاً ؟

ايناس — كان يرقص التانغو كأنه استاذ، ولكنه كان فقيراً ، على ما أتخيل.

(صمت)

غارسين — نسألك ان كان فقيراً ؟

استيل — نعم ، لقد كان فقيراً .

غارسين — ثم انك كنت تريدين ان تحافظي على سمعتك . وقد جاء يوماً ، فابتهل اليك ، فسخرت منه .

ايناس — أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ أمن أجل هذا قتل نفسه ؟

استيل — أكنت تنظرين الى فلورانس بهاتين العينين ؟

ايناس — نعم .

(فترة . استيل تأخذ في الضحك)

استيل — لم تهتديا الى الحقيقة اطلاقاً (تنتصب وتنظر اليهما وهي لا تزال مستندة الى الباب . وبلهجة جافة مستفزة) كان يريد ان يولدني طفلاً . هكذا، هل انتما مسروران؟

غارسين — وانت ، لم تكوني تريدين ذلك .

استيل — نعم . ومع ذلك ، فقد جاء الطفل . وقد ذهبت أقضي خمسة أشهر في سويسرا . ولم يعرف أحدٌ شيئاً . وكانت بنتاً ، وقد كان روجيه على مقربة مني حين ولدت . وكان يسليه ان تكون له بنت . اما أنا فلا .

غارسين — وبعد ذلك ؟

استيل — كانت ثمة شرفة فوق بحيرة . وقد حملت حجراً كبيراً . وكان يصيح : استيل ، ارجوك ، أبتهل اليك . وكنت أحتقره . وقد رأى كل شيء . لقد انحنى فوق الشرفة ورأى دوائر على البحيرة .

غارسين — وبعد ذلك ؟

استيل — هذا كل شيء . لقد عدت الى باريس . اما هو، فقد فعل ما أراد.

غارسين — لقد أطلق على رأسه النار ؟

استيل – نعم . وما كان الأمر يستحق هذا ؛ ان زوجي لم يشك بشيء على الاطلاق . (فترة) إنني أكرهكما .

(تأخذها نوبة من البكاء)

غارسين – لا فائدة ، ان الدموع هنا لا تسيل .

استيل – انني جبانة ! انني جبانة ! (فترة) لو تعلمان كم أكرهكما !

ايناس (تأخذها بين ذراعيها) – يا صغيرتي المسكينة (لغارسين :) لقد انتهى التحقيق . فلا حاجة بك الى اتخاذ سحنة الجلاد هذه .

غارسين – سحنة الجلاد ... (ينظر فيما حوله) انني أهب كل شيء لأنظر الى نفسي في مرآة . (فترة) ما أشدّ الحرّ ! (ينزع سترته آليا) اوه ! عفواً .

(يهم بان يرتديها من جديد)

استيل – تستطيع ان تبقى بالقميص . فالآن ..

غارسين – نعم . (يرمي بسترته الى المقعد) لا تعتبي عليّ يا استيل .

استيل – لست عاتبةً عليك .

ايناس – وانا ؟ هل انت عاتبة عليّ ؟

استيل – نعم .

(صمت)

ايناس – وإذن يا غارسين ؟ هـا نحن عراة كالدود ؛ فهل تتبيّن الوضع بصورة أجلى ؟

غارسين – لا ادري . ربما بصورة أجلى قليلاً . (بحياء) أترانا لن نستطيع ان نحاول التعاون فيما بيننا ؟

ايناس – لست بحاجة الى مساعدة .

غارسين – لقد عقدوا جميع الخيوط يا ايناس . فـاذا قمت بأدنى حركة ، واذا رفعت ذراعـك لتروّحي بالمروحة ، أحسسنا بالهزّة انا واستيل ليس بوسع أحدنا ان ينجو وحـده ؛ يجب ان نهلك معاً او ان ننجو معاً . اختارا . (فترة) ماذا هناك ؟

ايناس – لقد أجّروها . فالنوافذ مفتوحة على سعتها ، وهناك رجل جالس على سريري . لقد أجّروها ! لقـد أجّروها ! ادخلي ، ادخلي ، ولا تتردّدي . انها امرأة . وهي تتجه نحوه وتضع يديهـا على كتفيه ... ماذا ينتظران ليشعلا النور ، فالرؤية متعذرة ؛ هل تراهما سيتعانقان ؟ إن هذه الغرفة غرفتي ! انهـا غرفتي ! ولماذا لا يشعلان النور ؟ انني لا استطيع ان أراهما بعد. بمَ يتهامسان؟ أتراه سيداعبها على **سريري** ؟ هي تقول له إن الوقت ظهر، وان الشمس مشرقة. الواقع اني أصبح عمياء . (فترة) انتهى الأمر . ليس بعدُ من شيء : انني لا ارى شيئاً بعد ، ولا أسمع شيئاً . حسناً . اعتقد انني انتهيت مع الارض ليس هناك بعد من دليل (ترتعش) أحسّني فارغة . انني الآن ميتة تماماً . موجودة هنـا بكلّيتي (فترة) ماذا كنت تقول ؟ كنت تتكلم عن مساعدتي ، على ما أظن ؟

غارسين – نعم .

ايناس – مساعدتي في اي شيء ؟

غارسين – في فضح مكرهم .

ايناس – وبالمقابل ، ماذا تطلب مني ؟

غارسين – ان تساعديني . إن الأمر يحتاج الى شيء يسير يا ايناس : الى قليل من الارادة الطيبة ..

ايناس – الارادة الطيبة ... من اين تريدني أن أحصل عليها ؟ انني فاسدة .

غارسين – وانا ؟ (فترة) ما رأيك على كل حال في ان نحاول ؟

ايناس – انني جافّة . فانا لا أستطيع ان أتلقّى ولا أن أعطي ؛ فكيف تريدني ان أساعدك ؟ غصنٌ جاف ستشتعل النار فيه عمـا قليل (فترة ؛ تنظر الى استيل التي تضع رأسها بين يديها) كانت فلورانس شقراء .

غارسين – أتعرفين أنّ هذه الصغيرة ستكون جلادك ؟

ايناس – ربما كنت أحسّ ذلك .

غارسين – انهم سيتمكنون منك بواسطتها . اما فيما يعنيني ، فانني .. انني لا أوليها أيّ اهتمام . فاذا كنت من جانبك ...

ايناس — ماذا ؟

غارسين — إنه فخ . وهم يترصّدونك ليعرفوا ان كنت ستقعين فيه .

ايناس — أعرف هـذا . **وانت** ، انت ايضاً فخ . أتظنُّ أنهم لم يتنبأوا بكلامك ؟ وأنّ ليس فيه أشراك خفيّة لا نستطيع ان نراها ؟ إن كلّ شيء فخ . ولكن ما عسى ذلك أن يُحدث لي ؟ انني انا كذلك فخٌ لها . وربما كنت انا التي سأقبض عليها .

غارسين — لن تقبضي على شيء إطلاقاً . اننا سنعدو خلفها كجيادٍ من خشب ، من غير ان نلتقي إطلاقاً : وبوسعك ان تعتقد أنهم نظّموا كل شيء . دعي هذا ، يا ايناس . افتحي يديك ، واستسلمي . وإلا فستجلبين المصيبة علينا نحن الثلاثة .

ايناس — هل لي هيئة من يستسلم ؟ انني أعرف ما ينتظرني . سوف أشتعل ، وانا أشتعل وأعرف انه لن يكون ثمة من نهاية ؛ أعرف كل شيء : أفتعتقد انني سأستسلم ؟ سأتمكن منها ، وستراك بعينيّ ، كما كانت فلورانس ترى الأخرى . لما يجديك ان تحدّثني عن مصيبتك : اقول لـك انني أعرف كل شيء ، ولا أستطيع حتى أن أشفق على نفسي . فخ ! هـا ! فخ . انا واقعة طبعاً في الفخ. وماذا بعد ذلك ؟ ان الأمر أفضل ، اذا كانوا مسرورين .

غارسين (يمسكها من كتفها) — ان باستطاعتي أنا أن أشفق عليك . انظري اليّ : اننا عراة . عراة حتى العظم ، وانا أعرفك حتى القلب . ان هذا رباط : أتعتقدين انني اريـد ان أؤذيك ؟ انني لست آسفاً على شيء ، وأنا لا أشكو شيئاً ؛ فانا ايضاً جاف . ولكنني أستطيع أن أشفق عليك .

ايناس (التي تركته يمسك بها فيما كان يتحدث) — لا تلمسني . انني اكره أن يلمسني أحد . واحتفظ بشفقتك . كفى ، يا غارسين . ان في هذه الغرفة كثيراً من الأشراك المنصوبة لك ايضاً . والمعدّة لك . (فترة) اذا تركتنا وشأننا ، انا والصغيرة ، فانني سأتصرف بحيث لا أؤذيك .

غارسين — (ينظر اليها لحظة ، ثم يهز كتفيه) — حسناً .

استيل (رافعة رأسها من جديد ومقتربة منه) — اما انا ، فتستطيع ان تساعدني.

غارسين — توجّهي اليها بالحديث .

(تقترب ايناس ، فتقف خلف استيل ، من غير ان تمسهـا . وفي الحوار التالي ، ستتحدث اليها بما يشبه الهمس . ولكن استيل الملتفتة الى غارسين الذي ينظر اليها دون ان يتكلم ، تجيب هذا وحده كما لو انه كان هو الذي كان يسألها)

استيل - أرجوك ، لقد وعدت يا غارسين ، لقد وعدت ! عجّل ، عجّل ، لا اريد ان أبقى وحدي . لقد أخذته اولغا إلى المرقص .

ايناس — من الذي أخذت ؟

استيل — بيار . انهما يرقصان معاً .

ايناس — من هو بيار ؟

استيل — ساذج صغير . كان يدعوني ماءه العذب . كان يحبّني . لقد أخذته الى المرقص .

ايناس — هل تحبّينه ؟

استيل — انهما يعودان للجلوس . وهي تلهث . لماذا تراهـا ترقص ؟ إلا ان يكون قصدهـا ان تهزل . بالطبـع لا . بالطبـع لم أكن أحبّه : في الثامنة عشرة ، وانا لست غولة .

ايناس — دعيه إذن . فما شأنك بهذا ؟

استيل — لقد كان لي .

ايناس ليس من شيء يخصُّك بعدُ على الأرض .

استيل — لقد كان لي .

ايناس — نعـم ، **كان** ... حاولي أن تأخذيه ، حاولي ان تلمسيه . إن باستطاعة اولغا ان تلمسه ، هي . أليس كذلك ؟ أليس كـذلك ؟ تستطيع أن تمسك بيديه ، وان تحتكّ بركبتيه .

استيل — انها تدفع نحوه صدرها الهائل ، وهي تنفخ أنفاسها في وجهه . يا لـ « بوسيه » الصغير ! يا لـ « بوسيه » الصغير المسكين ، ماذا تنتظر لتنفجر ضحكاً

في وجهها ؟ آه ! كانت تكفيني نظرة واحدة ، وما كانت لتجرؤ قط ... أتراني لست شيئاً بعدُ حقاً ؟

ايناس – لست شيئاً بعد. ولم يبق شيء منك على الارض: إن كل ما يخصك هو هنا . أتريدين قاطعة الورق ؟ تمثال برباديين البرونزي ؟ إن المقعد الازرق لك . وانا ، يا صغيرتي ، انا لك الى الأبد .

استيل – ها ؟ لي ؟ حسناً ، من منكما يجرؤ على ان يدعوني ماءه العذب ؟ انهم لا يخدعونكما انتما ، فأنتما تعرفان انني قذارة . فكّر فيّ يا بيار ، لا تفكر إلا بي ، إحمني ؛ وما دمت تفكر : مائي العذب ، مائي العذب الحبيب ، فاني غير موجودة هنا الا نصف وجود ، لست الا نصف مذنبة . فانا ماء عذبٌ هناك ، على مقربة منك . انها حمراء كأنها البندورة . عجباً ، هذا مستحيل : فقد سخرنا منها مئة مرة معاً . ما هو هذا اللحن ، كم كنت أحبّه ! آه ، انه لحن ، « سان لويس بلو » ... هيا ، ارقصا ، ارقصا . انك يا غارسين ستصيب متعةً كبيرة لو كان بوسعك ان تراها . انها لن تعرف اذن ابداً أنني أراها . انني أراك ، انني أراك ، بشعرك المشعّث ، ووجهك المنقلب ، أرى انك تدوسين على الأقدام ، وهذا يميت من شدة الضحك . هيا أسرَع ! أسرع ! انه يجذبها ، انه يدفعها . ان هذا غير محتشم . أسرَع ! لقد كان يقول لي : كم انت خفيفة ! هيّا ، هيا ! (ترقص فيما هي تتكلم) أقول لك انني أراك . انها تهزأ بذلك ، فهي ترقص عَبرْ نظرتي . عزيزتنا استيل ! ماذا ، يا غزيزتنا استيل ؟ اه ؟ اسكتي ! انك لم تذرفي حتى دمعة في الجنازة . لقد قالت له : « عزيزتنا استيل » . انها تجرؤ على ان تحدّثه عني . هيّا ! مع الايقاع . ليست هي من تستطيع ان تتكلم وترقص في آن . ولكن ما الذي ... لا ! لا ! لا تقولي له انني اتركه لك ، فخذيه ، احتفظي به ، اصنعي به ما تشائين ، ولكن لا تقولي له ... (تتوقف عن الرقص) حسناً . تستطيعين الآن ان تحتفظي به . لقد قالت له كل شيء يا غارسين : روجيه ، الرحلة الى سويسرا ، الطفل ، روت له كل شيء . « لم تكن عزيزتنا استيل ... » نعم ، نعم ، في الحقيقة لم أكن ...

انه يهز رأسه بهيئة حزينة ، ولكن ليس بالامكان القول ان النبأ قد هزه . احتفظي به الآن . فانا لن انازعك جفونه الطويلة ولا ملامحه الانثوية . ها ؟ كان يدعوني ماءه العذب ، بلوره . حسناً ، ان البلور قد تحطم شعاعاً . « عزيزتنا استيل » ارقصا ! ارقصا ! ولكن بالايقاع ؟ واحد ، اثنان . (ترقص) انني أهب كل ما في العالم لأعود ثانية الى الارض لحظة ، لحظة واحدة ، لكي أرقص (ترقص ؛ فترة .) انني لا أسمع بعدُ بصورة جلية . لقد اطفأا الأنوار كما ليرقصا رقصة تانغو ؛ لماذا يعزفون بصوت خفي ؟ أقوى ! ما أبعد اللحن ! انني .. لا أسمع بعدُ شيئاً على الاطلاق . (تكف عن الرقص) لقد تركتني الأرض . غارسين : انظر الي ، خذني بذراعيك .

(تومىء ايناس لغارسين ان يبتعد، خلف ظهر استيل)

ايناس (بلهجة آمرة) – غارسين !

غارسين (يتراجع خطوة ويدل استيل على ايناس) - توجهي اليها .

استيل (تتشبث به) - لا تذهب ! هل انت رجل ؟ ولكن آن لك ان تنظر الي ؛ وألا تصرف عني بصرك : أيكون الأمر شاقاً الى هذا الحد ؟ ان لي شعراً ذهبياً ، وقد قتل أحدهم نفسه من أجلي ، في آخر المطاف . أبتهل اليك ، يجب أن تنظر الى شيء ما . فاذا لم أكن أنا هذا الشيء ، فليكن تمثال البرونز او الطاولة او المقاعد . على انني أعذب على النظر من ذلك كله . اسمع : لقد سقطت من قلوبهم كما يسقط عصفور من عش . فالتقطني ، خذني في قلبك ، وسترى كم سأصبح لطيفة .

غارسين (دافعاً إياها في جهد) – اقول لك ان تتوجهى اليها .

استيل – اليها ؟ ولكنْ ليس لها حساب : انها امرأة .

ايناس – ليس لي حساب ؟ ولكنك ايتها العصفورة الصغيرة ، ايتها القنبرة الصغيرة ، لقد مضى وقت طويل وانت في حمى قلبي . فلا تخافي . انني سأنظر اليك بلا انقطاع ، بلا خفقة جفن ، وستعيشين في نظري كقطعة ذهب في شعاع الشمس .

استيل – شعاع الشمس ؟ ها ! حلّي عن ظهري . لقد قمت معي بالعمل الساعة ، ورأيت انه فشل .

ايناس – استيل ، يا مائي العذب ، يا بلوري .

استيل – بلورك ؟ هذا مضحك . من تظنين انـــك تخدعين ؟ كفى ، ان الجميع يعرفون اني قذفت الطفل من النافـذة . ان البلور محطم على الارض وانا أسخر به . لستُ بعدُ الا جلداً – وليس جلدي لك .

ايناس – تعالي ستكونين من تشائين : ماء عذباً ، مـاء قذراً ، وستجدين نفسك في قلب عينيّ كما ترغبين نفسك .

استيل – اتركيني، فليس لك من عينين ، ولكن ماذا يجب عليّ أن أفعل حتى تتركيني ؟ عجباً !

(تبصق في وجهها . تتركها ايناس فجأة)

ايناس – غارسين ! ستدفع ثمن ذلك غالياً !

(فترة . يهز غارسين كتفيه ، ويتجه نحو استيل)

غارسين – ماذا ؟ هل تريدين رجلاً ؟

استيل – رجلاً ، لا . بل انت .

غارسين – لا مجال للتعقيد . ان اي رجل يقوم بالعمل . لقد وجدتني هنا فها أنا . حسناً . (يأخذها من كتفيها) انني لا أملك شيئاً لأروق لـــك ، لو تعلمين : فأنا لست ساذجاً صغيراً ، ولا ارقص التانغو .

استيل – سآخذك كما انت . وربما غيّرتك .

غارسين – أشكُّ في ذلك. سأكون ... شارداً . فان في رأسي هموماً اخرى

استيل – اية هموم

غارسين – ان هذا لن يثير اهتمامك .

استيل – سأجلس على مقعدك . وسأنتظر حتى تنشغل بي .

ايناس (منفجرة بالضحك) – ها ! ايتها الكلبة ! على بطنك ! على بطنك وهو ليس حتى جميلا !

استيل (لغارسين) – لا تصغ اليها. فليس لها من عينين، وليس لها من أذنين . انها بلا حساب .

غارسين – سأعطيك ما أستطيع . وليس هو بالكثير . ولن أحبّك : فأنا أعرفك اكثر مما ينبغي .

استيل – هل تشتهيني ؟

غارسين – نعم .

استيل – هذا كل ما اريد .

غارسين – اذن ...

(ينحني عليها)

ايناس – استيل ! غارسين ! انكما تفقدان رشدكما ! فأنا موجودة هنا !

غارسين – ارى ذلك جيداً ، وبعدُ ؟

ايناس – امامي ؟ انكما لا .. . لا تستطيعان !

استيل – لماذا ؟ لقد كنت أتعرّى أمام خادمتي .

ايناس (متشبثة بغارسين) – دعها ! دعها ! ولا تلمسها بيديـــك ، يدي الرجل القذرتين !

غارسين (يدفعها بعنف) – كفى : فلست بالانسان النبيل ، ولـن أخاف من أن أضرب امرأة .

ايناس – لقد وعدتني، يا غارسين، لقد وعدتني! أبتهل اليك ، لقد وعدتني!

غارسين – انت التي نكثت الميثاق .

(تنسحب ايناس وتتراجع الى داخل القاعة)

ايناس – افعلا ما تشاءان، فأنتما الأقويان . ولكن تذكّرا ، فانا هنا ، وانا انظر اليكما . ولن أغادرك بعيني ، يا غارسين ؛ يجب ان تعانقها تحت نظري . كم انا حاقدة عليكما ! تحابّا ! تحابّا ! نحن في الجحيم ، وسيأتي دوري .

(في المشهد التالي ، تنظر اليها من غير ان تنطق بكلمة)

غارسين (يعود الى استيل ويأخذها من كتفيها) – أعطيني فمك .

(فترة ، ينحني عليها ، ثم ينتصب فجأة من جديد)

استيل (بحركة غاضبة) — ها ! .. (فترة) قلت لك ألا توليها اي اهتمام .

غارسين — ان القضية قضيتها (فترة) غوميز هو في الجريدة . لقد أغلقوا النوافذ ، فالفصل اذن شتاء . ستة أشهر . لقد انقضت ستة أشهر على ... لقد حذرتك من انه سيتفق لي ان اكون شارداً ؟ انهم يرتجفون ؛ وهم محتفظون بستراتهم ... غريبٌ ان يكونوا مقرورين الى هذا الحد ، هناك ؛ وانا محرور جداً . انه يتحدث عني أنا هذه المرة .

استيل — هل ترى ذلك سيطول كثيراً ؟ (فترة) قل لي على الأقل ما الذي يرويه ؟

غارسين — لا شيء . انه لا يروي شيئاً . انه انسان قذر ، هذا كل ما في الأمر (يرهف أذنه) قذر ، قذر . عجباً ! (يقترب ثانية من استيل) هل نعود الى انفسنا ؟ هل تراك ستحبينني ؟

استيل (باسمة) — من يدري ؟

غارسين — هل ستكونين واثقة بي ؟

استيل — اي سؤال غريب : انك ستكون دائماً تحت عيني ، ولن تخونني مع ايناس .

غارسين — طبعاً (فترة . يترك كتفي استيل) كنت أقصد ثقة اخرى . (يصغي) هيا ! هيا ! قل ما تشاء : فأنا لست موجوداً لأدافع عن نفسي (لأستيل) استيل ، يجب ان تمنحيني ثقتك .

استيل — كم انت مرتبك ! ولكنّ لك فمي وذراعيّ وجسمي كله، ويمكن لكل شيء ان يكون سهلاً جداً .. ثقتي ! ولكنني لا املك ثقةً أمنحها — انا ؛ انك تزعجني بشكل فظيع . اه ! لا بدّ اني قمت بعمل رديء جداً حتى تطلب ثقتي على هذا النحو .

غارسين — لقد أعدموني بالرصاص .

استيل — أعرف ذلك : لقد رفضت ان تذهب للحرب . وبعد ذلك ؟

غارسين — انني ... لم ارفض تماماً (يتوجه للذين لا يراهم) انه يتحدث جيداً ، ويهاجمه كما ينبغي ، ولكنه لا يقول ما الذي كان ينبغي عمله . أكان ينبغي أن أدخل على الجنرال فأقول له : «يا جنرال ، انني غير ذاهب للحرب»؟ اية حماقة ! لو فعلت لوضعوني في السجن . كنت أريد أن اكون شاهداً ، انا ، ان اكون شاهداً ! ولم اكن اريد ان يخنقوا صوتي (لأستيل) لقد ركبت القطار . وقبضوا عليّ عند الحدود .

استيل — اين كنت تبغي الذهاب ؟

غارسين — الى مكسيكو . وكنت انوي ان أفتح فيها جريدة تدعو الى السلام (صمت) ماذا ؟ قولي شيئاً ما .

استيل — ماذا تريد ان اقول لك ؟ لقد أحسنت صنعاً ما دمت لا تريد أن تقاتل . (حركة انزعاج من غارسين) آه ! يا حبيبي ، لا أستطيع ان أعرف ما الذي ينبغي ان اجيبك به .

ايناس — يجب ان تقولي له ، يا كنزي ، انه فرّ كالأسد . ذلك انه قد فر ، حبيبك الكبير . وهذا ما يزعجه .

غارسين — فر ، ذهب ؛ سمّيه كما تريدين .

استيل — كان لا بد لك من ان تفرّ . فلو انك قد بقيت ، لقبضوا عليك .

غارسين — بكل تأكيد . (فترة) استيل ، هل انا جبان ؟

استيل — ولكنني لا أعرف يا حبيبي ، فلست في جلدك وعليك وحدك ان تقرر .

غارسين (بحركة متعبة) — انني لا أقرر .

استيل — لا بد ، على اي حال، من ان تتذكر ؛ لا بد انه كانت لك اسباب لتتصرف كما تصرفت .

غارسين — نعم .

استيل — واذن !

غارسين — هل هي الأسباب الحقيقية ؟

استيل (بخيبة) – كم انت معقد !

غارسين – كنت اريد ان اكون شاهداً . . وكنت قـد فكرت طويلاً . . أهذه هي الأسباب الحقيقية ؟

ايناس – آه ! هذه هي القضية . أهذه هي الأسباب الحقيقية ! كنت تفكر وتحاكم ، ولم تكن تريد ان تـلزم نفسك بخفة . ولكن الخوف والحقد وجميع القذارات التي يخفيها المرء ، هي ايضاً أسباب . هيا ، ابحث ، اسأل نفسك .

غارسين – اسكتي ! أتظنين اني انتظرت نصائحك ؟ كنت أمشي في زنزانتي . ليلاً ونهاراً ، من النافذة الى الباب ، ومن الباب الى النافذة . لقد راقبت نفسي . وتتبعت أثري . ويخيل الي اني قضيت حياة برمتها وانا أسائل نفسي ، ثم فوجئت بان العمل قد وقع . فأخذت الترام ، وهذا ما هو مؤكد . ولكن لماذا ! لماذا ؟ واخيراً فكرت : ان موتي هو الذي سيقرر ؛ فاذا مت ميتةً نظيفة ، أثبتُّ أني لست جباناً .

ايناس – وكيف مت يا غارسين ؟

غارسين – ميتة رديئة. (تنفجر ايناس ضاحكة) اوه ! كان الأمر مجرد ضعف جسدي . ولست خجلاً من ذلك . غير ان كل شيء ظل معلقاً الى الابد . (لأستيل) تعالي هنا ، انت . انظري الي . انني بحاجة الى من ينظر الي فيما هم يتحدثون عني على الارض . انني احب العيون الخضر .

ايناس – العيون الخضر ؟ هل تتصورون ذلك ؟ وانت يا استيل ، هل تحبين الجبناء ؟

استيل – هذا لدي سواء ، لو تعلمين . جبان ام لا ، المهم ان يعانق جيداً .

غارسين – انهم يميلون رؤوسهم وهم ينفثون دخان سجايرهم ؛ انهم يعانون الضجر . وهم يفكرون : ان غارسين جبان . برخاوة ، بضعف . لمجرد ان يفكروا بشيء ما ، على كل حال . ان غارسين جبان ! هذا ما قرروه ، هم ، رفاقي . وبعد ستة أشهر سيقولون : جبان كغارسين . انكما محظوظان ، انتما الاثنتين ؛ فليس في الأرض من يفكر فيكما بعد. اما انا ، فان حياتي أشد قسوة.

ايناس – وزوجتك ، يا غارسين ؟

غارسين – ما شأنها زوجتي ؟ لقد ماتت .

ايناس – ماتت ؟

غارسين – لا بدّ اني نسيت ان أخبركما بذلك . لقد ماتت الساعة . منذ شهرين تقريباً .

ايناس – حزناً ؟

غارسين – بالطبع ، حزناً . ممّ تريدين ان تكون قد ماتت ؟ هيّا إن كل شيء على ما يرام : لقد انتهت الحرب ، وماتت زوجتي ، ودخلت في التاريخ .

(تأخذه غصة جافة ويمر يده على وجهه . تتشبث به استيل)

استيل – يا حبيبي ، يا حبيبي ! انظر إليّ يا حبيبي ! إلمسني ، المسني (تأخذ يده وتضعها على صدرها) ضع يدك على صدري (يقوم غارسين بحركة ليتخلص منها) دعْ يدك ، دعها ، ولا تتحرّكْ . انهم سيموتون واحداً فواحداً : فما قيمة ما يفكرون به ؟ إنسهم ، فليس ثمة بعدُ إلايّ .

غارسين (ساحباً يده) – اما هم فلا ينسونني . سيموتون ، ولكن آخرين سيأتون ، فيأخذون الشعار : لقد تركت حياتي بين أيديهم .

استيل – آه ! انك تفكّر اكثر مما ينبغي !

غارسين – وماذا أفعل غير ذلك ؟ كنت في الماضي أعمل.. آه ! ليتني أعود يوماً واحداً بينهم.. فأيّ تكذيب لمزاعمهم سيكون هذا ! ولكني خارج اللعبة ؛ إنهم يقومون بالجردة من غير ان يهتمّوا بي ، وهم على حق في ذلك ما دمت قد متّ كالجرذ . (يضحك) لقد سقطتُ في المِلْك العام .

(فترة)

استيل (بهدوء) – غارسين !

غارسين – انت هنا ؟ حسناً، اسمعي، ستؤدّين لي خدمة. لا ، لا تتراجعي. أنا أعرف: فانه يبدو لك غريباً ان يُطلب منك العون ، لأنك لم تعتادي ذلك . ولكنك اذا كنت تريدين ، اذا بذلت جهداً ، فربما كان بامكاننا ان يحبّ أحدنا

الآخر حقاً ؟ انظري ؛ انهم الفٌ يردّدون اني جبان . ولكن ما الألف ؟ فلئن كانت هناك روح ، روح واحدة ، تؤكّد بكل قواها أني لم أفرّ ، واني لا يمكن لي ان أفرّ ، واني أملك الشجاعة ، واني نظيف ... فانا ... انا على يقـين أني سأنجو ! هل تريدين ان تؤمني بي ؟ اذا فعلت ، فستكونين أغلى عليّ من نفسي .

استيل (ضاحكة) — ابـله ! عزيزي الأبله ! أتظنّ أنّ بامكاني أن أحبّ جباناً ؟

غارسين — ولكنك كنت تقولين ...

استيل — كنت أسخر بـك . انني احبّ الرجال ، يا غارسين ، الرجال الحقيقيين ، ذوي الجلد القاسي ، والايدي القوية . وليس لك انت ذقنُ جبان ، ليس لك فمُ جبان ، ليس لـك صوت جبان ، وشعرك ليس شعر جبان . ومن أجل فمك وصوتك وشعرك ، أحبّك .

غارسين — أهذا صحيح ؟ أهذا صحيح حقاً ؟

استيل — أتريد ان اقسم لك أنه صحيح ؟

غارسين — انني اذن أتحدّاهم جميعاً ، الذين هناك ، والذين هنا. اننا يا استيل سنخرج من الجحيم (تنفجر ايناس ضاحكة ، ينقطع وينظر اليها) ماذا دهاك ؟

ايناس (ضاحكـة) — ولكنها لا تصدّق كلمة مما تقول ؛ فكيف يمكنك ان تكون ساذجاً إلى هذ الحد ؟ « استيل ، هل أنا جبان ؟ » ليتـك تدري كم هي تسخر من ذلك !

استيل — ايناس ! (لغارسين) لا تصغ اليها . واذا كنت تريد ثقتي ، فابدأ بمنحي ثقتك .

ايناس — طبعاً ، طبعاً ! إمنحها ثقتك . إنها بحاجة الى رجـل ، وبوسعك ان تصدقها ، بحاجة الى ذراع رجل حول قامتها ، الى رائحة رجل ، الى شهوة رجل في عيني رجل . اما الباقي ... ها ! إنها ستقول لك إنـك ابونا الرب إن كان بامكان هذا ان يرضيك .

غارسين — استيل ! هل هذا صحيح ؟ أجيبي ؛ هل هذا صحيح ؟

استيل — ماذا تريد ان اقول لك ؟ انني لا أفهم شيئاً من هذه القصص جميعاً. (تضرب بقدمها) ما أزعج هـذا كله ! رُحْ ، إنني سأحبّك ، حتى ولو كنت جباناً ! ألا يكفيك هذا ؟

(فترة)

غارسين (للمرأتين) — انكما تثيران اشمئزازي !

(يتجه نحو الباب)

استيل — ماذا انت صانع ؟

غارسين — انني ذاهب .

ايناس (بسرعة) — لن تمضي بعيداً ، فالباب مقفل .

غارسين — لا بدّ ان يفتحوه .

(يشد على زر الجرس ، فلا ينطلق الجرس)

استيل — غارسين !

ايناس (لأستيل) — لا تقلقي ، فالجرس معطّل .

غارسين — أقول لكما انهم سيفتحون . (يدق الباب بيديه) انني لا استطيع بعدُ ان أحتملكما ، لا أستطيع (تركض استيل اليه ، فيدفعها عنه) اذهبي ! انـك تثيرين اشمئزازي اكثر منها. انني لا اريد أن أتدبّق في عينيك. انك دبقة! انك مائعة ! انت اخطبوط ، انت مستنقع . (يدق الباب) أتراكم ستفتحون ؟

استيل — جبان ! جبان ! اوه ! صحيحٌ انك جبان !

ايناس (مقتربة من استيل) — ماذا يا قنبرتي ، ألست مسرورة ؟ لقد بصقت في وجهي لتروقي له ، وقـد تخاصمنا بسببه . ومعكّر الجوّ يمضي الآن ، وهو ينسحب من بيننا .

استيل — انك لن تربحي من ذلك شيئاً ؛ فاذا فُتح هذا الباب ، فررت .

ايناس — الى أين ؟

استيل — الى اي مكان . الى أبعد مكان ممكن عنك .

(لا يكف غارسين عن طرق الباب)

غارسين – افتحوا ! آن لكم ان تفتحوا ! إنني أقبل كل شيء : الأحذية العالية ، والكـُلاّبات ، والرصاص المذوّب ، والملاقط ، والمضغط ، وكل ما يحرق ، وكل ما يمزّق ، انني اريد أن أتألّم ألماً حقيقياً . انني افضّل الف لدغة ، أفضّل السوط ، أفضّل الزاج ، على هذا الألم في الرأس ، هذا الشبح من الالم ، الذي يلامس ، ويدغدغ ، ولا يُحدث ألماً كافياً على الاطلاق. (يمسك بمقبض الباب ويهزه) هل ستفتحون ؟ (يفتح الباب فجأة ، فيوشك ان يسقط) هاه !

(صمت طويل)

ايناس – واذن ، يا غارسين ؟ إذهب !

غارسين (بهدوء) – انني أتساءل لماذا فُتح هذا الباب .

ايناس – ماذا تنتظر ؟ هيّا ، إذهب سريعاً !

غارسين – لست بذاهب .

ايناس – وانت ، يا استيل ؟ (لا تتحرك استيل ؛ تنفجر ايناس ضاحكة) واذن ؟ أيّنا ؟ أيّ الثلاثة ؟ إن الطريق مفتوح ، فمن الذي يمسكنا ؟ ها ! ان هذا يُميت ضحكاً ! اننا غير قابلين للافتراق .

(تقفز استيل عليها من الخلف)

استيل – غير قابلين للافتراق ؟ ساعدني يا غارسين ، ساعدني بسرعة . اننا سنجرّها الى الخارج ، ونغلق دونها الباب ، انها سوف ترى .

ايناس (متخبطة) – استيل ! استيل ! أبتهل اليك ، احتفظي بي . لا في الممرّ ، لا تقذفيني في الممر !

غارسين – دعيها .

استيل – انت مجنون ، فهي تكرهك .

غارسين – ولكني بسببها هي ، بقيت هنا .

(استيل تترك ايناس وتنظر الى غارسين في ذهول)

ايناس – بسببي انا ؟ (فترة) حسناً ، أغلق الباب . فقد اشتدّت الحرارة عشرة أضعاف منذ أن فُتح (يتجه غارسين الى الباب ويغلقه) بسببي انا ؟

غارسين – نعم ، فأنت تعرفين ما هو الجبان ، انت .

ايناس – نعم ، أعرف .

غارسين – تعرفين ما هو الشرّ ، والعار ، والخوف . لقد مرّت ثمة أيام رأيت فيها نفسك حتى القلب – وكان ذلك يثبطك ويوهن عزيمتك . وفي اليوم التالي ، لم تكوني تعرفين بمَ ينبغي ان تفكري ، ولم تكوني تبلغين أن تفهمي حقيقة الأمس . أجل ، أنت تعرفين ثمن الشرّ . واذا قلت انني جبان ، فانت تقولين ذلك عن معرفة ، أليس كذلك ؟

ايناس – نعم .

غارسين – انتِ إذن من ينبغي أن أقنعها : فأنت من فصيلتي . أكنت تتصوّرين اني كنت سأذهب ؟ انني لم أكن أستطيع ان اتركك هنا ، منتصرة ، وفي رأسك جميع هذه الأفكار ؛ جميع هذه الأفكار التي تتعلق بي .

ايناس – أتريد حقاً أن تقنعني ؟

غارسين – لا أريد بعدُ شيئاً آخر . انني لا أسمعهم بعدُ ، لو تعلمين . ذلك أنهم قد فرغوا مني ولا شك . انتهوا : لقد صُفّيت القضية ، ولست بعد شيئاً على الأرض ، حتى ولا جباناً . ها نحن ذا اولاء يا ايناس : فليس ثمة بعد الا انتما الاثنين لتفكرا بي . هي ، لا حساب لها . اما انت ، انت التي تحقدين عليّ ، فانك تنقذينني اذا آمنت بي .

ايناس – إن هذا لن يكون يسيراً . انظر إليّ : إن لي رأساً عنيداً .

غارسين – سأنفق له الوقت اللازم .

ايناس – آه ! إن امامك الوقت كله . الوقت كله .

غارسين (يأخذها من كتفيها) – إسمعي ، إن لكل هدفه ، أليس كذلك ؟ لقد كنت أنا أهزأ بالمال ، وبالحب . كنت أريد أن أكون رجلاً . انساناً صلباً . وقد راهنت بكل شيء على الحصان نفسه . أمن الممكن ان يكون المرء جباناً حين يكون قد اختار أخطر الدروب ؟ أمن العدل ان يُحكم على حياة ، من عمل واحد ؟

اينياس – ولمَ لا ؟ لقد حلمتَ ثلاثين عاماً انك كنت تملك قلباً ، وكنت تسمح لنفسك بألف ضعف صغير لأن كل شيء مسموح به، للأبطال. وكم كان ذلك مناسباً ثم جاءت ساعة الخطر ، فأجبروك على ان تختار ... فركبت القطار الى مكسيكو .

غارسين – انني لم أحلم هذه البطولة . بل لقد اخترتها . إن المرء هو ما يريد .

اينياس – أثبتْ ذلك . أثبت أن ذلك لم يكن حلماً . إن الأعمال وحدها تقرّر ما يريده المرء .

غارسين – لقد متّ في وقت مبكّر أكثر مما ينبغي . فلم يتركوا لي الوقت لكي أقوم بأعمالي .

اينياس – ان الانسان يموت دائماً أبكر مما ينبغي . او بعد فوات الأوان . ومع ذلك ، فان الحياة هنا ، منتهية ؛ لقد خُطّ الخطّ ، فيجب جمع المبلغ . أنت لست شيئاً آخر غير حياتك .

غارسين – ايتها الأفعى ! إن عندك جواباً لكل شيء .

اينياس – هيّا ! هيّا ! لا تفقد الشجاعة . ولا بدّ أن من اليسير عليك ان تقنعني . أبحث عن البراهين . وابذل جهداً (يهز غارسين كتفيه) ماذا ، ماذا اذن ؟ لقد سبق ان قلت لك إنك كنت قابلاً للجرح . آه ! ما أغلى ما ستدفع الآن ! انت جبان يا غارسين ، جبان لأني اريد ذلك . اريد ذلك ، أسامع انت ، اريد ذلك ! ومع ذلك ، فانظر كم انا ضعيفة ، انني نسمة ؛ لست شيئاً آخر غير النظر الذي يراك ، غير هذه الفكرة الفاقدة اللون التي تفكرك .
(يمشي اليها مفتوح اليدين) هيّا ! انها تنفتحان ، يدا الرجل الضخمتان هاتان ! ولكن ما الذي تأمله ؟ ان الأفكار لا تُلتقط بالأيدي . هيّا ، فليس لك الخيار . يجب ان تقنعني . انني أمسكك .

استيل – غارسين !

غارسين – ماذا ؟

استيل – إنتقم .

غارسين – وكيف ؟

استيل – قبّلني ، وستسمعها تغنّي .

غارسين – هذا صحيح مع ذلك ، يا اينياس . انك تمسكينني ، ولكني أمسكك كذلك .

(ينحني على استيل .. اينياس تطلق صرخة)

اينياس – ها ! دعها ! دعها ! اذهب ! إذهب فتش عن عزائك لدى النساء.

استيل – غنّي ، يا اينياس ، غني !

اينياس – يا للزوج الجميل ! ليتك ترين يده الضخمة مستريحة على ظهرك ، داعكة اللحم والقماش . ان يديه دبقتان ؛ انه يرشح عرقاً . وهو سيخلّف طابعاً أزرق على ثوبك .

استيل – غنّي ! غنّي ! شُدّني اليك شداً أقوى ، يا غارسين ؛ انها ستموت من ذلك كمداً .

اينياس – اجل ! شُدّها اليك بقوة ، شدّها اليك . إمزجا حرارتكما . ان الحب لذيذ . أليس كذلك يا غارسين ؟ انه دافيء وعميق كالنوم ، ولكني سأمنعك من النوم .

(حركة من غارسين)

استيل – لا تُصغ اليها . خذْ فمي ؛ انني لك بكليتي .

اينياس – هيّا ، ماذا تنتظر ؟ افعل ما يُقال لك . ان غارسين الجبان يضمّ بين ذراعيه استيل قاتلة ابنها . ان المراهنات مفتوحة . أترى غارسين الجبان سوف يقبّلها ؟ انني أراك ؛ انني وحدي جمهور ، الجمهور ، يا غارسين ، الجمهور، هل تسمعه ؟ (متمتمة) جبان ! جبان ! جبان ! جبان ! انك عبثاً ما تهرب مني ، فلن أتركك . عمّ انت باحث في شفتيها ؟ عن النسيان ؟ ولكنني لن أنساك ، أنا . انا التي ينبغي ان تقنعها . انا . تعال . تعال ! انني انتظرك . أترين ، يا استيل ، انه يفكّ اعتناقه ، فهو وديع كالكلب ... انك لن

تظفري به !

غارسين – أترى الليل لن يهبط أبدا ؟

ايناس – أبداً .

غارسين – أتراك سترينني دائماً ؟

ايناس – دائماً .

(يترك غارسين استيل ويخطو بضع خطوات في الغرفة . يقترب من تمثال البرونز)

غارسين – البرونز ... (يلامسه) حسناً ! هي ذي اللحظة . ان تمثال البرونز هنا ، فأنا أتأمله وأدرك اني في الجحيم . أقول لك ان كل شيء كان منظوراً ومتوقعاً . لقد كان منظوراً انني سأقف امام هذه المدفأة ، ضاغطاً يدي على تمثال البرونز هذا ، وجميع هذه الانظار منصبّة عليّ . جميع هذه الأنظار التي تلتهمني ... (يلتفت فجأة) ها ! ألستما الا اثنين ؟ كنتما أحسبكما اكثر من هذا كثيراً . (يضحك) واذن ، فان هذا هو الجحيم . انني ما كنت لأصدّق قط ... انكما تذكران : الكبريت ، والحطبة ، والمقلاة . . آه ! أية سخرية . لا حاجة للمقلاة ، فالجحيم هو « الآخرون » .

استيل – حبيبي !

غارسين (دافعاً اياها) – دعيني . انها قائمة بيننا . فأنا لا استطيع ان احبك حين تراني .

استيل – ها ! انها لن ترانا بعد .

(تتناول قاطعة الورق من على الطاولة ، فتنقض على ايناس وتطعنها عدة طعنات)

إيناس (متخبطة وضاحكة) – ماذا تفعلين ؟ ماذا تفعلين ؟ هل انت مجنونة ؟ أنت تعلمين جيداً انني ميتة .

استيل – ميتة !

(تترك القاطعة تسقط. فترة . تتناول ايناس القاطعة وتطعن بها نفسها في غضب مجنون)

ايناس – ميتة ! ميتة ! ميتة ! فلا السكين ، ولا السم ، ولا الحبل . لقد

تم هذا من قبل ، أتفهمين ؟ ونحن معاً الى الأبد .

(تضحك)

استيل (منفجرة بالضحك) – الى الأبد . كم ان ذلك عجيب غريب ، يا إلهي ! الى الأبد !

غارسين (يضحك وهو ينظر اليهما كلتيهما) – الى الأبد !

(يقعون جالسين ، كل على مقعده . صمت طويل . يكفون عن الضحك ، ويتبادلون النظر . ينهض غارسين)

غارسين – هيّا ، لنتابع .

(ستار)

الأَيْدي القَذِرَة

مسرحية في سبعة فصول

شارك في الترجمة
اميل شويري

اشخاص المسرحية

هودرر
هوغو
اولغا
جسّيكا
لويس
الامير
سليك
جورج
كارسكي
فرانز
شارل

الفصل الأول

في بيت اولغا

(الدور الارضي من بيت صغ. ، على حافة الشارع الكبير . الى اليمين ، يقوم المدخل ونافذة مغلقة المصراعين . وفي الداخل ، آلة التلفون على خزانة صغيرة ذات ادراج . الى اليسار ، باب في اتجـــاه الداخل . طاولة وكراسي . أثاث غريب ورخيص . يشعر المشاهد ان الشخص الذي يعيش في هذه القاعة لا يحفل مطلقاً بالأثاث . موقد الى الشمال ، بالقرب من الباب ، وفوقه مرآة . سيارات تمر في الطريق بين حين وآخر . اصوات ابواق وزمامير) .

المشهد الاول

اولغا ، ثم هوغو

(اولغا وحدها جالسة بالقرب من جهاز راديو تحرك مفاتيحه . تشويش ثم صوت واضح وضوحاً كافياً) .

المذيع : تتراجع الجيوش الالمانية بانتظام على عرض الجبهة . وقد استولت الجيوش السوفياتية على « كيسكنار » على بعد اربعين كيلومتراً من الجبهة الايليرية . وترفض الفرق الايليرية القتال حيثما تستطيع . جنودٌ عديدون تركوا صفوفهم لينضمّوا الى الحلفاء . ايها الايليريون : نحن نعلم انكم قد أُجبرتم على حمل السلاح ضد الاتحاد السوفياتي ، ونحن نعرف في الشعب الايليري عواطفه الديموقراطية العميقة ونحن ..

(تفتل اولغا المفتاح ، فينقطع الصوت . تظل اولغا جامدة ، محددة العينين . تمر هنيهة . يدق الباب . تقفز منتفضة . يدق الباب مرة اخرى ، فتتجه اليه ببطء . يدق الباب مجدداً) .

اولغا : مَنْ هناك ؟

صوت هوغو : هوغو .

اولغا : مَنْ ؟

صوت هوغو : هوغو بارين. (تنتفض اولغا انتفاضة يسيرة ، ثم تظل جامدة امام الباب .) الا تعرفين بعدُ صوتي ؟ إفتحي ، إفتحي لي .

(تتجه اولغا بسرعة نحو الخزانة ذات الإدراج . فتتناول شيئاً بيدها اليسرى من الدرج ،

وتحيط يدها اليسرى بلشفة ، وتذهب لتفتح الباب . وهي ترتد بقوة الى الوراء لتتفادى من المفاجآت . شاب في الثالثة والعشرين منتصب عند العتبة) .

هوغو : هذا انا . (يتبادلان النظرات وهما صامتان) . ايدهشك ذلك ؟

اولغا : انها هيأتك التي تدهشني .

هوغو : نعم. لقد تغيّرت (هنيهة) هل رأيتني جيّداً ؟ وهل عرفتني جيّداً ؟ اليس هناك منخطأ ممكن؟ (مشيراً الى المسدس الذي تخفيه اللشفة) وإذن فان بوسعك ان تضعي هذا .

اولغا (من غير ان تضع المسدس) — كنتُ أحسب انك ستسجن خمسة اعوام. ادخل واغلق الباب . (تتراجع خطوة. ليس المسدس مصوباً الى هوغو ، ولكنه يوشك ان يكون كذلك . يلقي هوغو نظرة عابثة على المسدس ، ويدير ظهره الى اولغا على مهل ، ثم يغلق الباب) هل انت هارب ؟

هوغو — هارب ؟ انا لست مجنوناً . كان لا بدّ لهم من ان يدفعوني من كتفيّ الى الخارج (هنيهة) لقد اطلقوا سراحي بسبب مسلكي الحسن .

اولغا : هل انت جائع ؟

هوغو : إن بوّدك ان اكون جائعاً ، اليس كذلك ؟

اولغا : لماذا ؟

هوغو : إن المرء يؤثر ان يُعطي : فذلك يضمن له ان يُبقي الناس بعيدين عنه . ثم إن الانسان حين يأكل ، يلوح انه غير مؤذٍ . (هنيهة) اعذريني : ليس بي جوعٌ ولا عطش .

اولغا : كان يكفي ان تقول لا .

هوغو : أراك لا تتذكرين : لقد كنت مسرفاً في الكلام .

اولغا : بل اذكر ذلك .

هوغو (ينظر حوله) اي قفر : ومع ذلك ، فان كل شيء هناك . اين آلتي الكاتبة ؟

اولغا : لقد بيعت .

هوغو : آه ؟ (منبهة . ينظر الى القاعة) خلاء .

اولغا : اين هو الخلاء ؟

هوغو (: بحركة دائرية) هذا ! لكأن هذا الأثاث موضوعٌ في صحراء . حين كنت امدّ ذراعيّ هناك ، كان بوسعي ان امسّ الجدارين المتقابلين في وقت واحد . اقتربي (لا تقترب) هذا صحيح ؛ ان الناس خارج السجن يعيشون فيما بينهم على بُعدٍ يفرض الاحترام . كم من مسافة تضيع ! غريبٌ ان يكون الانسان حراً ! إنه ليصاب من ذلك بالدوار . ينبغي لي ان استردّ العادة في التحدث الى الناس من غير ان أمسّهم .

اولغا : متى اخلوا سبيلك ؟

هوغو : هذه الساعة .

اولغا : وهل اتيت الى هنا على التوّ ؟

هوغو : واين تريدين ان اذهب ؟

اولغا : او لم تتحدث الى أحد ؟

(ينظر اليها هوغو . ثم يأخذ في الضحك)

هوغو : ، لا ، يا اولغا ، لا . ليطمئنّ بالك . لم اتحدث الى احد .

(تسترخي اولغا قليلا وتنظر اليه)

اولغا : انهم لم يحلقوا رأسك .

هوغو : لا .

اولغا : ولكنهم قصّوا خُصلتك . (منبهة)

هوغو : هل يسرّكِ ان تريني ثانية ؟

اولغا : لا ادري . (صوت سيارة في الشارع . ترمير . ضجيج محركات . هوغو يرتجف . السيارة تبتعد . اولغا تراقبه ببرودة) ان كان صحيحاً انهم اطلقوا سراحك ، فلا حاجة بك الى الخوف .

هوغو : (باستهزاء) اتظنين ذلك ؟ (يهز كتفيه منبهة) كيف حال لويس ؟

اولغا : لا بأس .

هوغو : ولوران ؟

اولغا : لم ... لم يواته الحظ .

هوغو : كنت اقدّر ذلك . لا ادري لماذا ، فقد اعتدت على ان افكر به كما افكر بميت . لا بدّ ان هناك تغييراً .

اولغا : لقد غدا الامر اصعب كثيراً منذ دخول الالمان .

هوغو (بلا مبالاة) : حقاً . انهم هنا .

اولغا : منذ ثلاثة اشهر . خمس فرق . كان المفهوم مبدئياً انهم يعبرون هذه الاراضي ليذهبوا الى هنغاريا . ولكنهم اقاموا هنا .

هوغو : آه ! آه ! (باهتمام) وهل عندكمُ جدُد ؟

اولغا : كثيرون .

هوغو : شبان ؟

اولغا : عددٌ غير قليل من الشبان . ان اختيار الاعضاء لا يجري بعدُ على الطريقة الماضية تماماً . هناك فجوات ينبغي ان تُملأ . اننا الآن اقلّ تدقيقاً .

هوغو : نعم ، بكل تأكيد : ان الانسجام مع الوضع ضروري . (بقلق خفيف) ولكنها الخطّة نفسها ، في الامور الجوهرية ؟

اولغا (مرتبكة) : بالاجمال .. طبعاً .

هوغو : ها انتم اولاء اذن : لقد عشتم . إن من هم في السجن لا يُحسنون ان يتصوروا كيف يستمر الآخرون في العيش . أهناك أحدٌ في حياتك ؟

اولغا : من وقت الى آخر . (بعد حركة من هوغو) ليس الآن .

هوغو : هل ... كنتم تتحدثون عني احياناً ؟

اولغا (غير محسنة الكذب) : احياناً .

هوغو : كانوا يَصِلون ليلاً على دراجاتهم ، كما كان يحدث في عهدي ، فيجلسون حول الطاولة ، ويحشو لويس غليونه ، ويقول احدهم : في مثل هذه الليلة تطوّع الصغير لمهمة سرية .

اولغا : هذا او شيء آخر .

هوغو : وكنتم تقولون : « ولقد وفّق الى مهمته ، كما ينبغي ، ومن غير ان يعرّض احداً للخطر » .

اولغا : نعم . نعم . نعم .

هوغو : كان المطر يوقظني احياناً ، فكنت اقول : « ستمطر السماء عندهم » ثم اضيف ، قبل ان اعود الى النوم : « في هذه الليلة بالذات، قد يتحدثون عني » ذلك كان تفوقي الرئيسي على الموتى ؟ كان باستطاعتي بعدُ ان افكر بانكم كنتم تفكرون بي . (تتناول اولغا ذراعه بحركة خرقاء غير ارادية . يتبادلان النظر . اولغا تترك ذراع هوغو . يتصلب هوغو قليلاً) ثم اتى يومٌ قلتم فيه لانفسكم : « مازلت امامه ثلاثه اعوام ، وحين يخرج (مغيراً نبرته من غير ان يغادر نظره اولغا)... يخرج ، فسنقتله كالكلب ، مكافأةً له .

اولغا (متراجعة فجاة) : هل انت مجنون ؟

هوغو : حسبك يا اولغا ، حسبُك . (هنيهة) هل انت التي عُهدَ اليها بان ترسل لي « الشوكولا » ؟

اولغا : اي شوكولا ؟

هوغو : حسبُك ، حسبُك !

اولغا (بتصلف) : اي شوكولا ؟

هوغو : شوكولا ممزوجة بالكحول ، في علبة وردية . لقد ظلّ شخص اسمه «درش» طوال ستة أشهر يُرسل لي طروداً . ولما لم اكن اعرف شخصاً بهذا الاسم ، فقد ادركت ان الطرود كانت تأتي منك ، وهذا ما سرّني . ثم انقطع الارسال ، فقلت في نفسي : « لقد بدأوا ينسونني » . وبعد ذلك ، وصلتني منذ ثلاثة أشهر علبةٌ من المُرسل نفسه تحتوي شوكولا وسكاير . فدخنت السكاير واكل الشوكولا جاري في الزنزانة . ولكن المسكين اصيب منها بسوء، بسوء كبير . ولذا فكرت : « انهم ينسونني . »

اولغا : وبعد ذلك ؟

هوغو : هذا كل شيء

اولغا : كان لهودرر اصدقاء لم يكونوا يحبّونك .

هوغو : لو كان الامر كذلك ، مـا كانوا بحاجة الى ان ينتظروا عامين ليطلعوني على عاطفتهم . لا ، يا اولغا ، كان امامي الوقت كـله للتفكير بهذه القصة ، ولم اجد الا تعليلاً واحداً : لقد كان الحزب يعتقد اول الامر انني مـا زلت صالحاً للعمل ، ثم بدّل في ذلك رأيه .

اولغا (من غـير قسوة) : انك تُسرف في الكلام يا هوغو. انك ابداً تسرف فيه . انت بحاجة الى الكلام لتشعر بانك تعيش .

هوغو : لست انت التي تقولين ذلك : انني اسرف حقـاً في الكلام ، وانا ادرك هذا تماماً ، وانتم لم تثقوا يوماً بي . ليس ثمة حاجة للمضيّ الى ابعد من ذلك (هنيهة) على اني لست عاتباً عليكم ، ان هذه القصة كلها قد بدأت سيئة .

اولغا : هوغو ، انظر إليّ . هل انت تعني ما تقول ؟ (تنظر اليـه) إنـك تعنيه . (بعنف) وإذن ، فلمَ تُراك اتيت اليّ ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

هوغو : لانك « انتِ » لن تستطيعي ان تطلقي عليّ الرصاص (ينظـر الى المسدس الذي كانت لا تزال تحمـله ويبتسم) او هكذا افترض على الاقل . (ترمـي اولغا بانقباض المسدس المحاط بالمنشفة على الطاولة) أترين ؟

اولغا : اسمع يا هوغو : انني لا اصدق كلمة مما رويت لي ، ولم اتلقّ اي أمر في شأنك . ولكن اذا تلقيت يوماً ما اي أمر ، فينبغي ان تعلم اني سأنفذ مـا يأمرونني به . ولئن سألني احدٌ من الحزب ، فسأقول لهم انـك هنا ، حتى ولو كان في النية ان يقتلوك تحت ناظري .. هل معك مال ؟

هوغو : لا .

اولغا : سأعطيك مبلغاً ، ثم تمضي .

هوغو : الى اين ؟ هل اجرجر اقدامي في ازقة المرفأ او فوق الاحواض ؟ إن الماء باردٌ يا اولغا . اما هنا ، فمها حدث ، يظل الضوء والدفء . وستكون نهايةٌ اوفر راحة .

اولغا : سأفعل يا هوغو ما يأمرني به الحزب . اقسم لك انني سأفعل مـا

يأمرني به .

هوغو : ترين جيداً انّ هذا صحيح .

اولغا : إذهب .

هوغو : لا (مقلداً اولغا)، سأفعل ما يأمرني به الحزب ، لا بدّ ان تطّلع عليك مفاجآت . إن المرء مهما كانت ارادته قوية في ان ينفذ ما يأمره به الحزب فان ما يفعله ليس هو مطلقاً ما يأمره بـه الحزب . « ستذهب لمقابلة هودرر وستقذف بطنه بثلاث رصاصات ، هو ذا امرٌ بسيط ، اليس كذلك ؟ لقد ذهبت لمقابلة هودرر وقذفت بطنه بثلاث رصاصات . ولكن ذلـك كان شيئاً آخر . الأمر ؟ لم يكن هناك بعـدُ من أمر . إن الاوامر تتركك وحيداً ، في لحظة من اللحظات. لقد تخلّف الامر، وتقدّمت وحدي ، وقتلت و ... لماذا؟ حتى هذا بتُّ لا أدريه . بودّي لو يأمرك الحزب بان تطلقي عـليَّ . لنرى . لا لشيء الاّ لنرى .

اولغا : سترى (هنيهة) ما الذي ستفعله الآن ؟

هوغو : لا ادري . لم افكر بذلك . حين فتحوا باب السجن فكرت في اني سآتي الى هنا ، وقد أتيت .

اولغا : اين هي جسّيكا ؟

هوغو : في منزل ابيها . لقـد كتبت لي بضع مرات في اول الامر . أظنُّ انها لا تحمل اسمي بعدُ .

اولغا : اين تريدني ان أسكِنك ؟ كل يوم ، يأتي الى هنا رفاق ، ويدخلون كما يشاءون .

هوغو : الى غرفتك ايضاً ؟

اولغا : لا .

هوغو : امـا انا ، فكنت ادخلها . كان على الديوان غطاء احمر ، وعلى الجدران ورقة ذات معيّنات صفراء وخضراء ، وصورتان احداهما تمثلني .

اولغا : اتقوم الآن « بجردة » ؟

هوغو : لا ، ولكني اتذكّر . كنت افكر بذلك غالباً . ولقـد اوقعتني الصورة الثانية في ارتباك عظيم : بتُّ لا ادري من الذي تمثّله .

(سياة تمر في الشارع ، فيقفز منتفضاً . يصمتان كلاهما . السيارة تقف . اصطفاق بوابـة ، طرق على الباب) .

اولغا : مَنْ هناك ؟

صوت شارل : شارل .

هوغو (بصوت منخفض) : من هو شارل ؟

اولغا (بالصوت نفسه) : احد الرفاق .

هوغو (ناظراً اليها) : وما العمل ؟

(هنيهة قصيرة جداً . شارل يدق الباب مجدداً) .

اولغا : ولكن ماذا تنتظر ؟ اذهب الى غرفتي : فباستطاعتك ان تـتمّ ذكرياتك .

(يخرج هوغو . تتجه اولغا الى الباب لتفتحه)

المشهد الثاني

اولغا ، شارل ، فرانز

شارل : اين هو !

اولغا : مَنْ !

شارل : ذلك الشخص . انـنـا نتبعه منذ خروجه من السجن (صمت قصير) أليس هو هنا !

اولغا : بلى . إنه هنا .

شارل : أين ؟

اولغا : هناك (تشير الى غرفتها)

شارل : حسناً . (يومىء الى فرانز ان يتبعه ، ويضع يده في جيب سترته ويتقدم خطوة الى الامام . تعترض اولغا طريقه)

اولغا : لا .

شارل : لن يطول الأمر يا اولغا . اذهبي فقومي بدورة في الشارع ، ان شئت . وحين تعودين ، لن تجدي أحداً ، ولن تجدي أيّ اثر . (مشيرة الى فرانز) ان الصغير هنا لازالة الآثار .

اولغا : لا .

شارل : دعيني أقوم بعملي يا اولغا .

اولغا : أيكون لويس هو الذي أرسلك ؟

شارل : نعم .

اولغا : وأين هو ؟

شارل : في السيارة .

اولغا : إذهب فاصحبه . (يتردد شارل) هيّا ! اقول لك ان اذهب فأت به .

(يقوم شارل باشارة . تظل اولغا وفرانز وجهاً لوجه صامتين ، تتناول اولغا من على الطاولة ، من غير ان يغادر منظرها فرانز ، المنشفة التي تحتوي المسدس)

المشهد الثالث

اولغا ، شارل ، فرانز ، لويس

لويس : ماذا دهاكِ ؟ لماذا تحولين بينهم وبين ان يؤدوا عملهم ؟

اولغا : انكم تسرفون في العجلة .

لويس : نسرف في العجلة ؟

اولغا : إصرفها .

لويس : انتظراني خارجاً . فان ناديتكما أتيتما . (يخرجان) والآن ، ما تريدين ان تقولي لي ؟ (هنيهة)

اولغا (بهدوء) : اسمع يا لويس . لقد عمل من أجلنا .

لويس : لا تكوني طفلة يا اولغا . إن هذا الشخص خَطِر . ويجب ألا يتكلم .

اولغا : إنه لن يتكلم .

لويس : هو ؟ إنه أكبر ثرثار ...

اولغا : لن يتكلم .

لويس : اني لأتساءل عما اذا كنتِ ترينه على حقيقته . لقد كنت تشعرين دائماً بميل اليه .

اولغا : وانت بميل ضده (هنيهة) انني يا لويس لم ادْعُك لنتحدث عن نواحي ضعفنا ؛ انني أكلمك في صالح الحزب . لقد خسرنا كثيراً من الناس منذ أقام الالمان هنا . وليس بوسعنا ان نسمح لأنفسنا بان نصفّي هذا الفتى من غير ان نتحقق مما اذا كان على الأقل قابلاً للاسترداد وصالحاً للعمل .

لويس : صالح للعمل ؟ لقد كان فوضوياً صغيراً غير منظّم ، مثقفاً لا يفكر الا في اتخاذ مسالك وأوضاع ، بورجوازياً يعمل متى كان ذلك يروق له وينصرف عن العمل من أجل نعم أو لا .

اولغا : إنه ايضاً الشخص الذي قَتل ، وهو في العشرين من عمره ، هودرر وسط حراسه ، وتدبر أمره ليقنّع اغتيالاً سياسياً بقناع جريمة عاطفية .

لويس : أكان اغتيالاً سياسياً ؟ تلك قصة لم تنجلِ ابداً .

اولغا : ان هذا حق : انها قصة يجب ان تنجلي الآن .

لويس : انها قصة نتنة ، ولا أودُّ ان أمسها . ثم انني ، أياً ما كان ، لا أملك الوقت لأجري له امتحاناً .

اولغا : انا أملك الوقت (حركة من لويس) انني أخشى يا لويس ان تُدخل

في هذه القضية قدراً من العاطفة يتجاوز حده .

لويس : وانا أخشى يا اولغا ان تدخلي فيها ، انت ايضاً ، قدراً أوفر .

اولغا : هل رأيتني يوماً ما انقاد للعواطف ؟ انني لا أسألك ان تـدع له ان يحيا من غير شروط . انني أهزأ بحياته . وانما اقول فحسب ان من الواجب ان يدرس الحزب ، قبل ان يحذفه من الوجود ، ان كان بامكانه ان يستردّه .

لويس : ليس باستطاعة الحزب بعدُ ان يسترده : لقد فات الاوان . وانت تعرفين ذلك تماماً .

اولغا : لقد كان يعمل باسم مستعار ، ولم يكن احد يعرفه الا لوران الذي مـات ، ودرسدن الذي هو بالجبهة . أتخشى ان يتـكلم ؟ انه لن يتـكلم اذا أحسنّا احاطته . انه مثقف وفوضوي ! فليكن . ولكنه كذلك شاب يائس . فاذا أحسن توجيهه كان خير من يؤدي المهـام على اختلافها . ولقد أقام على ذلك البرهان .

لويس : ما الذي تقترحينه اذاً ؟

اولغا : كم هي الساعة الآن ؟

لويس : التاسعة .

اولغا : عودوا عند منتصف الليل. سأعرف لماذا أطلق النار على هودرر، وما هو شأنه اليوم . فاذا رأيت في الحقيقة ان من الممكن ان يعمل معنا ، أخبرتـكم بهذا عبر الباب ، وحينذاك تدَعونه ينام مطمئناً على ان تنفذوا اليـه أوامركم صباح الغد .

لويس : وان لم يكن قابلاً للاسترداد ولا صالحاً للعمل ؟

اولغا : سأفتح لـكم الباب .

لويس : مخاطرة عظيمة من أجل شيء قليل .

اولغا : أية مخاطرة هي ؟ هل هنالك رجال حول البيت ؟

لويس : أربعة .

اولغا : ليظلّوا في ترقبهم حتى منتصف الليل (لويس لايريم) . لقد عمل من

أجلنا يا لويس . وينبغي ان يُترك له حظّه .

لويس : حسناً . موعدنا منتصف الليل . (يخرج)

المشهد الرابع

اولغا ثم هوغو

(اولغا تتجه نحو الباب وتفتحه . يخرج هوغو)

هوغو : انها اختك .

اولغا : ماذا ؟

هوغو : الصورة التي على الجدار، انها صورة اختك . (هنيهة) . اما صورتي انا ، فلقد نزعْتِهـا . (اولغا لا تحير جواباً. ينظر اليها) . أية هيـأة غريبة هي هيأتك ! ما الذي كانوا يريدونه ؟

اولغا : انهم يبحثون عنك .

هوغو: آه ! وهل قلت لهم انني كنت هنا ؟

اولغا : نعم .

هوغو : حسناً . (يهم بالخروج)

اولغا : إن الليل مجلو ، وإن حول البيت رفاقاً .

هوغو : آه ! (يجلس الى الطاولة) أعطيني ما آكله .

(تذهب اولغا لتأتي بصحن وخبز ولحم خنزير . فيـأخذ في الكلام بينا ترتب الصحن والطعام على الطاولة أمامه)

هوغو : لم يتغير عليَّ شيء في غرفتك . كل شيء فيها كما هو في ذاكرتي

(هنيهة) . غير انني كنت أقول لنفسي وانا في السجن : انها ذكرى . وان الغرفة الحقيقية هي هناك ، في الجانب الآخر من الجدار . ولقد دخلت ، ونظرت الى غرفتك فاذا هي ليست أوفر حقيقة من ذكراي . والزنزانة ، هي ايضاً كانت ذكرى . ومثلها عينا هودرر ، يوم أطلقت عليه مسدسي . أتحسبين ان لي حظاً بان استيقظ ؟ ربما يحدث ذلك حين يأتي رفاقك ومسدساتهم مصوبة نحوي . .

اولغا : انهم لن يمسّوك بسوء ما دمت هنا .

هوغو : هل تعهدوا لك بذلك ؟ (يصب لنفسه قدحاً من الخمر) ينبغي لي ان اخرج آخر الامر .

اولغا : انتظر . إنّ لك ليلة . وكثيرٌ من الأشياء قد تحدث في ليلة .

هوغو : ماذا تريدين ان يحدث ؟

اولغا : أشياء قد تتغير .

هوغو : مثلاً ؟

اولغا : انت . انا .

هوغو : انتِ ؟

اولغا : إن هذا يتوقف عليك .

هوغو : هل المفروض فيّ ان اغيّركِ ؟

(يضحك ، وينظر اليها ، ثم ينهض فيتجه نحوها . تبتعد عنه بحركة سريعة)

اولغا : ليس كذلك . لن يغيّرني احدٌ على هذا الشكل الا متى اردت ...

(هنيهة . هوغو يهز كتفيه ثم يعود الى الجلوس . يبدأ طعامه)

هوغو : ماذا إذن ؟

اولغا : لماذا لا تعود فتنضم الينا ؟

هوغو (آخذاً في الضحك) انك تحسنين اختيار اللحظة التي تسألينني فيها ذلك .

اولغا : ولكن ربما كان الامر ممكناً ! ربما كانت هذه القصة كلها قائمة على

سوء تفاهم ؟ الم تسأل نفسك مرةً عما ستفعله ، اذ تخرج من السجن ؟

هوغو : لم اكن افكر في ذلك .

اولغا : وبم كنت تفكر ؟

هوغو : بما فعلته . كنت احاول ان افهم لماذا فعلته .

اولغا : وهل انتهى بك الامر الى الفهم ؟ (هوغو يرفع كتفيه) كيف حدث ذلك مع هودرر ؟ أصحيح انه كان يحوم حول جسّيكا ؟

هوغو : نعم .

اولغا : أبدافع من الغيرة ...

هوغو : لا ادري . لست ... اعتقد ذلك .

اولغا : إحكِ لي .

هوغو : ماذا ؟

اولغا : كل شيء . منذ البدء .

هوغو : لن يكون من الصعب ان اروي : فهذه حكاية اعرفها عن ظهر قلب ؛ وقد كنت اردّدها لنفسي كل يوم في السجن : اما الحديث عما تعنينه ، فتلك قضية اخرى . إنها حكاية سخيفة كسائر الحكايات . اذا انت نظرت اليها من بعيد ، فانها تكاد تكون متماسكة ؛ اما اذا اقتربت منها ، فانها تتداعى كلّياً . إن الفعل يصدر عن المرء بسرعة بالغة ؛ انه يخرج منك فجأة ، وانت لا تدرين ان كان ذلك بسبب انك اردتِه ، ام بسبب انك لم تستطعي ان تمسكيه. الذي حدث هو اني اطلقت مسدسي ...

اولغا : ابدأ بالبداءة .

هوغو : إنك تعرفين البداءة معرفتي إياها . ولكن هل هنالك بداءة حقاً ؟ إن بالامكان بدء القصة في آذار ٤٣ حين استدعاني لويس ، او لعلّها بدأت قبل مرور سنة من ذلك ، حين دخلت الحزب ، او لعلها بدأت قبل ذلك ايضاً ، عند ولادتي . ولكن لنفرض ان كل شيء قد بدأ في اذار عام ١٩٤٣ .

(تهبط الظلمة شيئاً فشيئاً على المسرح فيما هو يمضي في الحديث)

الفصل الثاني

(الديكور نفسه ، عامان قبل ذلك . في بيت اولغا . الزمن ليل . يسمع عبر الباب الداخلي من جهة الباحة ، ضجة اصوات . ضوضاء ترتفع تارة وتارة تنخفض ، كما لو ان بضعة اشخاص يتجادلون بحماسة)

المشهد الاول

هوغو ، ايفان ، ثم لويس

(هوغو يضرب على الآلة الكاتبة ، ويبدو اوفر شباباً وفتوة من المشهد السابق . ايفان يذرع القاعة جيئة وذهاباً)

ايفان : قلْ لي
هوغو : ماذا ؟
ايفان : ألا تستطيع ان تكفّ عن الضرب ؟
هوغو : ولماذا ؟
ايفان : ان هذا يثير اعصابي .
هوغو : ولكن لا يبدو عليك مع ذلك انك رجل عصبيّ المزاج .
ايفان : هذا صحيح . ولكن ذلك يثير اعصابي الآن . ألا تستطيع ان تحدثني ؟

هوغو : (بعجلة) : انا ؟ انني لا اطلب خيراً من ذلك . ما اسمك ؟
ايفان : في السرّ ادعى ايفان . وانت ؟
هوغو : راسكولنيكوف .
ايفان (ضاحكاً) اي اسم هذا !
هوغو : انه اسمي في الحزب .
ايفان : واين تُراك حصلت عليه ؟
هوغو : انه اسم بطل في رواية .
ايفان : وما كان دوره ؟
هوغو : كان يقتل .
ايفان : آه ، وانت ، هل قتلت ؟
هوغو : لا (هنيهة) من الذي ارسلك الى هنا ؟
ايفان : لويس .
هوغو : وما الذي ينبغي ان تعمله ؟
ايفان : الانتظار حتى الساعة العاشرة .
هوغو : وبعد ذلك ؟

(حركة من ايفان تنم عن ان هوغو ينبغي له الا يسأله . ضوضاء تصدر عن الغرفة المجاورة لكأن هناك اختصاماً) .

ايفان : ماذا يفعلون هناك في الداخل ؟

(حركة من هوغو ، يقلد بها حركة ايفان ، تنم عن انه لا ينبغي لأحد ان يسأله)

هوغو : انت ترى : إن ما يُزعج حقاً ان هذه المحادثة لا يمكن ان تذهب بعيداً (هنيهة) .
ايفان : هل مضى على انخراطك في الحزب وقت طويل ؟
هوغو : منذ ٤٢ . اي منذ عـــام . دخلته حين اعلن الوصيّ الحرب على الاتحاد السوفياتي . وانت ؟
ايفان : بتّ لا اذكر حتى هذا . احسب انني كنت ابداً عضواً في الحزب .

(منبهة) انت الذي تحرّر الجريدة ؟

هوغو : انا وآخرون .

ايفان : انها غالباً ما تمرّ بين يدي ، ولكني لا اقرأها . ليس هو خطأك ، ولكن اخباركم متأخرة ثمانية ايام عن اخبـــار الاذاعة البريطانية أو الاذاعة السوفياتية .

هوغو : ومن اين تريدنا ان نستقي الانباء ؟ اننا نسمعها مثلكم من الاذاعة .

ايفان : هذا صحيح . انك تقوم بعملك ، وليس هناك مـــا تؤاخذ عليه .
(منبهة) كم هي الساعة ؟

هوغو : العاشرة الا خمس دقائق .

ايفان : أف . (يتثاءب)

هوغو : ما بك ؟

ايفان . لا شيء .

هوغو : اراك تشكو شيئاً ؟

ايفان : لا . لا بأس عليّ .

هوغو : لا يبدو انك مرتاح .

ايفان : لا بأس عليّ ، قلت لك . انني هكذا دائماً قبل .

هوغو : قـَبْل ماذا ؟

ايفان : قبل لا شيء . (منبهة) حين أستقلُ دراجتي سأكون في وضع أحسن . (منبهة) اشعر باني على غاية الرقة ، حتى اني لن اؤذي ذبابة .

(يتثاءب . تدخل اولغا من باب الدخول)

المشهد الثاني

الاشخاص انفسهم واولغا

(تضع محفظة بالقرب من الباب)

اولغا (لايفان) : هيّا . أتستطيع ان تُثبتها على حاملة امتعتك ؟

ايفان : أريني . نعم . استطيع تماماً .

اولغا : انها الساعة العاشرة . بوسعك ان تمضي . هـــل حدّثوك عن السدّ والبيت ؟

ايفان : نعم .

اولغا : اذن ، حظاً سعيداً .

ايفان : لا تتحدثي عن المصائب . (منبهة) . هل تقبلينني ؟

اولغا : بكل تأكيد (تقبله في وجنتيه)

ايفان (يتجه ليأخذ المحفظة ويلتفت اذ يهم بالخروج فيقول بلهجة فكهة :) الى اللقاء يا راسكولنيكوف .

هوغو (مبتسماً) : اذهب الى الشيطان ! (يخرج هوغو)

المشهد الثالث

هوغو واولغا

اولغا : ما كان ينبغي لك ان تقول له ان يذهب الى الشيطان .

هوغو : ولماذا ؟

اولغا : ليست هذه اشياءُ تقال .

هوغو (مندهشاً) : اتكونين يا اولغا موسوسة ؟

اولغا (منزعجة) : كلا ، كلا .

هوغو (ينظر اليها متنبهاً) : ماذا سيعمل ؟

اولغا : لا حاجة بك الى ان تعرف .

هوغو : هل سينسف جسر « كورسك » ؟

اولغا : لماذا تريدينني ان اقول لك ؟ كلّما قلّت معرفتك ، في حال الأعمال الخطيرة ، كان ذلك خيراً .

هوغو : ولكن اتراك تعرفين انت ما سوف يفعله ؟

اولغا (رافعة كتفيها) : اوه ! انا ..

هوغو : طبعاً ، انت تمسكين لسانك . انك كلويس : قــد يقتلونك ولا تتكلمين . (صمت قصير) من الذي يثبت لكم انني سأتكلم ؟ انـّى لكم ان تثقوا بي إن لم تمتحنوني ؟

اولغا : ليس الحزب مدرسة مسائية . نحــن لا نسعى الى امتحانك ولكن الى استخدامك وفق كفاءتك .

هوغو (مشيراً الى الآلة الكاتبة) : وكفاءتي ، اتكون هذه ؟

اولغا : هل في قدرتك ان تخرّب الخطوط الحديدية ؟

هوغو : لا .

اولغا : اذن ؟ (صمت . هوغو ينظر في المرآة) هل ترى نفسك جميلاً ؟

هوغو : انني انظر لأرى اذا كنــت أشبه ابي . (هنيهة) لو كان لي شاربان لـكان الشبه عظيماً .

اولغا : (رافعة كتفيها) وبعد ذلك ؟

هوغو : انني لا احب ابي .

اولغا : هذا معروف .

هوغو : لقد قال لي : « انا ايضاً كنت في زمــني انتمي الى جمعية ثورية ؛ وكنت احرّر في صحيفتهم . ولكنك ستملّهم كما مللتهم ... »

اولغا : لماذا تروي لي ذلك ؟

هوغو : من اجل لا شيء . انني افكر بهذا كلما نظرت في مرآة . هذا كل ما في الامر .

اولغا : (مشيرة الى باب قاعة الاجــتماع) : هل لويس هنا ؟

هوغو : نعم .

اولغا : وهودرر ؟

هوغو : لا اعرفه ، ولكني اظنّ انه هنا . من هو على التحقيق ؟

اولغا : لقد كان نائباً في « اللاندستاغ » قبل الحلّ . اما الآن فهو امــين الحزب . وليس هودرر هو اسمه الحقيقي .

هوغو : وما هو اسمه الحقيقي ؟

اولغا : لقد سبق ان قلت لك إن فضولك يتجاوز حدوده .

هوغو : إن صياحهم مرتفع ، كأنما هم يتشاجرون .

اولغا : لقد جمع هودرر اللجنة ليطلب اليها التصويت على اقتراح .
هوغو : ايّ اقتراح هو ؟
اولغا : لا ادري . ولكني ادري ان لويس يعارضه .
هوغو : (مبتسما) اذا كان هو معارضاً ، فانا كذلك معارض . لا حاجة الى معرفة القضية . (هنيهة) يجب ان تساعديني يا اولغا .
اولغا : في اي أمر ؟
هوغو : اقناع لويس بان يعهد إليّ في عمل مباشر . حسبي ضرباً على الآلة الكاتبة ، بينما يواجه الرفاق الموت .
اولغا : انك تتعرض للمخاطر ، انت ايضاً .
هوغو : ليست هي المخاطر نفسها . (هنيهة) اولغا : لم تبق لي رغبةٌ في الحياة .
اولغا : حقاً ؟ ولماذا ؟
هوغو : (بحركة) إنها شاقّة اكثر مما ينبغي .
اولغا : ولكنك متزوج ، مع ذلك ؟
هوغو : لا اهمية لذلك .
اولغا : انك تحب زوجتك .
هوغو : نعم . بكل تأكيد . (هنيهة) إنّ شخصاً لا رغبة له بالحياة يمكن ان يُفيد ، إن أحسِن استخدامُه . (هنيهة . صيحات وضوضاء من قاعة الاجتماع) إن الامور لتسوء ، هناك في الداخل .
اولغا (قلقة) : تسوء جداً .

المشهد الرابع

الاشخاص انفسهم ولويس

(الباب يفتح . ويخرج لويس مع رجلين آخرين يمران بسرعة فيفتحان باب الدخول ويخرجان)

لويس : انتهى الأمر .
اولغا : هودرر ؟
لويس : لقد ذهب من الخلف مع بوريس ولوكا .
اولغا : وإذن ؟
لويس (يرفع كتفيه من غير ان يجيب . هنيهة ثم يقول) : الادنياء !
اولغا : هل صوّتّم ؟
لويس : اجل (هنيهة) لقد سُمح له ان يقوم بمحادثات . ولا بدّ ان ينتصر حين يعود بعروض دقيقة واضحة .
اولغا : ومتى يكون الاجتماع القادم ؟
لويس : بعد عشرة ايام . ان امامنا بعد اسبوعاً على الاقل . (اولغا تدله على هوغو) ماذا ؟ آه .. نعم .. الا تزال هنا ؟ انت ؟ (ينظر اليه ثم يستأنف بشرود:) لا تزال هنا .. (هوغو يقوم بحركة تنم عن رغبته بالذهاب) إبقَ هنا . ربما كان لك عندي عمل . (لاولغا) انك تعرفينه خيراً مما اعرفه . فما هي قيمته ؟
اولغا : إنه يَصْلُح .
لويس : اليس هو قابلاً للالتواء والخوف ؟

اولغا : لا ، بكل تأكيد ، بل هو احرى به . .

لويس : ماذا ؟

اولغا : لا شيء . إنه يَصْلحُ .

لويس : حسناً (هنيهة) هل ذهب ايفان ؟

اولغا : منذ ربع ساعة .

لويس : نحن في الأروقة الاولى : وسنسمع من هنا الانفجار (هنيهة يعود نحو هوغو) يبدو ان بودّك ان « تعمل » ؟

هوغو : أجل .

لويس : لماذا ؟

هوغو : هكذا .

لويس : حسناً . على انك لا تحسن استعمال أصابعك العشرة .

هوغو : هذا حق . لا اعرف ان اعمل شيئاً .

لويس : وإذن ؟

هوغو : في آخر القرن الماضي ، كان في روسيا اشخاص يعترضون طريق الدوق الكبير ، وفي جيوبهم قنبلة . وكانت القنبلة تنفجر ، فيتطاير الدوق الكبير اشلاء ، وكذلك حامل القنبلة . استطيع ان اقوم بذلك .

لويس : اولئك كانوا فوضويين . وإنك لتحلم بهم لأنك مثلهم : مثقف فوضوي . ولكنك متأخر خمسين عاماً : لقد انتهى عهد الارهاب .

هوغو : انا إذن غير صالح .

لويس : نعم ، في هذا الميدان .

هوغو : لا نتحدث إذن بهذا بعدُ .

لويس : انتظر . (هنيهة) ربما وجدت لك عملاً تعمله

هوغو : عملٌ « حقيقي » ؟

لويس : لِمَ لا ؟

هوغو : وتثق « حقاً » بي ؟

لويس : هذا متوقف عليك .

هوغو : انني يا لويس أقوم بأي شيء .

لويس : سنرى . إجلس (هنيهة) هذا هو الموقف : من جهة ،تقوم حكومة الوصي الفاشستية التي تماشي سياستها سياسة « المحور » ؛ ومن الجهة الاخرى يقوم حزبنا الذي يقاتل من اجل الديموقراطية ، والحرية ، ومن اجل مجتمع لا طبقات فيه . وبينهما « البانتاغون » الذي يضمّ بالخفية البورجوازيين الاحرار والوطنيين . ثلاثة فرقاء لا مجال للتوفيق بين مصالحهم ، ثلاث جماعات من البشر يتبادلون الكراهية والحقد . (هنيهة) ولقد جمعنا هودرر هذا المساء لأنه يريد ان يشترك حزب العمال مع الفاشيست والبانتاغون في اقتسام الحكم بعد الحرب . فما رأيك في ذلك ؟

هوغو : (مبتسماً) : اراك تسخر بي .

لويس : لماذا ؟

هوغو : لأن هذا عمل سخيف أحمق .

لويس : ومع هذا ، فتلك كانت هي القضية التي نوقشت هنا طوال ثلاث ساعات .

هوغو : (مذعوراً) : كيف ذلك ؟ ... لكأنك تقول لي ان اولغا قد وشت بنا لدى الشرطة وان الحزب قد قدم لها تهانئه .

لويس : ما العمل اذا كانت الاكثرية قد صوتت لصالح هذا التقارب ؟

هوغو : اتسألني في ذلك جادّاً ؟

لويس : نعم .

هوغو : لقد هجرت اسرتي وطبقتي يوم فهمت ما هو الاضطهاد . وانا لن اقبل في اي حال تسويةً معه .

لويس : ولكن ما الحيلة ان كانت الامور قد بلغت هذا المبلغ ؟

هوغو : ان كان الامر كذلك ، فسآخذ مفرقعة وامضي بها لاقتل شرطياً في «الساحة الملكية» او جندياً اذا واتاني بعض الحظ . ثم اقف أمام الجثة منتظراً

ما قد يحدث لي . (منيهة) الحق انها خرافة !

لويس : لا . لقد اقرت اللجنة عرض هودرر باربعة اصوات مقابل ثلاثة . وفي الاسبوع القادم سيجتمع هودرر بمندوبي الوصي .

هوغو : هل تراهم قد اشتروه ؟

لويس : لا ادري ولا يهمني ان ادري ، إنه ، موضوعياً ، رجل خائن ، وحسبي ان اعلم هذا .

هوغو : ولكن يا لويس .. اخيراً ، لا ادري انا .. ان هذا عبث ومحال : ان الوصي يكرهنا . انه يطاردنا ، ويحارب الاتحاد السوفياتي الى جانب المانيا، وهو الذي امر باعدام أشخاص منا : فكيف يمكن ان ...

لويس : ان الوصي فقد ايمانه بانتصار المحور : وهو يريد ان ينجو بجلده . فاذا ربح الحلفاء ، فهو يود ان يستطيع القول انه كان يلعب على الحبلين .

هوغو : ولكن الرفاق ...

لويس : ان الحزب الشيوعي الذي امثله هو كله ضد هودرر . ولكنك تعرف الحقيقة ، ان حزب العمال قد ولد من اتحاد الحزب الشيوعي والاشتراكيين الديموقراطيين . وقد صوّت الاشتراكيون الديموقراطيون الى جانب هودرر ، وهم ينعمون بالاكثرية .

هوغو : ولكن لماذا ؟

لويس : لان هودرر يخيفهم ..

هوغو : اليس بوسعنا ان نتخلى عنهم ؟

لويس : فيحدث انشقاق ؟ هذا مستحيل . (منيهة) الست معنا ايها الصغير ؟

هوغو : لقد اخبرتماني ، اولغا وانت ، بكل شيء، فانا مدين لكما بكل شيء . والحزب في نظري هو انتما .

لويس : (لاولغا) : هل يعني ما يقوله ؟

اولغا : نعم .

لويس : حسناً (لهوغو) انك تفهم الموقف جيداً : لا نستطيع ان ننشق ولا ان ننتصر في اللجنة . وانما القضية قضية مناورة لهودرر . ولولا هودرر لوضعنا الآخرين في جيبنا (منيهة) وقد طلب هودرر يوم الثلاثاء الماضي من الحزب ان يعيّن له سكرتيراً . طالباً متزوجاً .

هوغو : ولماذا يكون متزوجاً ؟

لويس : لا ادري . هل انت متزوج ؟

هوغو : نعم .

لويس : واذن ؟ فهل انت موافق ؟ (يتبادلان النظر لحظة) .

هوغو : (بقوة) : نعم .

لويس : حسناً جداً . ستذهب غداً بصحبة زوجتك . انه يسكن على بعد عشرين كيلو متراً في بيت ريفي أعاره إياه صديق . وهو يعيش مع ثلاثة رجال اشداء هم هناك لمجابهة ما قد يحدث من اخطار . ولن يكون عليك الا ان تراقبه ؛ وسوف نتصل بك حال وصولك . ينبغي الا يلتقي بمبعوثي الوصي ، او ينبغي على ايّ حال الاّ يلتقي بهم مرتين ؛ هل فهمتني ؟

هوغو : نعم .

لويس : وفي المساء الذي سنعيّنه لك ، تفتح الباب لثلاثة رفاق ينجزون المهمة ، وستكون في الطريق سيارة تستقلها مع زوجتك في هذه الاثناء وتفرّان بها

هوغو : اوه ! يا لويس .

لويس : ما بك ؟

هوغو : اهذا اذن ما تريده مني ؟ ليس الا هذا ؟ أهذا هو الذي تراني جديراً بالقيام به ؟

لويس : ألست موافقاً ؟

هوغو : كلا ، على الاطلاق : انا لا أود ان اقوم بدور الحمل . انّ لنا طرقنا نحن ايضاً . فالمثقف الفوضوي لا يقبل اية مهمة .

اولغا : هوغو !

هوغو : هذا ما اقترحته عليكم : لا حاجة الى الاتصال ولا الى التجسس . أقوم بالمهمة انا نفسي .

لويس : انت ؟

هوغو : انا .

لويس : انه عمل اشقّ مما ينبغي لهاوٍ مثلك .

هوغو : قد يلتقي قتلتكم الثلاثة بحراس هودرر ، فيعرضون انفسهم للهلاك . اما انا ، فـــان كنت سكرتيره ، وان حزت على ثقته ، فسأكون وحدي معه بضع ساعات كل يوم .

لويس : (متردداً) : لا ...

اولغا : لويس !

لويس : ماذا ؟

اولغا : (على مهل) : ثق بــــه . انه فتى صغير يبحث عن حظه ، وسيمضي حتى النهاية .

لويس : هل تكفلينه ؟

اولغا : كليّاً .

لويس : حسناً . إذن اسمع ...

(انفجار اصم في البعيد)

اولغا : لقد نجح .

لويس : اطفئي النور ! افتح النافذة يا هوغو !

(يطفئون النور ويفتحون النافذة . تنبعث من الداخل نار حريق احمر)

اولغا : هناك حريق ، حريق . لقد نجح . (يقفون كلهم عند النافذة) .

هوغو : لقد نجح . قبل نهاية الاسبوع ، ستكونان هنا انتما الاثنين ، في مثل هذه الليلة ، تترقبان الانباء ؛ وستكونان قلقين ، وستتحدثان عني فيكون لي في نفسيكما شأن . وسوف تتساءلان : ماذا يفعل ؟ ثم تتلقيان مخابرة تلفونية ، او يطرق احدهم الباب ، فتبتسمان كما تفعلان الآن ، ثم تقولان : « لقد نجح » .

(ستار)

الفصل الثالث

(مقصورة . سرير ، خزائن ، مقاعد، كراسي . ثياب امرأة على جميع الكراسي ، وحقائب مفتوحة موضوعة على السرير .

جسيكا ترتب الأثاث . تذهب الى النافذة لتنظر . تعود . تتجه الى حقيبة مقفلة موضوعة في زاوية ، وعليها حرفا « هـ. ب. » ، فتجرها الى مقدم المسرح ، وتعود فتلقي نظرة من النافذة ، ثم تأتي لتأخذ ثوب رجل معلقاً في خزانة ، فتبحث في جيوبه وتخرج مفتاحاً تفتح به الحقيبة ، وتعيث فيها على عجل ، وتعود الى النافذة لتنظر ، ثم ترجع وتفتش فتجد شيئاً تنظر اليه ، وهي تولي الجمهور ظهرها ؛ نظرة جديدة الى النافـــذة . ترتعش ، وتغلق الحقيبة بسرعة ، ثم تضع المفتاح في السترة ، وتخفي تحت الفراش ما كان في يدها من أشياء . يدخل هوغو) .

المشهد الأول

جيسكا ، هوغو

هوغو : لقد استبقاني اكثر مما كنت اقدّر . هل وجدتِ الوقت طويلاً ؟

جسّيكا : بشكل فظيع !

هوغو : ماذا فعلت ؟

جسّيكا : لقد نمت .

هوغو : ان من ينام لا يجد الوقت طويلاً .

جسيكا : حلمت اني اشعر بان الوقت طويل ، فأيقظني ذلك ، وقمت احلّ الحقائب. كيف ترى وضع الاشياء ؟ (تشير الى خليط الثياب على السرير والكراسي) .

هوغو : لا ادري . هل هو وضع مؤقت ؟

جسّيكا (بحزم) : بل هو نهائي .

هوغو : حسناً جداً .

جسيكا : كيف رأيته ؟

هوغو : من ؟

جسيكا : هودرر ؟

هوغو : هودرر ؟ إنه كسائر الناس .

جسيكا : ما عمره ؟

هوغو : بين عمرين .

جسيكا : ايّ عمرين ؟

هوغو : العشرين والستين .

جسيكا : طويلٌ هو ام قصير ؟

هوغو : معتدل .

جسيكا : علامة فارقة ؟

هوغو : جرحٌ طويل في الوجه وشعرٌ مستعار وعينٌ من زجاج .

جسيكا : يا للفظاعة !

هوغو : هذا غير صحيح ، فليست له علامة فارقة .

جسيكا : اراك تتخابث ، ولكنك ستعجز عن ان تصفه لي .

هوغو : لا ، لن اعجز بكل تأكيد .

جسيكا : بل انك لتعجز .

هوغو : لا .

جسيكا : بلى . ما هو لون عينيه ؟

هوغو : رماديّ .

جسيكا : يا لحلقي المسكينة ! إنك تعتقد ان كل العيون رمادية . ان فيها الزرقاء والكستنائي والأخضر والأسود ، بل إن فيها البنفسجي . فاي لون هو لون عينيّ ؟ (تخفي عينيها بيدها) لا تنظر .

هوغو : انها جناحان من حرير ، حديقتان اندلسيتان ، سمكتان قمريتان .

جسيكا : اسألك عن لونها .

هوغو : ازرق .

جسّيكا . لقد نظرت .

هوغو : كلا . ولكنكِ قلت لي ذلك هذا الصباح .

جسيكا : ابله . (تقترب منه) تذكـّر جيداً يا هوغو : هل له شاربان ؟

هوغو : لا (منبهة. بحزم) انني على يقين ان ليس له شاربان .

جسيكا : (بحزن) بودّي لو اصدقك .

هوغو (يفكر ثم ينطلق قائلا) كانت له ربطة عنق منقّطة .

جسيكا : منقّطة ؟

هوغو : منقـّطة .

جسيكا : عجباً !

هوغو : ذات شكل .. (حركة يقصد بها عقدة خاصة) انت تعرفينها .

جسيكا : لقد فضحت نفسك واستسلمت . لا شك انك كنت تنظر إلى عقدته طوال الوقت الذي كان يحدثك فيه . لقد أخافك يا هوغو .

هوغو : كلا .. اي كلام هذا !

جسيكا : بلى ، لقد أخافك .

هوغو : إنه لا يخيف .

جسيكا : لماذا كنت إذن تنظر إلى عقدة رقبته ؟

هوغو : كي لا أخيفه !

جسيكا : هذا جميل . امـا انا فسأنظر اليه ، فاذا شئت ان تعرف كيف هو ، فليس لك إلا أن تسألني . ماذا قال لك ؟

هوغو : قلت له إن والدي كان نائباً لرئيس « مصانع الفحم » في « توسك » واني تركته لأنخرط في الحزب .

جسيكا : وبمَ اجابك ؟

هوغو : اجابني بأن هذا حسن .

جسيكا : وبعد ذلك ؟

هوغو : لم أخْفِ عنه اني قـد حصلت على شهادة الدكتوراه ، ولكني افهمته جيداً انـي لست مثقفاً متعالياً ، وانني لا احمرّ خجلا من القيام بعمل ضارب على الآلة او ناسخ ، وانني اضع شرفي في الطاعة والنظام الصارم .

جسيكا : وبمَ اجابك ؟

هوغو : اجابني بأن ذلك حسن .

جسيكا : وهل استغرق هذا ساعتين ؟

هوغو : كانت هناك فترات الصمت .

جسيكا : إنك من اولئك الناس الذين يحدثوننا عما قالوه دائماً للآخرين ، ولا يحدثوننا ابداً عما أجابهم به الآخرون .

هوغو : ذلك اني اعتقد أن اهتمامك بي اشد من اهتمامك بالآخرين .

جسيكا : بكل تأكيد يا نحلتي . ولكني املكك انت . امـا الآخرون ، فلا املكهم .

هوغو : اتودّين ان تملكي هودرر ؟

جسيكا : اود أن املك جميع الناس .

هوغو : همْ ! إنه مبتذل .

جسيكا : انـّى لك أن تعرف ذلك ما دمتَ لم تنظر اليه ؟

هوغو : إن من يربط عقدة منقـّطة هو مبتذل لا محالة .

جسيكا : لقد كانت الامبراطورات اليونانيات يضاجعن قادةً من البربر .

هوغو : لم يكن في اليونان امبراطورات .

جسيكا : بل كان في بيزنطة امبراطورات .

هوغو : كان في بيزنطة امبراطورات يونانيات وقـادة من البربر ، ولكن التاريخ لا يشير إلى ما كانوا يفعلون .

جسيكا : ما عساهم ان يفعلوا غير ذلك ؟ (صمت قصير) هل سألك عنّي ؟

هوغو : لا .

جسيكا : وحتى لو سألك ، مـا كنت تستطيع الجواب : فانت لا تعرف شيئاً . او لم يقل شيئاً آخر عني ؟

هوغو : لم يقل شيئاً .

جسيكا : انه مفتقر إلى اللياقة .

هوغو : ترين ذلك . لقد فاتك اوان الاهتمام به .

جسيكا : ولماذا ؟

هوغو : أتمسكين لسانك ؟

جسيكا : بكلتا يدي .

هوغو : انه سوف يموت .

جسيكا : هل هو مريض ؟

هوغو : لا ، ولكنه سيُغتال . كجميع رجال السياسة .

جسيكا : آه ! (هنيهة) وانت ، يا نحلة صغيرة ، هل انت رجـل سياسي ؟

هوغو : بالطبع .

جسيكا : وما الذي ينبغي ان تفعله ارملة رجل سياسي ؟

هوغو : تنخرط في حزب زوجها وتُنجز عمله .

جسيكا : يا إلهي ! انني اوثر ان اقتل نفسي على قبرك .

هوغو : هذا أمرٌ لا يفعلونه بعدُ الا في « مالابار » .

جسيكا : اسمع اذن ما الذي سأفعله : سأسعى للقاء قاتليك واحداً واحـداً فأحرقهم حباً ، حتى اذا ظنّوا آخر الامر انهم استطاعوا ان يفرّجوا عني الحزن اغمدت سكيناً في قلوبهم .

هوغو : ايها اكثر تسليةً لك : ان تقتليهم او ان تغويهم ؟

جسيكا : انك سخيف ومبتذل .

هوغو : كنت احسب انك تحبين الرجال المبتذلين . (جسيكا لا تجيب) هل نمزح ام لا نمزح ؟

جسيكا : لا نمزح بعدُ . دعني احلّ حقائبي .

هوغو : هيا ، هيا .

جسيكا : لم تبق الا حقيبتك . اعطني المفتاح .

هوغو : لقد اعطيتك اياه .

جسيكا (مشيرة الى الحقيبة التي فتحتها في اول الفصل) لم تعطني مفتاح هذه .

هوغو : امّا هذه فسأحلّها انا نفسي .

جسيكا : ليس هذا عملك ، يا روحي الصغير .

هوغو : ومتى كان ذلك عملك ؟ هل تريدين ان تمثلي دور سيدة البيت ؟

جسيكا : انك انت تقوم بدور الثوري .

هوغو : الثوريون ليسوا بحاجة الى سيدات بيت : انهم يقصّون شعورهنّ .

جسيكا : انهم يؤثرون الذئبات ذوات الشعر الاسود ، كأولغا .

هوغو : هل غرت منها ؟

جسيكا : يا ليت ! انني لم امثّل دور المرأة الغيور قط . فهل امثّله الآن ؟

هوغو : اذا كنت تشائين .

جسيكا : حسناً . اعطني اذن مفتاح هذه الحقيبة .

هوغو : ابداً .

جسيكا : ماذا تخفي في هذه الحقيبة ؟

هوغو : سراً مخجلاً .

جسيكا : ايّ سرّ ؟

هوغو : انني لست ولد ابي .

جسيكا : كم كان ذلك يفرحك ، يا مخلوقي . ولكنه ليس ممكناً ، فانت تشبهه شبهاً بالغاً .

هوغو : هذا غير صحيح يا جسيكا هل ترين اني اشبهه ؟

جسيكا : هل نمزح او لا نمزح ؟

هوغو : نمزح .

جسيكا : افتح اذن هذه الحقيبة .

هوغو : لقد أقسمت الا أفتحها .

جسيكا : انها محشوة برسائل الذئبة ! او ربما بصور ؟ افتحها .

هوغو : لا ، لن افتحها .

جسيكا : افتحها ، افتحها .

هوغو : كلا ، ثم كلا .

جسيكا : أتمزح ؟

هوغو : أجل .

جسيكا : هدنة اذن . انني لا امثل بعد . افتح الحقيبة .

هوغو : هدنة مرفوضة . لن افتحها .

جسيكا : الامر لديّ سواء ، فانا اعرف ما في داخلها .

هوغو : وما في داخلها ؟

جسيكا : فيها... فيها... (تدخل يدها تحت الفراش ، ثم تضع يديها خلف ظهرها ثم تبرز صوراً) فيها هذه !

هوغو : جسيكا !

جسيكا (منتصرة) : لقد وجدت المفتاح في ثوبك الازرق ، وانا اعلم من هي عشيقتك ، اميرتك ، امبراطورتك . ليست هي انا ، وليست الذئبة ، وانما هي انت يا عزيزي ، نفسك بالذات . اثنتا عشرة صورة في الحقيبة ، وكلها تمثلك .

هوغو : اعيدي لي هذه الصور .

جسيكا : اثنتا عشرة صورة من صبـــاك الحالم . في الثالثة من عمرك ، وفي السادسة ، والثامنة ، والعاشرة والثانية عشرة والسادسة عشرة . لقد حملتها حين طردك ابوك ، فهي تتبعك حيثما توجهت : ما اشدّ ما تحب نفسك !

هوغو : جسيكا ، لقد كففت عن المزاح .

جسيكا : كنت في السادسة تضع ياقة قاسية ، لا بد انها كانت تقشر عنقك الزغبة ، وثوباً مخملياً برمته وربطة عنق . اي رجل صغير جميل ، اي فتى عاقل ! ان الفتيان العاقلين ، يا سيدي ، هم الذين يصبحون اشد الثوريين ارهابـاً . انهم يقولون شيئاً ، ولا يختبئون تحت الطاولة ، ولا يأكلون الحلوى حبة حبــة ، ولكنهم يجعلون المجتمع فيما بعد يدفع ثمنها غالياً . احذروا الفتيان العاقلين !

(يصطنع هوغو الاستسلام ، ولكنه سرعان ما يقفز اليها)

هوغو : ستعيدينها لي ايتها الساحرة ! لا بدّ ان تعيديها لي .

جسيكا : دعني (يقلبها على السرير) حذار . سوف تعرّضنا للقتل .

هوغو : أعيديها .

جسيكا : اقول لك ان المسدس سينطلق (ينهض هوغــو ، فتبرز المسدس الذي كانت ممسكة به خلف ظهرها) لقد كان هذا ايضاً في الحقيبة .

هوغو : اليّ به . (يأخذه منها ، ويذهب فيبحث في ثوبه الاسمر ويأخذ المفتاح ، ثم يعود الى الحقيبة فيفتحها ، ويلم الصور فيضعها في الحقبة مع المسدس . هنيهة) .

جسيكا : ما هذا المسدس ؟

هوغو : اني احمل دائماً مسدساً .

جسيكا : ليس هذا صحيحاً . لم يكن معك مسدس قبل ان تأتي الى هنا . بل لم تكن معك هذه الحقيبة اصلا . لقد اشتريتها في وقت واحد . لماذا تحمــل هذا المسدس ؟

هوغو : اتريدين حقاً ان تعرفي السبب ؟

جسيكا : أعدك اني لا احدّث احداً في الدنيا .

هوغو : انه من اجل ان اقتل هودرر .

جسيكا : ما اشد ما تضجرني يا هوغو ! اقول لك انني لا أمزح بعد .

هوغو : ها ، ها . وهل تراني انا امزح ؟ ألست جادّاً ؟ عجبــاً ... يا جسيكا . ستصبحين زوجة قاتل !

جسيكا : ولكنك لن تقدر على ذلــك أبداً يا تحلقي الصغيرة المسكينة ؛ أتريد أن أقتله بدلاً عنك ؟ سوف أذهب فأعرض عليه نفسي ثم ...

هوغو : شكراً لك ، ثم انك ستخطئينه . سأعمل أنا نفسي .

جسيكا : ولكن لِمَ تريد قتله ؟ رجل لا تعرفه ؟

هوغو : حتى تعتبرني زوجتي جادّاً . هل ستعتبرينني جادّاً ؟

جسيكا : أنا ؟ سوف أفخر بك ، سوف أخفيك ، سوف أغذّيك ، وسوف أسليك في مخبأك ، واذا ما وشى بنا الجيران ، فسأرتمي عليك بالرغم من رجال الشرطة ، وسأشدّك بين ذراعي وأنا أهتف بك : أحبّك ...

هوغو : قوليها لي الآن .

جسيكا : ماذا ؟

هوغو : انك تحبينني .

جسيكا : أحبك .

هوغو : قوليها لي صادقة .

جسيكا : أحبّك .

هوغو : إنك لا تقولينها صادقة .

جسيكا : ولكن ماذا دهاك ؟ هل أنت تمزح ؟

هوغو : لا ، لا أمزح .

جسيكا : لماذا تسألني هذا ؟ ليس ذلك من عادتك .

هوغو : لا ادري . إن بودّي ان اعتقد انك تحبينني . وهذا من حقي دون ريب . هيّا ، قوليها . قوليها « جيداً » .

جسيكا : أحبك ، أحبك . لا : أحبّك . آه ! ليأخذك الشيطان ! كيف تقولها انت ؟

هوغو : أحبك .

جسيكا : أترى ؟ انك لا تقولها خيراً مني .

هوغو : ألا تعتقدين بما قلته لك ؟

جسيكا : من أنك تحبني ؟

هوغو : من أنني سأقتل هودرر ؟

جسيكا : طبعاً أعتقد به .

هوغو : ابذلي بعض الجهد يا جسيكا . كوني جادّة .

جسيكا : لماذا ينبغي لي ان اكون جادّة ؟

هوغو : لانه ليس بالامكان ان يمزح المرء طوال الوقت .

جسيكا : لا أحب الجد ، ولكن يمكن تدبير الامر : سأحاول تمثيلا ان اكون جادة .

هوغو : انظري إليّ في عينيّ . دون ما ضحك . اسمعي : إن الامر جدّ في ما يتعلق بهودرر . فالحزب هو الذي أرسلني لذلك .

جسيكا : لا اشك في هذا . ولكن لماذا لم تقل لي ذلك قبل الآن ؟

هوغو : ربما كنت ترفضين ان تصحبيني .

جسيكا : لماذا ؟ ان هذه شؤون رجال ، وهي لا تعنيني .

هوغو : إنها لمهمة غريبة ، لو تدرين .. يبدو أن صاحبنا صلب المراس .

جسيكا : إذن سنخدّره ونشدّه الى فوهة مدفع .

هوغو : جسيكا ! انني جادّ في ما اقول .

جسيكا : وانا ايضاً .

هوغو : انت تحاولين تمثيلا ان تكوني جادّة . وقد قلت لي ذلك .

جسيكا : لا بل انت .

هوغو : يجب ان تصدقيني، ابتهل اليك في ذلك .

جسيكا : سأصدقك اذا صدقت باني جادّة .

هوغو : حسناً . انني اصدقك .

جسيكا : لا ، بل انت تحاول لعباً ان تصدقني .

هوغو : لن ننتهي من ذلك ، ولن نخرج منه ابداً (قرع على الباب) ادخل .

(تقف جسيكا بالقرب من الحقيبة ، مولية الجمهور ظهرها ، بينما يتجه هو ليفتح الباب)

المشهد الثاني

سليك ، جورج ، هوغو ، جسيكا .

(يدخل سليك وجورج مبتسمين ، وفي كتفيهما بندقيتان سريعتا الطلقات ، وقـد [illegible] بمسدسين . صمت)

جورج : هانحن ذان .

هوغو : نعم ؟

جورج : أتينا نرى ان كنت بحاجة الى مساعدة .

هوغو : مساعدة لأي شيء ؟

سليك : لترتيب الأثاث .

جسيكا : انكما حقاً لطيفان ، ولكني لست بحاجة الى أحد .

جورج (مشيراً الى الثياب النسوية المنتثرة على قطع الاثاث) إن كل هـذا ينبغي ا[illegible] يُرتب .

سليك : إن الامر لينتهي على عجل اذا اشتركنا فيه نحن الاربعة .

جسيكا : أتظنّ ذلك ؟

سليك (يتناول ثوباً نسوياً داخلياً ملقى على ظهر كرسي ويمسكه بطرف يده) : إ[illegible] هذا يُطوى من الوسطَ ، اليس كذلك ؟ ثم تُردُّ جوانبه ؟

جسيكا : نعم ؟ حسناً . احرى بك في رأيي ان تتخصص بأعمال القوة .

جورج : لا تمسّه يا سليك ، والاّ فسيوحي لك باشياء ! اعذريه يا سيدتي: فها هي ستة أشهر تمضي من غير ان نرى امرأة .

سليك : بل بتنا لا ندري كيف ُهن مخلوقات . (ينظران اليها) .

جسيكا : وهل تستعيدان هيأتهنّ الآن ؟

جورج : شيئاً فشيئاً .

جسيكا : ولكن أليس في القرية نساء ؟

سليك : بلى ، ولكنهن لا يخرجن .

جورج : كان السكرتير القديم يقفز كل ليلة من فوق الجدار ، حتى ُوجد ذات صباح ، ورأسه في مستنقع أسن . واذ ذاك قرر صاحبنا ان يكون خلفه متزوجاً ليرضي حاجته في بيته .

جسيكا : لقد كان هذا في غاية اللباقة .

سليك : اما نحن ، فلم يخطر بباله ان نرضي حاجتنا .

جسيكا : عجباً ! لماذا ؟

جورج : يقول انه يريد ان نكون وحوشاً كاسرة .

هوغو : انهما حارسا هودرر .

جسيكا : تصوّر انني حزرت ذلك .

سليك : (مشيراً الى بندقيته سريعة الطلقات) بسبب هذه ؟

جسيكا : بسبب هذه ايضاً .

جورج : ينبغي الاّ ُنعتبر ممتهنين .. حذار من ذلك ! فانا في الحقيقة اطفائي ، ولئن جاوزنا مهنتنا فلأن الحزب طلب الينا ذلك .

سليك : الستما تخافاننا ؟

جسيكا : بالعكس ؛ على انني احب ان تتحللا من اسلحتكما (مشيرة الى البندقيتين والمسدسين) . ضعاها في زاوية .

جورج : هذا مستحيل .

سليك : ممنوع .

جسيكا : وهل تنزعانها قبل النوم ؟

جورج : لا يا سيدتي .

جسيكا : لا ؟

سليك : لا .

هوغو : انهما شديدا الحرص على الاوامر . وحين دخلت على هودرر ، كانا يدفعانني بفوهتي بندقيتيهما .

جورج : (ضاحكاً) هكذا نحن .

سليك : ولو قد تحرّك ، إذن لأصبحت أرملة . (الجميع يضحكون)

جسيكا : إن سيدكما خائف إذن ؟

سليك : انه ليس بخائف ، ولكنه لا يريد ان ُيقتل .

جسيكا : ولماذا ُتراه ُيقتل ؟

سليك : لماذا ، لست ادري . ولكن الذي لا ريب فيه انهم يريدون قتله .

جسيكا : ان هذا لشديد الأهمية .

سليك : يجب القيام بالحراسة . هذا كل شيء . اوه ! سوف تدركين ذلك . وليس في هذا أي مظهر مسرحي .

(بينما يجيب سليك ، يطوف جورج بالغرفة باهمال مصطنع ، ثم يذهب الى الخزانة المفتوحة فيخرج منها ثوب هوغو)

جورج : هيه يا سليك ، انظر كم هو مهفهف !

سليك : ان هذا يؤلف قسماً من مهنته . إنك لتنظر الى سكرتيرك بينما هو يخطّ ما تتحدث به ، فينبغي ان يروق لك ، والا فانك تفقد خيط افكارك .

(جورج يجس الثوب متصنعاً انه ينفض عنه الغبار)

جورج : احذروا الخزائن ، فان جدرانها متداعية .

(يعود فيضع الثوب في الخزانة ثم يرجع الى مقربة من سليك . جسيكا وهوغو يتبادلان النظر)

جسيكا : (عازمة) ولكن اجلسا .

سليك : لا ، لا ، شكراً .

جورج : لا ضير علينا ونحن كذلك .

جسيكا : ليس باستطاعتنا ان نقدم لكما شيئاً تشربانه .

سليك : اياً ما كان ، فنحن لا نشرب في اثناء الوظيفة .

هوغو : وهل انتما في الوظيفة ؟

جورج : نحن « دائماً » في الوظيفة .

هوغو : هكذا اذن ؟

سليك : اقول لك ان على من يقوم بهذه المهنة المحترمة ان يكون قديساً .

هوغو : امـــا انا ، فلست بعد في الوظيفة . انني في منزلي مع زوجتي . لنجلس يا جسيكا (يجلسان) .

سليك : (متجهاً الى النافذة) منظر بديع !

جورج : إن منزلهما لجميل .

سليك : وهادىء .

جورج : هل رأيت السرير ما أعرضه . ! إنه يتسع لثلاثة .

سليك : بل لأربعة ، فان العرسان الجدد يتلبدون .

جورج : كل هذا الحيّز الضائع ، بينا هناك من يفترشون الارض .

سليك : اسكت ، فيبدو اني سأحلم بذلك هذه الليلة !

جسيكا : أليس لك سرير ؟

سليك (بمرح) : اسمع يا جورج !

جورج (ضاحكاً) : أجل .

سليك : تسألنا ان كان لنا سرير !

جورج (مشيراً الى سليك) : انه ينام على سجادة المكتب ، وانا في الرواق، بالقرب من غرفة صاحبنا .

جسيكا : وهل هذا شاقّ ؟

جورج : انه شاق بالنسبة لزوجك ، لأنه يبدو رقيق الطبع . امـا نحن فقد اعتدنا ذلك . ولكن المزعج اننا لا نجد غرفة نأوي اليها . وليست الحديقة

صحيّة ، من أجل ذلك نقضي نهارنا في الرواق . (ينحني فينظر تحت السرير) .

هوغو : إلامَ تنظر ؟

جورج : يتفق احياناً ان تكون هناك جرذان . (ينهض)

هوغو : ألم تجد ؟

جورج : لا .

هوغو : من حسن الحظ . (هنيهة)

جيسكا : وهل تركتماه وحده ، رئيسكما ؟ ألا تخشيان ان يُصاب بشرّ إن طالت غيبتكما ؟

سليك : لقد بقي ليون هناك (مشيراً الى آلة التلفون) . ثم ان حدثت هناك فرقعة فان بوسعه ان ينادينا .

(هنيهة . ينهض هوغو ، وقد أمتقع لونه من فرط العصبية . تنهض جسيكا ايضاً) .

هوغو : انهما ظريفان ، أليس كذلك ؟

جسيكا : لذيـذان .

هوغو : وهل رأيت ايّ جسمين يملكان ؟

جسيكا : ألواح ! آه ! سيكونون ثلاثياً من الاصدقـاء . إن زوجي يعشق القتلة . وقد كان بوده لو يكون واحداً منهم .

سليك : ليس هو مخلوقاً لذلك . إنه مخلوق ليكون سكرتيراً .

هوغو : ستريان ان بوسعنا ان نتفاهم ، هيا ! سأكون انا الدماغ ، وجسيكا العينين ، وانتما العضلات . جسّي العضلات يا جسيكا ! (يجسها) إنها من حديد . جسّيها .

جسيكا : ولكن لعلّ السيد جورج لا يرغب في ذلك .

جورج : (متصلباً) : إن الأمر لديّ سواء .

هوغو : أترين ؟ إنه يسرّه ذلك . هيّا ، جسّي يا جسيكا ، جسي (جسيكا تجس) حديد ، أليس كذلك ؟

جسيكا : فولاذ .

هوغو : أتريدون ان نتكلم نحن الثلاثة من غير كلفة ؟

سليك : اذا شئت ايها الاخ الصغير .

جسيكا : إنه للطفٌ بالغ منكما ان تأتيا لرؤيتنا .

سليك : ان السرور كله لنا ، أليس كذلك يا جورج ؟

جورج : انه ليسعدنا ان نكون قد رأينا سعادتكما .

جسيكا : سيكون ذلك موضوع حديث لكما في الرواق .

سليك : بكل تأكيد ، ثم أننا سنقول في الليل : « انهما في الدفء ، وانه ليشدّ زوجته بين ذراعيه . »

جورج : وذلك ما سوف يشجعنا .

هوغو : (يتجه الى الباب ويفتحه) : عودا متى شئتما ، فانتما في بيتكما .

(سليك يتجه بهدوء الى الباب ويعيد اغلاقه)

سليك : سنذهب . سنذهب على الفور ، بعد التحقق من امر شكلي صغير .

هوغو : اي امر شكلي ؟

سليك : تفتيش الغرفة .

هوغو : كلا .

جورج : كلا ؟

هوغو : لن تفتشا شيئاً على الاطلاق .

سليك : لا تتعب نفسك ايها العنيد ، فان لدينا أوامر بذلك .

هوغو : أوامر ممّن ؟

سليك : من هودرر .

هوغو : هودرر هو الذي اعطاكما الامر بتفتيش غرفتي ؟

جورج : اسمع يا عنيدي الصغير ، لا تكن ابله . قلت لك انهم قد انذرونا بأنه لا بدّ ان ينفجر بارودٌ ذات يوم . أفتظنّ اذن اننا سندعك تدخل الى هنا من غير ان ننظر في جيوبك ؟ ان بوسعك ان تحمل قنابل او اي نوع من المتفجرات ، على الرغم من اعتقادي بانك لا تصلح حتى لصيد الحمام .

هوغو : اسألكما عما اذا كان هودرر هو بالذات قد كلفكما بان تفتشا في غرفتي .

سليك : (لجورج) : هو بالذات .

جورج : هو بالذات .

سليك : إن احداً لا يدخل هنا من غير ان نفتّشه . تلك هي القاعدة ، وهذا كل شيء . .

هوغو : اما انا ، فلن تفتشاني ، وذلك هو الاستثناء . هذا كل شيء . .

جورج : ألست من الحزب ؟

هوغو : بلى .

جورج : اذن ماذا علموك هناك ؟ ألا تعلم ما يعنيه الأمر ؟

هوغو : اني اعلمه مثل علمكما له .

سليك : وحين يصدرون اليك امراً ، فانت تعلم انه ينبغي لك ان تحترمه .

هوغو : نعم اعلم .

سليك : واذن ؟

هوغو : انني احترم الاوامر ، ولكني احترم نفسي انا أيضاً ، ولا اطيع الاوامر السخيفة التي صُنعت خصيصاً لتجعلني ضحكةً للناس .

سليك : انك تسمعه يا جورج . قلْ لي ، هل تحترم نفسك ؟

جورج : لا اظن . وقد يكون . وانت يا سليك ؟

سليك : اتراك مجنوناً ؟ انه لا يحق لك ان تحترم نفسك إن لم تكن على الأقل سكرتيراً .

هوغو : يا للابلهين المسكينين ! لئن انخرطت في الحزب ، فمن أجل ان يحق لكل الناس ، سواء كانوا سكرتارين ام لا ، ان يحترموا انفسهم .

جورج : أسْكته يا سليك او ابكي . امـا نحن ، يا عنيدي الصغير ، فان كنا قد انخرطنا في الحزب ، فلأننا بتنا لا نطيق بعدُ ان نتضور جوعاً .

سليك : ولكي يملك كل من كان من طينتنا ما يزدردونه ذات يوم .

جورج : حسبك تخليطاً يا سليك . لنبدأ بفتح هذه الحقيبة .

هوغو : انك لن تمسّها .

سليك : أتظـــنّ ذلك يا عنيدي الصغير ؟ وكيف تراك تستطيع ان تمنعني من ذلك ؟

هوغو : لن احاول مقاومةَ محدلةٍ . ولكن اذا وضعت يدك عليها فحسب، فسنترك المقصورة هذا المساء ، ويكون باستطاعة هودرر ان يبحث له عـــن سكرتير آخر .

جورج : اوه ! قلْ لي ، هل تخيفني بتهديدك ؟ انني أصنـــع كل يوم سكرتيراً مثلك !

هوغو : اذن ، فتّش الحقيبة ان لم تكن خائفاً ، فتّشها !

(يحك جورج رأسه . تتقدم منهم جسيكا التي ظلت هادئة طوال هذا المشهد)

جسيكا : لماذا لا تخابر هودرر بالتلفون ؟

سليك : هودرر ؟

جسيكا : سوف يوفق بينكم .

(جورج وسليك يتشاوران بالنظر)

جورج : هذا ممكن (يتجه الى آلة التلفون فيدقها ويرفع السماعة) آلو ، ليون ؟ إذهب فقل لصاحبنا ان السكرتير الصغير يرفض ان نفتشه . مـــاذا ؟ اوه ، تدجيل . (عائداً نحو سليك) لقد ذهب ليرى الرئيس .

سليك : حسناً . ولكنني اريد ان اقول لك شيئاً يا جورج . انني احبـــه ، هودرر . ولكن اذا خطر له ان يستثني من الاوامر هذا الطفل الغني بينما كنـــا نعرّي كل من اتى قبله ، فانني مستقيل .

جورج : اوافقك على ذلك . فاما ان يأتمر واما ان نترك نحن .

سليك : ربما كنت لا احترم نفسي ، ولكنّ لي عزتي كالآخرين .

هوغو : هذا ممكن جداً يا رفيقي الكبير ؛ ولكن اذا كان هودرر هـــو الذي سيصدر امر التفتيش ، فاني ساغادر هذا المنزل بعد خمس دقائق .

جورج : سليك !

سليك : ماذا ؟

جورج : الا ترى ان السيد يحمل طابع الارستوقراطي ؟

هوغو : جسيكا !

جسيكا : ماذا ؟

هوغو : الا ترين ان هذين السيدين يحملان طابع رجال الشرطة ؟

سليك (يمشي اليه ويضع يده على كتفه) : انت مخطيء يا صغيري . ومـــع ذلك فاذا اصررت على اعتبارنا من رجال الشرطة ، فنحن على استعداد لأن نتضارب !

(يدخل هودرر)

المشهد الثالث

الاشخاص انفسهم وهودرر

هودرر : لماذا تزعجونني ؟

سليك (يتراجع خطوة) : انه لا يريد ان نفتشه .

هودرر : لا يريد ؟

هوغو : اذا سمحتَ لهم بان يفتشوني ، فاني ارحل . هذا هو كل شيء .

هودرر : حسناً .

جورج : واذا منعتنا عن ذلك ، فنحن الذين سنرحل .

هودرر : اجلسوا (يجلسون على مضض) بالمناسبة ، انك تستطيـــع يا هوغو ان تحدثني من غير كلفة . اننا جميعاً هنا نتحدث كذلك .

(يأخذ ثوباً داخلياً (سليب) وجوربين من على ظهر المقعد ، ويهم بحملها الى السرير)

جسيكا : أتسمح ؟ (تأخذها من يديه وتلفها كومة تقذف بها الى السرير من غير ان ترى)

هودرر : ما اسمك ؟

جسيكا : والنساء ايضاً ، تحدثهن من غير كلفة ؟

هودرر : نعم .

جسيكا : سأعتاد ذلك . اسمي جسيكا .

هودرر (مستمراً في النظر اليها) : كنت احسب انك ستكونين قبيحة .

جسيكا : انني آسفة .

هودرر (مستمراً في النظر اليها) : اجل ان هذا لمؤسف .

جسيكا : هل ينبغي لي ان احلق رأسي ؟

هودرر : (من غير ان يكف عن النظر اليها) لا . (يبعد قليلا عنها) أبسببك همّوا بان يتضاربوا ؟

جسيكا : لم يحدث ذلك بعد .

هودرر : يجب الا يحدث ذلك مطلقاً . (يجلس في المقعد) . أما التفتيش ، فلا ضرورة له .

سليك : اننا ...

هودرر : لا ضرورة له البتة . وسوف نتحدث عن ذلك مرة اخرى . (لسليك) ماذا حدث ؟ وما الذي تأخذانه عليه ؟ أهو يرتدي ثياباً أنيقة اكثر مما ينبغي ؟ أهو يتكلم ككتاب ؟

سليك : انها قضية طبقة .

هودرر : لا مجال هنا لمثل هذا . إن الطبقات تُترك خارجاً . (ينظر اليهم) لقد بدأتم بداءة سيئة يا اولادي . (لهوغو) أما انت ، فتتدرّع بالشموخ والغطرسة لأنك اضعف الجميع . (لسليك وجورج) وأما انتما ، فتبدوان على اسوأ مظهر . لقد بدأتما تنظران اليه شزراً . وغداً سوف تدبّران له « المقالب » ، وفي الاسبوع القادم ، حين اكون بحاجة الى ان املي عليه رسالة، ستأتيان لتقولا لي انكما انتشلتماه من المستنقع .

هوغو : لا يحدث ذلك اذا كان في استطاعتي الحيلولة دونه ..

هودرر : ليس في استطاعتك ان تحول دون اي شيء . لا تتشنج يا صغيري . قصارى ما في الامر انه يجب الا تبلغ الامور هذا المبلغ . ان اربعة رجال يعيشون معاً ، اما ان يتحابوا ، واما ان يتقاتلوا . وارضاءً لي ، لابد من ان تتحابوا .

جورج : (باحترام) : لا يمكن للعواطف ان يُؤمر بها .

هودرر (بقوة) بل يؤمر بها . يؤمر بها في اثناء الوظيفة ، بين اشخاص من حزب واحد .

جورج : لسنا من حزب واحد .

هودرر : (لهوغو) : ألست منا ؟

هوغو : بلى .

هودرر : وإذن ؟

سليك : قد نكون من حزب واحد، ولكننا لم ننتسب اليه لاسباب واحدة.

هودرر : انما ينتسب اليه الناس دائماً للسبب نفسه .

سليك : عفواً ! أما هو ، فقد انتسب اليه ليعلّم الناس المساكين الاحترام الذي ينبغي لهم . .

هودرر : عجباً !

جورج : هذا ما قاله .

هوغو : وانتما لم تنتسبا الى الحزب إلا لتكفيا فيه جوعكما . هذا ما قلتماه .

هودرر : ولكني اراكم متفقين .

سليك : عفواً ؟

هودرر : ألم تروِ لي يا سليك انه كان يخجلك ان تكون جائعاً ؟ (ينحني نحو سليك ويترقب جواباً لا يأتي) وان ذلك كان يثير غضبك كله لانك لم تكن تستطيع التفكير بأي شيء آخر ؟ وان فتى في العشرين من عمره يستطيع ان يفعل خيراً من ان يشغل نفسه طوال الوقت بمعدته ؟

سليك : ما كانت بك حاجة الى ان تتحدث عن ذلك أمامه .

هودرر : ألم تَرْوِهِ لي ؟

سليك : وماذا يثبت ذلك ؟

هودرر : هذا يثبت انـك كنت تريد طعامك وشيئاً صغيراً آخر بالاضافة اليه . إما هو فيسمّي هذا احترام النفس . فدعه يقول . إن بوسع كل امريء ان يستعمل الكلمات التي يريد .

سليك : لم يكن ذلك احتراماً ، وإنه ليسوءني ان يسمى ذلك احتراماً . انه يستعمل الكلمات التي يجدها في رأسه ؛ انه يفكر كل شيء برأسه .

هوغو : وبأي شيء تريدني ان افكر ؟

سليك : ان من ينسف رأسه ، يا عنيدي ، يكفّ عن التفكير به . صحيح اني كنت اريد ان ينقطع ذلك ، يا آلهي ، لفترة قصيرة ، قصيرة جداً ، حتى استطيع الاهتمام بشيء آخر ، باي شيء آخر غير نفسي . ولكن لم يكن ذلك احتراماً لنفسي . انك لم تُصبْ يوماً بالجوع . وقـد اتيتنا لتعلمّنا الاخلاق ، كتلك النساء الزائرات اللواتي كن يصعدن الى غرفة امي ، اذ تكون سكرى ، ليقلن لها انها لم تكن تحترم نفسها .

هوغو : انك مخطيء .

جورج : هل أُصبتَ بالجوع انت ؟ انا احسب انك كنت بالاحرى محتاجاً الى القيام ببعض التمرينات قبل الطعام طلباً للاشتهاء .

هوغو : انت على حق هذه المرة يا رفيقي الكبير . فشهوة الطعام ، لم اكن اعرف ما هي . لو اتيح لك ان ترى ما كان يُقدم لي في طفولتي من الفوسفاتين ، اذن لرأيت اني كنت اترك منـه نصفه : واي تبذير ! واذ ذاك ، كانوا يفتحون فمي ويقولون لي : ملعقة من أجل البابا ، ملعقة من أجل الماما ، ملعقة من أجل العمة أنّا ، وكانوا يُدخلون الملعقة حتى أعماق حلقي . ومع ذلـك فقد كنت انمو واكبر ، ولكني لم اكن اسمن . واذ ذاك راحوا يسقونني دمـاً طازجاً كانوا يجلبونه من المسلخة ، لاني كنت ممتقع اللون ؛ ومنذ ذلـك الحين ، باتت يدي لا تمسّ اللحم . وكان ابي يقول كل مساء : « هـذا الصبي غير جائع ... » تصور

ذلك ، كل مساء : « كلْ ، يا هوغو ، كلْ ، فانك ستضعف ان لم تأكل . » ولقد سقوني زيت كبد السمك ، وكان ذلك غايـة البذخ والترف : بجرعة « تثير جوعك » ، بينما يبيع الآخرون انفسهم ، في الشارع ، من أجـل شرحة لحم ! لقد كنت اراهم يمرّون تحت نافذتي يحملون لوحات : « اعطونا خبزاً » . وكنت اذهب لأجلس الى المائدة . كلْ ، يا هوغو ، كلْ . ملعقة من اجل الحارس العاطل عن العمل ، وملعقة من اجـل العجوز التي تلتقط القشور من القمامة ، وملعقة من اجل اسرة النجار الذي كسر ساقه وغادرت المنزل . وانتسبت الى الحزب ، وكان ذلك لكي اسمع النغمة نفسها : « انك لم تصب بالجوع يوماً يا هوغو ، فلِمَ تتدخل في هذه الشؤون ؟ ما عساك تفهم ؟ إنك لم تُصَب يوماً بالجوع ! » اجل ! لا لم اصب بالجوع ابداً . ابداً ! ابداً ! ابداً ! لعلّ بوسعك انت ان تقول مـا ينبغي لي ان افعله حتى تكفّوا جميعاً عن اتهامكم اياي بذلك .

(هنيهة)

هودرر : انكما تسمعان . اذن أرشداه . قولا له ما ينبغي ان يفعله ، مـا الذي تطلبه منه يا سليك ؟ ان يقطع احدى يديه ؟ ان يفقأ احدى عينيه ؟ ان يقدم لك زوجته ؟ ايّ ثمن ينبغي له ان يدفعه حتى تغفرا له ؟

سليك : ليس لي ما اغفره له .

هودرر : بلى ! ان يكون قـد انخرط في الحزب من غير ان يكون مسوقاً اليه بالبؤس .

جورج : نحن لا نأخذ عليه شيئاً . كل مـا هناك ان بيننا عالماً : انه هاوٍ دخل الحزب لأنه استحسن ذلك ، لأنه اراد ان يقوم بعمل حسن . امـا نحن ، فما كنا نستطيع ان نفعل غير هذا .

هودرر : وهو ، اتحسب انـه كان بامكانه ان يفعل غير هذا ؟ ان جوع الآخرين ليس هو ايضاً امراً يسهل احتماله .

جورج : هناك كثيرون يتدبرون هذا الامر على أيسر سبيل .

هودرر : ذلك انهم لا خيال عندهم . ومصيبة هـذا الصغير ان عنده من

الخيال اكثر مما ينبغي .

سليك : حسناً . نحن لا نريد به شراً . كل مـــا في الامر اننا لا نطيقه . واحسب اننا يحق لنا على الاقل ...

هودرر : اي حق هـــذا ؟ ليس لكما اي حق . « اننا لا نطيقه » . اي قذرين انـــتما ! إذهبا فانظرا الى وجهيكما في المرآة ، فستعودان لتظهر بمظهرا الرقة في العاطفة ، ان كنتما تجرؤان . ان الناس يحكم عليهم بالاعمال . وحذار ان احكم عليكما بعملكما ، فانكما تنحطان الى درك سحيق في هذه الاوقات الاخيرة .

هوغو (صائحاً) . أرجوك ، لا تدافع عني! منذا الذي يسألك ان تدافع عني؟ انك لترى انه لا مجال لعمل اي شيء ، فانني معتاد حين رأيتهما يدخلان منذ حين ، عرفت بسمتهما . لم يكونا جميلين . وبوسعك ان تصدّقني . لقـــد اتيا يطلبان ان اؤدي حساب ابي وجدي وجميع من كان في اسرتي يأكل حتى الشبع . اقول لك انني اعرفهم : انهم لن يقبلوني ابداً ؛ انهم آلاف كثيرة ، اولئك الذين ينظرون بهذه البسمة . لقد صارعت واذللت نفسي ، وعملت كل مـــا بوسعي من أجـل ان ينسوا ، ورددّت على مسامعهم اني احبهم واني أغبطهم واني معجب بهم . ولكن عبثاً كنت افعل واقول ! عبثاً ! انني ابن غنيّ ، مثقف ، رجل لا يعيش من كسب يديه . حسناً : ليفكروا كما يشاءون . انهم على حق ، فالقضية قضية طبقة .

(سليك وجورج يتبادلان النظر صامتين)

هودرر (للحـــارسين) : ما رأيكما اذن ؟ (سليك وجورج يهزان كتفيهما علامة عـدم اليقين) لن اجامله كما لا اجاملكما : فانتما تعلمان اني لا اجامل احداً . انـــه لن يعمل بيديه ، ولكني سأجعله يرهق نفسه (متضايقاً) اوه ، لننته من ذلك !

سليك (عازماً) : حسناً ! (لهوغو) لا لكونك تروق لي يا صغيري فان بيننا ما لا يلتحم ، مهما فعلنا . ولكني لا اقول انك انت الحصان الرديء ؛ الصحيح اننا بدأنا بداءة سيئة . وسنحاول الا نجعل الحياة قاسية علينا . هـــل انت موافق ؟

هوغو (برخاوة) : اذا شئتما .

سليك : اموافق انت يا جورج ؟

جورج : لنَسر هكذا . (هنيهة)

هودرر : (بهدوء) : تبقى قضية التفتيش .

سليك : نعم . التفتيش ... اوه ! الآن ...

جورج : ما كنا نقول بشأنه ، لم يكن الا على سبيل الكلام .

سليك : كانت القضية قضية القيام بالواجب .

هودرر (مغيراً لهجته) : من الذي يسألكما رأيكما ؟ ستقومان بالتفتيش ان أمرتكما ان تقوما به (لهوغو ، مستعيداً صوته العادي) انني واثق بـك يا صغيري ، ولكن ينبغي ان تكون واقعياً . فلئن قمتُ اليوم باستثناء من اجلك ، فسيسألونني غداً ان اقوم باستثنائين ، ثم ينتهي الأمر بواحد من الناس الى ان يقتلنا جميعاً ، بسبب انهم اهملوا تقليب جيوبه . افرض انهما يسألانك — متأدبين — الآن وقد اصبحتم اصدقاء ، فهل تدعهما يفتشان ؟

هوغو : اخشى ... ان لا .

هودرر : هكذا اذن (ينظر اليه) واذا كنت انا الذي يسألك ذلك ؟ (هنيهة) فهمت الآن : إنّ لك مبادئك . ولكن انا ايضاً استطيع ان اجعـــل من القضية قضية مبادىء . غـــير ان المبادىء وأنا ... (هنيهة) انظر اليّ . أليس معك سلاح ؟

هوغو : لا .

هودرر : وكذلك امرأتك ؟

هوغو : نعم ، ليس معها سلاح .

هودرر : حسناً . انني اثق بك . اذهبا ، انتما الاثنين .

جسيكا : انتظرا (يلتفتان) انه لأمر سيء يا هوغو الاّ تقابل الثقة بالثقة .

هوغو : ماذا ؟

جسيكا : بوسعكم ان تفتشوا حيث تريدون .

هوغو : ولكن يا جسيكا ..

جسيكا : ماذا إذن ؟ ستجعلهم يظنون انك تخفي مسدساً .

هوغو : اية مجنونة !

جسيكا : إذن دعهم يفتشون . إن كبرياءك لم تمس ، ما دمنا نحن الذين نرجو منهم ذلك .

(يظل جورج وسليك مترددين على عتبة الباب)

هودرر : والآن ، ماذا تنتظران ؟ هل فهمتما ؟

سليك : كنا نحسب ...

هودرر : لا مجال لحسبان اي شيء ، افعلا ما يُقال لكما .

سليك : حسناً . حسناً . حسناً .

جورج : ما كان أغنانا عن جميع هذه القصص .

(بينا يأخذان في التفتيش ، باسترخاء ، لا ينقطع هوغو عن النظر الى جسيكا بذعر)

هودرر (لسليك وجورج) : وليكن في ذلك درسٌ لكما ان تثقا بالناس . اما انا ، فانني اثق بهم ابداً . بجميع الناس . (يفتشان) ما اشدّ رخاوتكما ! ينبغي ان تجدّا في التفتيش ما داما قد جدّا في اقتراحها عليكما . انظر تحت الخزانة يا سليك . حسناً . أخرج الثوب ، وجُسّه .

سليك : لقد سبق وقمنا بذلك .

هودرر : أعِدْ . انظر ايضاً تحت الفراش . حسناً . استمرّ يا سليك . وانت يا جورج ، تعال الى هنا . (مشيراً الى هوغو) فتّشه ، وليس عليك الا ان تجسّ جيوب سترته . هكذا . و « بنطلونه » ؛ حسناً . وجيب المسدس . حسناً .

جسيكا : وانا ؟

هودرر : مادمت تطلبين ذلك . جورج . (جورج لا يتحرك) ولكن ، هل هي تخيفك ؟

جورج : اوه ! كفى . (يتجه الى جسيكا محمر الوجه فيلامسها باطراف اصابعه. جسيكا تضحك)

جسيكا : إن له يديّ مصور .

(سليك يصل الى قرب الحقيبة التي تحتوي المسدس)

سليك : هل الحقائب فارغة ؟

هوغو : (متوتراً) نعم .

(هودرر ينظر اليه بتنبه)

هودرر : وهذه ايضاً ؟

هوغو : نعم (يرفعها سليك) .

سليك : كلا .

هوغو : آه .. لا ، هذه ليست فارغة . كنت أهمّ بافراغها حين دخلتم .

هودرر : إفتحها (سليك يفتحها ويفتش)

سليك : لا شيء .

هودرر : حسناً . انتهينا . اخرجا .

سليك (لهوغو) : من غير ضغينة .

هوغو : من غير ضغينة .

جسيكا (بينا هما يخرجان) : سأقوم ذات ساعة بزيارتكما في رواقكما .

المشهد الرابع

جسيكا ، هودرر ، هوغو

هودرر : لو كنت مكانكِ ، ما ترددت عليهما كثيراً .

جسيكا : اوه ! لماذا؟ إنهما على غاية اللطف، ولا سيما جورج: انه اشبه بالفتاة.

هودرر : هِمْ (يتجه نحوها) انت جميلة ، هذا امرٌ واقع . ولا يفيد شيئاً ان يؤسف لذلك . ولكن ، ليس هناك ، في وضع كهذا ، إلاّ حلاّن . الاول :

هو ان تُسعدينا جميعاً ، إن كان لك قلب واسع بما فيه الكفاية .

جسيكا : إن قلبي صغيرٌ جداً .

هودرر : كنت أتوقع ذلك . على ان ذلك لن يمنعهم من ان يقتتلوا . ويبقى الحـل الثاني : حين يخرج زوجك ، فينبغي ان تحجزي على نفسك ولا تفتحي لأحد ، حتى ولا لي .

جسيكا : نعم . حسناً ، ولكني ، اذا سمحت ، سأختار الحل الثالث .

هودرر : كما تشائين (ينحني فوقها ويتنشق بعمق) ان لك عبيراً ذكيـاً . لا تتعطّري بهذا العطر حين تذهبين لرؤيتهما .

جسيكا : لم اتعطر بأي عطر .

هودرر : فليكن ! (ينتقل ويسير متمهلا حتى وسط الغرفة ثم يقف . وفي اثنـاء المشهد كله ، تبحث عيناه في كل مكان . انه يفتش عن شيء . وبين لحظة واخرى ، يقف نظره عند هوغو ويتفحصه) حسناً . ها نحن اولاء . (هنيهة) هـا نحن اولاء (هنيهة) ستأتي الى مكتبي يا هوغو في الساعة العاشرة من صباح الغد .

هوغو : أعرف ذلك .

هودرر : (بشرود ، بينا نظره يبحث في كل مكان) حسناً ، حسناً ، حسناً . ها نحن اولاء . كل شيء على ما يرام . حسنٌ ما ينتهي حسناً . إن لكما هيئتين غريبتين حقاً يا ولدي . كل شيء حسن والجميع قـد تصالحوا ، والجميع متحابّون .. (فجأة) انك متعب يا صغيري .

هوغو : ليس هذا بذي بال . (هودرر ينظر اليه بتنبه . يتكلم هوغو جاهداً وهو منزعج) انني اعتذر .. عن الحادث الذي حدث منذ حين ..

هودرر : (من غير ان يكف عن النظر اليه) لست لأفكر فيه بعد .

هوغو . في المستقبل تتفضل حضرتك ..

هودرر : قلت لك ان كلمني من غير كلفة .

هوغو : في المستقبل لن اتيح لك ان تشكو شيئاً ، فسوف اراعي النظام .

هودرر : سبق لك ان رويت لي ذلك . هـل انت واثق من انك لست

مريضاً ؟ (هوغو لا يجيب) لئن كنت مريضاً ، فلم تفُتْ الفرصة بعد لتصارحني فأطلب الى اللجنة ان ترسل لي من يحلّ محلك .

هوغو : لست مريضاً .

هودرر : حسناً اذن فاني مغادركما . فانا احسب ان يودكما ان تظلا وحدكما. (يتجـه نحو الطاولة وينظر الى الكتب) هيغل ، ماركس ، حسناً جداً . لوركا ، اليوت : لا أعرفهما (يقلب صفحات الكتب)

هوغو : انهما شاعران .

هودرر : (متناولا كتب اخرى) شعر .. شعر .. شعر كثير . هـل تنظم قصائد ؟

هودرر : أقصد انك قـد نظمت بعض قصائد . (يبتعـد عن الطاولة ويقف بالقرب من السرير) « روب دي شامبر » ، انك تُعنى جيداً بملبسك . هـل جلبته معك يوم غادرت بيت ابيك ؟

هوغو : نعم .

هودرر : والبذلتان ايضاً ، كما اظن . (يقدم له سيـكارة)

هوغو : (رافضاً) : شكراً .

هودرر : الا تدّخن ؟ (حركة نفي من هوغو) حسناً . لقد ابلغتني اللجنـة انك لم تشارك قبل الآن بعملٍ مباشر . هل هذا صحيح ؟

هوغو : صحيح ؟

هودرر : لا شك في انك تتأكل . ان جميـع المثقفين يحلمون بان يقوموا بـ « عمل » .

هوغو : كان امر الجريدة موكولاً إلي .

هودرر : هذا مـا قيل لي . مرّ شهران من غير ان تصلني . هل انت الذي كنت تُصدر الاعداد التي سبقت ؟

هوغو : نعم .

هودرر : كان ذلـك جهداً شريفاً . وها هم يحرمون انفسهم محرّراً مخلصاً

مثلك ليرساوه إليّ .

هوغو : لقد فكروا أني جديرٌ بان اخدمك .

هودرر : انهم على غاية اللطف . وانت ؟ هل سرك ان تترك عملك ؟

هوغو : انني . .

هودرر : الجريدة ، كانت لك ، كانت هناك مخاطر وتبعات ، بـل يمكن اعتبار ذلك عملا مباشراً (ينظر اليه) وها انت ذا الآن سكرتير . (منيهة) لمـاذا تركتها ؟ لماذا ؟

هوغو : بدافع النظام .

هودرر : لا تتكلم دائمـا عن النظام . انني احذر الاشخاص الذين ليس في فمهم غير هذه الكلمة .

هوغو : اني بحاجة الى النظام .

هودرر : لماذا ؟

هوغو : (بتعب وضجر) ان في رأسي لافكاراً كثيرة ، اكثر ممـا ينبغي . ويجب ان اطردها .

هودرر : اي لون من الافكار ؟

هوغو : « ماذا أفعل هنا ؟ هل انا على حق في ان اريد مـا اريد ؟ الست أمثّل ؟ » أشياء من هذا القبيل .

هودرر (على مهل) : نعم اشياء من هـذا القبيل . ان رأسك اذن ممتليء الآن بهـا ؟

هوغو : (منزعجا) لا ، لا ، ليس في هذه اللحظة . (منيهة) ولكنها قـد تعود . يجب ان ادافع عن نفسي ، ان أقيم في رأسي افكاراً اخرى . أوامر : « افعل هذا . سرْ . قف . قـلْ هذا . » اني بحاجة الى ان اطيع . اطيع ، وهذا كل شيء . آكل وانام واطيع .

هودرر : حسناً . ان اطعت ، فبوسعنا ان نتفاهم . (يضع يده على كتفه) اسمع . . (هوغو يتحلل ويقفز الى الخلف . ينظر اليه هودرر باهتمام متزايد يصبح صوته قاسياً

وحاسما) هكذا اذن ؟ (منيهة) ها ! ها !

هوغو : انني . . . انني لا احبّ ان يمسّني احد .

هودرر (بصوت قاس سريع) : حين فتشوا في هـذه الحقيبة ، بدا عليك الخوف ، فلماذا ؟

هوغو : لم أخفْ .

هودرر : بلى . خفت . ما الذي كانت تحتويه ؟

هوغو : لقد فتشوا ، ولم يكن فيها شيء .

هودرر : لا شيء ؟ هذا ما سنراه . (يتجه الى الحقيبة ويفتحها) كانوا يبحثون عن سلاح . قد يُخبّأ سلاحٌ في حقيبة ، ولكن قد تُخبّأ فيها ايضاً اوراق .

هوغو : او اشياء خاصّة جداً .

هودرر : ينبغي ان تدرك جيداً انه لم يبق لـك شيء ، منذ اللحظة التي وضعت فيها نفسك تحت اوامري (يفتش) قمصان وسراويل ، كلهـا جديدة . أتكون غنياً ؟

هوغو : زوجتي هي الغنية .

هودرر : ما هذه الصور ؟ (يتناولها وينظر اليها . صمت) هذه اذن ! (ينظر الى صورة) ثوب من مخمل . . . (ينظر الى صورة اخرى) ياقة بحرية كبيرة مـع طاقية . اي سيّد صغير !

هوغو : أعِدْ لي هذه الصور .

هودرر : سشت ! (يدفعه عنه) هذه هي اذن الاشياء الخاصة جداً. لقد كنت تخشى ان يجداها .

هوغو : لو وضعا عليها ايديهما الوسخة ، ولو ضحكا وهمـا ينظران اليها ، إذن . . .

هودرر : لقد انجلى السرّ اذن : هوذا مـا يعنيه ان يحمل المرء جريمته على وجهه : كدت أقسم ، اذ رأيتك في تلك الحالة ، انك تخفي على الاقـل قنبلة (ينظر الى الصور) لا اراك قـد تغيّرت . هاتان الساقان الصغيرتان الهزيلتان . . .

طبعاً لم تكن لك شهوة الى الطعام ، وكنت قصيراً جداً حتى انهم اوقفوك على كرسي ، فشبكت ذراعيك وجعلت تقيس عالمك بنظرك ، كنابليون . ولم تكن على مظهر مرح . كلا ... لا بدّ انه ليس يسيراً على انسان ان يكون كل يوم ابناً لاغنياء . انها بداءة سيئة في الحياة . لماذا تراك تجرجر ماضيك في هذه الحقيبة ما دمت تريد ان تدفنه ؟ (حركة مبهمة من هوغو) مهما يكن من امر ، فانك شديد الانشغال بنفسك .

هوغو : انما انضممت الى الحزب لأنسى نفسي .

هودرر : وتذكر كل دقيقة ان عليك ان تنسى نفسك . على اي حال ! ان كل انسان يتدبّر أمره كما يستطيع . (يرد له الصور) خبّئها جيداً . (يأخذها هوغو ويضعها في الجيب الداخلي من سترته) الى الغد ، يا هوغو .

هوغو : الى الغد .

هودرر : مساء الخير يا جسيكا .

جسيكا : مساء الخير .

(حين يبلغ هودرر عتبة الباب ينفتل)

هودرر : اغلقا المصاريع وأحكما الاقفال . فلا احد يدري ان كان هناك من يجوس في الحديقة . ان هذا امر (يخرج) .

المشهد الخامس

هوغو ، جسيكا

(هوغو يتجه الى الباب ويفتل المفتاح مرتين)

جسيكا : صحيح انه مبتذل ، ولكنه لا يضع ربطة منقّطة .

هوغو : اين المسدس ؟

جسيكا : ما اشدّ ما تسلّيت ، يا نحلتي الصغيرة ! انها المرة الاولى التي اراك فيها تتنازع مع رجال حقيقيين .

هوغو : اين هذا المسدس يا جسيكا ؟

جسيكا : انك لا تعرف يا هوغو اصول هذه اللعبة : والنافذة ؟ قد يرانا احد من الخارج .

(يتجه هوغو فيغلق النافذة ويعود اليها)

هوغو : اذن ؟

جسيكا (تسحب المسدس من صدرها) فيما يتعلق بالتفتيش ، يُحسن هودرر صنعاً في ان يوظّف ايضاً امرأة . وسأعرض نفسي لهذه المهمة .

هوغو : متى اخذته ؟

جسيكا : حين ذهبت تفتح للكلبين الحارسين .

هوغو : لقد سخرتِ بنا جيداً . لقد حسبتُ انه أوقعك في شَرَكه .

جسيكا : انا لم يبق لي الا ان اضحك عليه « انني اثق بك . انني اثق بالناس جميعاً .. ليكن لكم في ذلك درسٌ بان تثقوا ... » من عساه يظن نفسه ؟ ان الثقة لعبة ينخدع بها الرجال !

هوغو : ليت هذا فحسب !

جسيكا : هل لك ان تسكت يا نحلتي الصغيرة ؟ لقد كنت انت منفعلا .

هوغو : انا ؟ متى ؟

جسيكا : حين قال لك انه يثق بك .

هوغو : لا ، لم اكن منفعلا .

جسيكا : بلى .

هوغو : كلا .

جسيكا : مهما يكن من أمر : اذا تركتني يوماً مع فتى جميل ، لا تقل لي انك تثق بي ، لاني أخطرك : ليس هذا هو الذي يمنعني من ان اخدعك ، اذا كنت راغبة في خداعك ، بل بالعكس .

هوغو : انني شديد الاطمئنان . انني امضي مُغلق العينين .
جسيكا : اتظنّ اني أؤخذ بالعواطف ؟
هوغو : لا ، يا تمثالي الثلجي الصغير ، انني أؤمن ببرودة الثلج . وان اشدّ المُغْوين التهاباً تتجمّد فيه اصابعه ، إنه يُلامسك ليدفئك قليلاً ، وسرعان ما تذوبين بين ذراعيه .
جسيكا : ايّ أبله انت ! انني لا أمزح بعد (صمت قصير جداً) هل خفت كثيراً ؟
هوغو : منذ لحظة ؟ كلا . لم اكن أصدّقهم . كنت انظر اليهم يفتشون فأقول : « اننا نمثّل » ، ولا شيء يبدو لي ابداً حقيقياً برمّته !
جسيكا : حتى ولا انا ؟
هوغو : انت (ينظر اليها لحظة ثم يصرف رأسه) قولي ، لقد خفتِ انت ايضاً ؟
جسيكا : حين فهمت انهم سيفتشونني، ادركت ان القضية اصبحت تتأرجح بيد القدر . وكنت على يقين من ان جورج سيمسّني او يكاد ، أما سليك فقد كان خليقاً به ان يشدّني اليه . وما كنت اخشى ان يعثر على المسدس ، ولكني كنت اخشى يديه .
هوغو : ما كان ينبغي لي ان ادخلك في هذه القضية .
جسيكا : بالعكس ، لقد كنت احلم دائماً بان اكون مغامرة .
هوغو : ليست هذه لعبة يا جسيكا . ان هذا الشخص خطر .
جسيكا : خطر ؟ على مَنْ ؟
هوغو : على الحزب .
جسيكا : على الحزب ؟ كنت احسب انه رئيسه .
هوغو : انه « احد » رؤسائه . ولكن من اجل هذا بالذات ، هو ...
جسيكا : لا تشرح لي شيئاً . انني اصدّق ما تقوله .
هوغو : ماذا تصدّقين ؟

جسيكا (متمهلة كأنها تقرأ) : اصدّق ان هذا الرجل خطر ، وانه يجب ان يزول ، وانك قد اتيت لتقتله ...
هوغو : شت (منبهة) انظري إليّ . انني احدث نفسي بانك تمثلين تصديقي وانك لا تصدقينني حقاً ، واحياناً اخرى بانك تصدقينني في الحق ولكنك تصطنعين انك لا تصدقينني . فأيها الصحيح ؟
جسيكا (ضاحكة) : ليس من شيء صحيح .
هوغو : ما عساك تفعلين ان كنت بحاجة الى معونتك ؟
جسيكا : ألم أعِنْكَ الساعة ؟
هوغو : بلى يا روحي ، ولكن ليست هذه هي المعونة التي اريدها .
جسيكا : يا لك من ناكر للجميل !
هوغو (ناظراً اليها) : ليتني استطيع ان اقرأ افكارك ...
جسيكا : سلني .
هوغو (هازاً كتفيه) : اياً ما كان ! (منبهة) إن من يسعى الى قتل رجل يشعر بانه ثقيل كحجر . لا بدّ انّ في رأسي صمتاً (صائحاً) صمت ! (منبهة) هل رأيت كم هو كثيف ؟ كم هو حيّ ؟ (منبهة) صحيح ! صحيح ! صحيحٌ اني سأقتله : سيكون بعد اسبوع ملقىً على الارض ميتاً وفي جسمه خمسة ثقوب . (منبهة) أية مهزلة !
جسيكا (تأخذ في الضحك) : يا نحلتي الصغيرة المسكينة . اذا كنت تريد ان تقنعني بانك ستصبح قاتلاً ، فينبغي ان تبدأ باقناع نفسك اولاً .
هوغو : الا يبدو عليّ اني مقتنع ؟
جسيكا : على الاطلاق . انك تسيء تمثيل دورك .
هوغو : ولكني لا امثل يا جسيكا .
جسيكا : بلى ، انت تمثل .
هوغو : كلا ، بل انت ، دائماً انت .
جسيكا : كلا ، بل انت . ولكن مع ذلك كيف تستطيع ان تقتله ؟ فان

المسدس معي انا .

هوغو : رُدّي لي هذا المسدس .

جسيكا : ابداً ! لقد ربحته . ولولاي ، لـكانوا أخذوه منك .

هوغو : أعيدي لي هذا المسدس .

جسيكا : لا ، لن اعيده لك ، بل سأمضي الى لقـاء هودرر ، وسأقول له « اني قادمة لاسعادك » وبينا هو يقبّلني .

(يبدو على هوغو انـه مستسلم ، ولكنه سرعان ما يرتمي عليها . الدور نفسه الذي كان في المشهد الاول ؛ يسقطان على السرير فيصطرعان ويصرخان ويضحكان وينتهي الامر بهوغو الى ان ينتزع منها المسدس بينا يسدل الستار وهي تصيح) :

حذار ! حذار ! ان المسدس يوشك ان ينطلق !

الفصل الرابع

مكتب هودرر

(حجرة صارمة ولكنها مريحة . الى اليمين ، مكتب ؛ في الوسط ، طاولة محملة بكتب واوراق ، وعليها سجادة تتدلى حتى الارض . الى اليسار نافذة ترى عبرها اشجار الحديقة . في الداخل ، يميناً ، يقوم باب على يساره طاولة مطبخ تحمل موقداً يشتعل على الغاز . على الموقد ابريق للقهوة . كراسي متناثرة . الوقت بعد الظهر .

هوغو وحده . يقترب من المكتب ويمد يده الى ريشة هودرر فيمسها . ثم يتجه الى الموقد ، فيأخذ ابريق القهوة وينظر اليه وهو يصفر . تدخل جسيكا على مهل) .

المشهد الاول

جسيكا وهوغو

جسيكا : ماذا تصنع بابريق القهوة هذا ؟ (يضع هوغو ابريق القهوة بسرعة)

هوغو : لقد منعوك يا جسيكا ان تدخلي هذا المكتب .

جسيكا : ما كنت تصنع بابريق القهوة ؟

هوغو : وانت ماذا أتيت تعملين هنا ؟

جسيكا : جئت أراك يا روحي .

هوغو : حسناً ، وها انت قد رأيتني . اذهبي سريعاً ، إن هودرر أوشك ان ينزل .

جسيكا : كم أستشعر الضيق من غيابك يا مخلوق !

هوغو : لا وقت عندي للعب يا جسيكا .

جسيكا : (ناظرة حولها) لا شك انك لم تحسن وصف شيء لي ابداً إن في القاعة رائحة تبغ بارد ، كما كان الشأن في مكتب أبي اذ كنت صغيرة . ومع ذلك ، فان من اليسير التحدث عن رائحة .

هوغو : استمعي لي جيداً ...

جسيكا : انتظر (تبحث في جيب ثوبها) لقد اتيت احمل لك هذا .

هوغو : ما هذا ؟

جسيكا : (مخرجة المسدس من جيبها ومقدمة اياه هوغو على راحة يدها) هـذا ! لقد نسيته .

هوغو : لم أنسه . فأنا لا احمله ابداً .

جسيكا : من أجل هـذا بالذات أتيت به اليك : فينبغي الا يفـارقك مسدسك ابداً .

هوغو : يبدو يا جسيكا انك لا تفهمين ؛ لذلك أقول لك بكل بصراحة اني امنعك من ان تضعي قدميك هنا مرة ثانية . اذا كنت تريدين اللعب ، فان امامك الحديقة والمنزل .

جسيكا : انك تكلمني يا هوغو كما لو اني في السادسة من عمري .

هوغو : ومن هو المخطىء في ذلك ؟ لقد غـدا الامر غير محتمل ، وانت لا تستطيعين ان تنظري اليّ بعدُ من غير ان تضحكي . ولا بد ان يكون هذا جميلاً يوم نبلغ الخمسين . ينبغي ان ننتهي من ذلك ؛ انها ليست الا عادة ، عادة سخيفة تعوّدناها معاً . هل تراك تفهمينني ؟

جسيكا : اني افهمك جيداً .

هوغو : وتريدين ان تبذلي جهداً من اجل ذلك ؟

جسيكا : نعم .

هوغو : حسناً . ابدئي اذن باعادة هذا المسدس الى المنزل .

جسيكا : لا استطيع .

هوغو : جسيكا .

جسيكا : انه لك ، وعليك انت ان تأخذه .

هوغو : ولكن ما دمت اقول لك انني لا حاجة لي به ..

جسيكا : وانا ، ماذا تريد ان اصنع به ؟

هوغو : ما تشائين . إن هذا ليس من شأني .

جسيكا : احسبك لا تريد من امرأتك ان تحمـل طوال النهار في جيبها سلاحاً نارياً ؟

هوغو : عودي الى المنزل وضَعيه في حقيبتي .

جسيكا : ولكن ليست لي رغبة في العودة للمنزل ؛ انك حقاً لمزعج !

هوغو : كان عليك ان لا تأتي به .

جسيكا : وانت كان عليك ان لا تنساه .

هوغو : قلت لك اني لم أنسه .

جسيكا : لم تنسه ؟ ان ذلك يعني يا هوغو انك غيرت مشاريعك .

هوغو : صه !

جسيكا : هوغو ، انظر في عيني . هل غيّرت مشاريعك ، نعم ام لا ؟

هوغو : لا ، لم اغيّرها .

جسيكا : قلْ نعم ام لا : هل تنوي ...

هوغو : نعم ! نعم ! نعم ! ولكن ليس اليوم .

جسيكا : اوه ، هوغو، يا عزيزي الصغير ، لِمَ لا يكون اليوم ؟ انني شديدة الضجر . لقد فرغت من قراءة جميع الروايات التي اعطيتني اياها ، وليس عندي ميلٌ لان ابقى طوال النهار على سريري كالوصيفة، ان هذا يسمّنني. فماذا تنتظر ؟

هوغو : انك لا تزالين تمثلين يا جسيكا .

جسيكا : بل انت الذي تمثل . منـــذ عشرة ايام وانت تبدو بمظهر الرصانة لتؤثر عليّ ، والنتيجة ان الآخر ما زال حياً . فان كان هذا تمثيـلاً ، فقد طال اكثر مما ينبغي : لقد بتنا لا نتكلم الا بصوت منخفض ، خشية ان نُسمـــع ؛ ويجب ان اتحمّل جميع تقلّبات مزاجك كما لو انك كنت امرأة حبلى .

هوغو : انت تعلمين جيدا ان هذا ليس من التمثيل في شيء .

جسيكا (بجفاء) إنه إذن شرّ من التمثيل : إني اكره اشد الكره الا يفعل الناس ما عزموا على فعله · اذا شئت ان اصدقك ، فيجب ان تنفض يـدك منه اليوم بالذات .

هوغو : هذا اليوم هو غير مناسب .

جسيكا : (مستعيدة لهجتها العادية) أترى ؟

هوغو : آه ! إنك لتفرطين في ازعاجي . إنه ينتظر زيارات !

جسيكا : كم شخصاً ؟

هوغو : اثنان .

جسيكا : اقتلهما ايضاً !

هوغو : ليس هناك مـــا هو ازعج من ان يصرّ انسانٌ على المزاح ، بينما لا يرغب الآخرون في ذلك . إنني لا اسألك ان تساعديني ، كلا .. ان قصارى ما اريده الا تزعجيني !

جسيكا : حسناً ! حسناً ! افعل ما تشاء ، مـــا دمت تحرص على ان اظلّ خارج حياتك . ولكن خذ هـــذا المسدس ، لأني اذا احتفظت به ، فانه سيشوّه جيوبي .

هوغو : اذا أخذته ، فهل تذهبين ؟

جسيكا : خذه اولاً .

(يأخذ هوغو المسدس ويضعه في جيبه)

هوغو : والآن ، اذهبي بسرعة .

جسيكا : دقيقة ! ان لي الحق مـــع ذلك ان القي نظرة على المكتب الذي

يشتغل فيه زوجي . (تمر من خلف مكتب هودرر . مشيرة اليه) : مَنْ يجلس هنا ؟ هو ام انت ؟

هوغو (على مضض) هو . اما انا ، فأعمل على هذه الطاولة . (مشيراً الى الطاولة)

جسيكا (من غير ان تستمع اليه) : أهذا خطّه ؟ (تتناول ورقة من على المكتب)

هوغو : نعم .

جسيكا : (باهتمام ظاهر) : ها ! ها ! ها ! ها !

هوغو : دعي هذا في مكانه .

جسيكا : هـــل رأيت خطّه كيف يُصعّد ؟ وكيـــف يخطّ الاحرف من غير ان يَصِلَها ؟

هوغو : وبعد ذلك ؟

جسيكا : كيف بعد ذلك ؟ ان هذا هامٌ جداً .

هوغو : لمن ؟

جسيكا : عجباً ! لمعرفة طبعه ! فلا أقلّ من ان يعرف الانسان مَنْ يقتل . وهذا الفراغ الذي يتركه بين الكلمات ؟ لكأنّ كل حرف جزيرة صغيرة ؛ اما الكمات فكلٌ منها أرخبيل . ولا شك في ان ذلك يعني شيئاً ما .

هوغو : ماذا يعني ؟

جسيكا : لا ادري . كم ان هـــذا مزعج : ذكريات طفولته ، النساء اللواتي امتلكهن ، طريقته في الحب ، كلّ هذا موجود هنـــا ، ولا اعرف ان أقرأه .. ينبغي لك يا هوغو ان تشتري لي كتاباً من كتب معرفة الطباع من الخـــطّ ، فانا احسّ اني موهوبة في ذلك .

هوغو : سأشتري لك كتاباً اذا ذهبت الآن على الفور .

جسيكا : كأنّ هذا كرسي بيانو .

هوغو : هو كذلك .

جسيكا (تجلس على الكرسي وتستدير به) ما ألذّ هذا ! انه اذن يجلس ، ويدخن ويتكلم ، ويستدير على كرسيه .

هوغو : هو ذلك .

(جسيكا تفتح قنينة صغيرة موضوعة على المكتب وتشمها)

جسيكا : هل هو يشرب ؟

هوغو : كأنه ثقب .

جسيكا : بينما هو يعمل ؟

هوغو : نعم .

جسيكا : وهو لا يثمل ابداً ؟

هوغو : ابداً .

جسيكا : آمل انك لا تشرب الكحول ، حتى ولو دعاك الى الشرب : انك لا تتحملها .

هوغو : لا تمثّلي دور الاخت الكبرى ؛ فانا اعلم جيداً اني لا اتحمل الكحول ولا التبغ ولا الحرارة ولا البرودة ولا الرطوبة ولا رائحة التبن ولا شيئاً على الاطلاق .

جسيكا (بهدوء) انه هنا ، يتكلم ،ويدخن ،ويشرب ،ويستدير على كرسيه ..

هوغو : نعم وانا ..

جسيكا (وقد رأت الموقد) : ما هذا ؟ هل يطهو طعامه هو بنفسه ؟

هوغو : اجل .

جسيكا (منفجرة بالضحك) : ولكن لماذا ؟ ان بوسعي ان اطبخ له انا ، ما دمت اطبخ لك ؛ ان بوسعه ان يأتي فيأكل معنا .

هوغو : انت لا تحسنين الطبخ مثلما يُحسنه ؛ واظنّ بعدُ ان ذلك يسلّيه . وهو في الصباح يُعدُّ لنا القهوة ، قهوة ممتازة من السوق السوداء .

جسيكا (مشيرة الى ابريق القهوة) : في هذا ؟

هوغو : نعم .

جسيكا : إنه ابريق القهوة الذي كان بين يديك حين دخلت ؟

هوغو : نعم .

جسيكا : لماذا اخذته ؟ عمّ كنت تبحث فيه ؟

هوغو : لا ادري (هنيهة) انه يبدو حقيقياً حين يمسّه (يأخذه) كلُّ ما يمسُّه يبدو حقيقياً . انه يصب القهوة في الفناجين ، فأحتسي ، وانظر اليه يحتسي ، فأشعر بان مذاق القهوة الحقيقي إنما هو في فمه هو (هنيهة) ان المذاق الحقيقي للقهوة هو الذي سيزول ، الحرارة الحقيقية ، النور الحقيقي . ولن يبقى غير هذا (يشير الى ابريق القهوة)

جسيكا : اي شيء ، هذا ؟

هوغو : (مشيراً الى الغرفة كلها بحركة عريضة) هذا : اوهام . (يضع ابريق القهوة) انني اعيش في ديكور . (يستغرق في افكاره)

جسيكا : هوغو !

هوغو : (منتفضاً) ماذا !

جسيكا : ان رائحة التبغ تمحّي حين يصبح ميتاً (فجأة) لا تقتله !

هوغو : اتؤمنين بأني سأقتله ؟ أجيبي ؟ أتؤمنين بذلك ؟

جسيكا : لا ادري. إن كل شيء يبدو هادئاً جداً ثم إنّ فيه ريح طفولتي. لن يحدث شيء ولا يمكن ان يحدث شيء . انما انت تهزأ مني .

هوغو : هوذا . فرّي من النافذة . (يحاول ان يجرها)

جسيكا : (مقاومة إياه) اودّ ان ارى كيف تكونان حين تكونان وحدكما.

هوغو (جاراً اياها) : تعالي بسرعة .

جسيكا : (بسرعة) في منزل ابي ، كنت اختبيء تحت الطاولة ، فأنظر اليه وهو يعمل لساعات طويلة .

(يفتح هوغو النافذة بيده اليسرى . فتفلت منه جسيكا وتختفي تحت الطاولة .يدخل هودرر)

المشهد الثاني

الشخصان نفسهما وهودرر

هودرر : ماذا تفعلين تحت الطاولة ؟

جسيكا : أختبىء .

هودرر : لماذا ؟

جسيكا : لأرى كيف تكونان حين لا أكون هنا .

هودرر : لقد فاتك ذلك . (لهوغو) من الذي تركها تدخل ؟

هوغو : لا ادري .

هودرر : انها زوجتك : فأمسكها خيراً من ذلك .

جسيكا : يا نحلتي الصغيرة ، انه يعتبرك زوجي .

هودرر : اليس هو زوجك ؟

جسيكا : انه أخي الصغير .

هودرر (لهوغو) : انها لا تحترمك .

هوغو : لا .

هودرر : لماذا تزوجتها ؟

هوغو : لانها لم تكن تحترمني . إن من يدخل الحزب ، يتزوج من الحزب .

جسيكا : لماذا ؟

هودرر : هذا اسهل .

جسيكا : ما يدريك اني لست من الحزب ؟

هودرر : هذا ظاهر (ينظر اليها) انك لا تحسنين عمل شيء ، الا الحب ..

جسيكا : حتى ولا الحب . (هنيهة) هل تظنّ ان عليّ ان اسجـــل اسمي في الحزب ؟

هودرر : بوسعك ان تعملي ما تشائين فانت ميئوس منك .

جسيكا : أهي غلطتي ؟

هودرر : ما يدريني ؟ افترض أنك نصف ضحية ونصف شريكة في الجريمة كجميـع الناس .

جسيكا (بعنف مفاجيء) : انني لم اشارك احـــداً في الجريمة . لقد قرروا مصيري من غير ان يسألوني رأيي .

هودرر : هذا ممكن جداً . ومهما يكن، فان قضية تحرير المرأة لا تستهويني .

جسيكا (مشيرة الى هوغو) : هل تظنّ اني اسيء اليه ؟

هودرر : اتراك اتيت الى هنا لتسأليني هذا السؤال ؟

حسيكا : ولِمَ لا ؟

هودرر : اظنُّ انكِ تَرَفُه . ان ابناء البورجوازيين الذين ينضمون الينـا مصابون جميعاً بان يجلبوا معهم قليلاً من ترفهم الماضي ، على سبيـــل الذكرى . بعضهم يجلب حرية التفكير وبعضهم دبوس ربطة العنق . اما هو ، فقـد جلب معه زوجته .

جسيكا : نعم وانت لا حاجة بك طبعاً الى الترف .

هودرر : بالطبـع لا . (يتبادلان النظر) هيّـــا ، اغربي ، ولا تضعي قدميك بعدُ هنا .

جسيكا : حسناً . انني ادعكما لصداقتكما كرجلين (تخرج بوقار)

المشهد الثالث

هوغو ، هودرر

هودرر : هل انت تحرص عليها ؟

هوغو : طبعاً .

هودرر : امنعها اذن من ان تضع قدميها هنا مرة اخرى . حين أخيّر بين صديق وامرأة مغرية ، فانما أختار الصديق ، ولكن ينبغي مع ذلك الا يجعلوا المهمة شاقة عليّ اكثر مما ينبغي .

هوغو : ومن الذي يسألك ان تختار ؟

هودرر : لا اهمية لذلك على الاطلاق : انما اخترتك انت على اي حال .

هوغو (ضاحكا) انك لا تعرف جسيكا .

هودرر : ربما كان هذا صحيحاً . وهذا لا شك افضل . (هنيهة) قل لها مع ذلك الا تعود . (فجأة) ما الساعة الآن ؟

هوغو : الرابعة وعشر دقائق .

هودرر : لقد تأخرا (يتجه الى النافذة فيلقى نظرة الى خارج ثم يعود)

هوغو : أليس عندك ما تمليه عليّ ؟

هودرر : ليس اليوم (بعد حركة من هوغو) لا ، إبق . تقول انها الرابعة وعشر ؟

هوغو : نعم .

هودرر : اذا لم يأتيا ، فسيندمان .

هوغو : من الذي سيأتي ؟

هودرر : سترى . شخصان يمتّان الى عالمك . (يخطو بعض خطى) انني لا احب الانتظار . (عائداً الى هوغو) واذا أتيا ، فان القضية في الجيب ؛ ولكن اذا انتابها الخوف في اللحظة الأخيرة ، فينبغي ان نعيد كل شيء منذ البدء . واعتقد اني لن املك الوقت لذلك . ما هو عمرك ؟

هوغو : واحد وعشرون عاماً .

هودرر : انك تملك الوقت ، انت .

هوغو : وانت ايضاً ، لست شيخاً الى هذا الحد .

هودرر : لست شيخاً ولكني مستهدف . (يريه الحديقة) ان خلف هذه الجدران أشخاصاً يفكرون بقتلي ليل نهار . ولما كنت انا لا افكر طوال الوقت بحراسة نفسي ، فلا شك ان الامر سينتهي بهم الى الانتصار عليّ .

هوغو : ما ادراك انهم يفكرون بذلك ليل نهار ؟

هودرر : ذلك اني اعرفهم . وهم مصرّون على افكارهم .

هوغو : هل تعرفهم ؟

هودرر : نعم . هل سمعت صوت محرّك ؟

هوغو : لا (يصغيان) كلا .

هودرر : بذلك يتاح لأحد هؤلاء الاشخاص ان يقفز من فوق الجدار فتتيح له الفرصة ان يؤدي عملاً جميلاً .

هوغو : بذلك يتاح لأحد هؤلاء ...

هودرر (ناظراً اليه) أتفهم ؟ سيكون خيراً لهم الا استطيع استقبال هؤلاء الزائرين (يتجه الى المكتب ويصب لنفسه قدحاً) أتريد قدحاً ؟

هوغو : لا (هنيهة) هل انت خائف ؟

هودرر : مِمّ ؟

هوغو : من الموت .

هودرر : كلا . ولكني مستعجل . انني مستعجل ابداً . في الماضي ، كان لديّ سواء ان انتظر . اما الآن فاني لا اطيق .

هوغو : لا بدّ ان كرهك لهم شديد .

هودرر : لماذا ؟ ليس لي اعتراضٌ مبدئي على الاغتيال السياسي . ان هذا يحدث في جميع الاحزاب .

هوغو : اعطني قدحاً .

هودرر : (دهشاً) عجباً ! (يتناول القنينة ويصب له . يشرب هوغو وهو لايني ينظر اليه) ماذا ؟ ألم ترني أبداً ؟

هوغو : كلا ، لم أرك أبداً .

هودرر : لست في نظرك الا مرحلة ، اليس كذلك ؟ ان هذا طبيعي . انك تنظر اليّ من اعلى مستقبلك . انك تقول لنفسك : « سأمضي عامين أو ثلاثة عند صاحبنا هذا ، حتى اذا قضى ذهبت الى مكان آخر ، وقمت بعمل آخر ...)

هودرر : بعد عشرين عاماً ستقول لرفاقك : « كان ذلك حين كنت سكرتيراً لدى هودرر . » بعد عشرين عاماً . ان هذا لمضحك !

هوغو : بعد عشرين عاماً ...

هودرر : ماذا ؟

هوغو : انه زمن بعيد . أعطني قدحاً آخر (يصب له هودرر) انا لم اشعر يوماً بأني سأعمّر . انني انا ايضاً مستعجل .

هودرر : ليس الامر سواء .

هوغو : لا (منهية) انني احياناً مستعد لبسط يدي للقطع حتى اصبح رجلاً على الفور ، ويخيّل اليّ احياناً اخرى اني لا اود ان اتجاوز شبابي .

هودرر : لا اعرف ما عساه يكون هذا .

هوغو : وماذا تعني ؟

هودرر : الشباب ، لا اعرف ما عساه ان يكون : لقد انتقلت مباشرة من الطفولة الى عمر الرجال .

هوغو : اجل . ان الشباب مرض بورجوازي (يضحك) وان كثيرين ليقضون به .

هودرر : أتريد ان اساعدك ؟

هوغو : ماذا ؟

هودرر : يبدو لي انك بدأت بداءة سيئة . فهل تريد ان اساعدك ؟

هوغو (منتفضاً) : ليس انت ! (يتدارك نفسه بسرعة) ليس بوسع احد ان يساعدني .

هودرر (متجهاً اليه) : اسمع يا صغيري (يتوقف ويصغي) ها هما قد أتيا . (يتجه الى النافذة . فيتبعه هوغو) . اما الطويل فهو كارسكي ، سكرتير البالتاغون . واما السمين ، فهو الامير بول .

هوغو : ابن الوصي ؟

هودرر : نعم (لقد تغيرت سحنته فبدت عليه اللامبالاة والقسوة والثقة بالنفس) حسبك شرباً . اعطني قدحك (يفرغه في الحديقة) اذهب فاجلس . اسمع كل ما يقال لك حتى اذا اومأت لك ، سجّل ما تسمع . (يغلق النافذة فيذهب ويجلس الى مكتبه)

المشهد الرابع

الشخصان نفسهما ، كارسكي ، الامير بول ، سليك ، جورج

(يدخل الزائران وخلفهما سليك وجورج مصوبين بندقيتيهما الى ظهرهما)

كارسكي : انا كارسكي .

هودرر (من غير ان ينهض) : لقد عرفتك .

كارسكي : اتعلم مَنْ يصحبني ؟

هودرر : نعم .

كارسكي : اذن ، اصرف حارسيْك .

هودرر : يكفي ايها الرفيقان . انسحبا . (ينسحب سليك وجورج)

كارسكي (يهزئ) : انك محروس حراسة جيدة .

هودرر : لو لم اتخذ بعض الاحتياطات في هذه الفترة الاخيرة لما كان لي ان اسعد باستقبالكما .

كارسكي (ملتفتاً الى هوغو) : وهذا ؟

هودرر : انه سكرتيري . وهو باقٍ معنا .

كارسكي (مقترباً) : أأنت هوغو بارين ؟ (هوغو لا يجيب) انك تسير مع هؤلاء الاشخاص ؟

هوغو : نعم .

كارسكي : التقيت بأبيك في الاسبوع الماضي . فهل يهمّك بعدُ ان تعلم بعض انبائه ؟

هوغو : لا .

كارسكي : من المرجح جداً ان تقع عليك تبعة موته .

هوغو : يكاد يكون غير مشكوك فيه انه قد تحمل تبعة حياتي : اننا إذن متصافيان .

كارسكي (من غير ان يرفع صوته) : انك لشقي صغير .

هوغو : ماذا تقول ؟

هودرر : اسكت انت (لكارسكي) انتما لم تأتيا الى هنا لتهينا سكرتيري ، أليس كذلك ؟ اجلسا ، ارجوكما (يجلسان) كونياك ؟

كارسكي : شكراً .

الامير : لا بأس ابداً . (يصب له هودرر كأساً)

كارسكي : هوذا اذن هودرر الشهير (ينظر اليه) امس الاول عاد رجالكم

فأطلقوا النار على رجالنا .

هودرر : لماذا ؟

كارسكي : كان لنا مستودع اسلحة في مخزن ، فأراد رجالكم ان يستولوا عليه : هذا كل ما في الامر .

هودرر : وهل استولوا على الأسلحة ؟

كارسكي : أجل .

هودرر : مرحى !

كارسكي : لا مجال للاعتزاز والفخر : فقد كانوا عشرة مقابل واحد .

هودرر : خيرٌ لمن يرغبون في ربح المعركة ان يكونوا عشرة مقابل واحد. فهذا أضمن .

كارسكي : لا نتمّ هذه المناقشة ، فأنا أحسب اننا لن نتفق ابداً ، فلسنا من عرق واحد .

هودرر : اننا من عرق واحد ، ولكننا لسنا من طبقة واحدة .

الامير : حبذا يا سادة لو نعود الى امورنا .

هودرر : انني موافق . وكلي آذان .

كارسكي : بل كلنا نحن آذان .

هودرر : لا ريب في ان هناك سوء تفاهم .

كارسكي : على الأرجح . ولو لم اعتقد ان عندك اقتراحاً واضحاً تعرضه علينا ، لما انزعجت من أجل ان أراك .

هودرر : ليس عندي ما اعرضه .

كارسكي : حسناً (ينهض)

الامير : ارجوكما يا سيديّ . عُدْ الى الجلوس يا كارسكي . إن هذه لبداءة سيئة . أليس بوسعنا ان نضع بعض اليسر في هذا الاجتماع ؟

كارسكي (للامير) : بعض اليُسر ؟ هل رأيت عينيه حين كان كلباه الحارسان ذانك يدفعاننا امامهما ببندقيتيهما ؟ ان هؤلاء الناس يحتقروننا ، وانما

وافقت على هذا اللقاء نزولاً على إلحاحك ، ولكني على يقين من اننـــا لن نخرج منه بخير .

الامير : لقد دبرّتَ يا كارسكي في العام الماضي محاولتين لاغتيال ابي ، ومع ذلك فقد قبلت ان ألتقي بك . قـــد لا تكون هناك اسباب كثيرة تحملنا على تبادل الحب ، ولكن عواطفنا ينبغي الا يُحسب لها حساب حين تكون القضية قضية المصلحة القومية (هنيهة) . صحيح انه قد حدث اننا لم نكن نفهم دائماً هذه المصلحة على وجه واحد . فانت يا هودرر ، جعلت من نفسك المعبّر عـن المطالب المشروعة للطبقة العاملة ، وقد تكون بالغت في تبنيّك لها وحدك ، اما ابي وانا ، فقد كنّا دائماً بجانب هذه المطالب ، ولكننا اضطررنا امـــام موقف المانيا المقلق ، ان نزيحها الى الصعيد الثاني ، لأننا ادركنا ان واجبنا الاول هـو ان نحافظ على استقلال اراضينا، حتى ولو كان ثمن ذلك اتخاذ تدابير غير شعبية .

هودرر : تقصد اعلان الحرب على الاتحاد السوفياتي ...

الامير (متمماً كلامه) : اما كارسكي واصدقاؤه الذين لم يكونوا يقرّون وجهة نظرنا في السياسة الخارجية ، فلعلهم استهانوا بضرورة ظهـــور إليريا موحّدة قوية امام اعين الاجانب ، كشعب واحد وراء قائد واحـد . فاذا هم يشكلون حزباً سرياً للمقاومة . هكذا يحدث لرجال هم جميعاً شرفاء ومخلصون لوطنهـم ان يجدوا انفسهم مفترقين موقتاً بالطرق المختلفة التي يفهمون بهـــا واجبهم (هودرر يضحك بخشونة) ماذا هناك ؟

هودرر : لا شيء . استمر .

الامير : اما اليوم ، فان الاوضاع لحسن الحظّ قد تقاربت ، ويبدو ان كلاً منا يفهم فهماً ارحب وجهة نظر الآخرين . ان ابي غير راغب في متابعة هـذه الحرب التي لا طائل تحتها والتي تكلفنا كثيراً . وطبيعي اننا لسنا على استعداد لعقد صلح منفصل ، ولكـــن بوسعي ان اضمن لـــكم ان العمليات العسكرية ستُساق من غـــير افراط في الحماسة . ويرى كارسكي من جانبه ان الانشقاقات الداخلية لا يمكن الا ان تسيء الى قضية بلادنا ، ونحن ننشد جميعـــاً ان نهيء

سلام الغد بتحقيق الوحدة القومية اليوم . ومفهوم ان هذه الوحدة لا يمكن ان تتحقق علناً من غير ان تُثير شكوك المانيا ؛ ولكنها ستجد مجالها في المنظمات السرية القائمة من قبل .

هودرر : وإذن ؟

الامير : هذا كل شيء . لقد اراد كارسكي واردت ان نبلغـــك النبأ السارّ باتفاقنا المبدئي .

هودرر : وما يعنيني من ذلك ؟

كارسكي : حسبنا : اننا نضيـع وقتنا .

الامير (مستمراً) : لا حاجة الى القول ان هذه الوحدة ينبغي ان تكون على اوسع نطاق ممكن . فاذا عبّر الحزب العمالي عن رغبته في الانضمام الينا . .

هودرر : فماذا تعرضون ؟

كارسكي : صوتان لحزبكم في اللجنة الوطنية السرية التي سنشكلها .

هودرر : وما هو عدد الاصوات ؟

كارسكي : اثنا عشر .

هودرر (مصطنعاً دهشة متأدبة) : صوتان على اثني عشر ؟

كارسكي : سينتدب الوصي اربعة من مستشاريه ، أمـــا الستة الاصوات الاخرى فهي للبانتاغون . وسيُنتخب الرئيس انتخاباً .

هودرر (مقهقهاً) صوتان على اثني عشر !

كارسكي : إن البانتاغون يضمّ معظم طبقة الفلاحين ، اي سبعـة وخمسين بالمئة من مجموع الشعب ، بالاضافة الى الطبقة البورجوازية كلها تقريباً ، أما طبقة العمال فلا تكاد تتمثل بعشرين بالمئة من سكان البلاد ، وليست هي كلها وراءكم .

هودرر : حسناً وبعدُ ؟

كارسكي : سنقوم بتعديل ودمج جذري لمنظمتينا السريتين وسيدخـــل رجالـكم في جهازنا البانتاغوني .

هودرر : تريد ان تقول ان فرقنا سيبتلعها البانتا غون .

كارسكي : هذه خير طريقة للتوفيق ؟

هودرر : هـذا حق . التوفيق بازالة احد الخصوم . وبعـد ذلك ، من المنطقي جداً الا نعطى الا صوتين في اللجنة المركزية ، بل ان هذا اكثر ممـا ينبغي . فان هذين الصوتين لا يمثلان بعدُ شيئاً .

كارسكي : لستم ملزمين بالقبول .

الامير (بسرعة) ولكن اذا قبلتم فان الحكومة ستكون بالطبع على استعداد لالغاء قوانين عام ٣٩ عن الصحافة والوحدة النقابية وبطاقة العامل .

هودرر : ياله من اغراء (يضرب الطاولة بيده) حسناً، لقد تعارفنا، والآن لنبدأ العمل . هذه هي شروطي : لجنة رئيسية تقتصر على ستة اعضاء يتمتع حزب العمال بثلاثة منها ، وتتوزعون الاصوات الثلاثة الباقية كما تشاءون . وستظل المنظمات السرية منفصلة تماماً فيما بينها ولا تقوم بعمل مشترك الا إثر تصويت من اللجنة المركزية . فاما قبول هذه الشروط أو رفضها .

كارسكي : هل تهزأ بنا ؟

هودرر : لستم ملزمين بالقبول .

كارسكي (للامير) سبق ان قلت لك إنه من غير الممكن التفاهم مـع هؤلاء الناس . ان في ايدينا ثلثي البلاد والمال والسلاح وفرقاً احتياطية مدربة ، فضلاً عن الاولوية المعنوية التي يوفرها لنا شهداؤنا . وهذه حفنة من الرجال لا مال عندها تطلب - بهدوء - الاكثرية في اللجنة المركزية .

هودرر : هل ترفضون اذن ؟

كارسكي : اجل نرفض ، وسنستغني عنكم .

هودرر : إذن اخرجا (كارسكي يتردد لحظة ، ثم يتجه الى الباب . الامير لا يبدي حراكاً) انظر الى الامير يا كارسكي ؛ إنه اخبث منك ، وهو قد فهم .

الامير : (لكارسكي بهدوء) : لا نستطيع ان نرفض هذه العروض من غير ان ندرسها .

كارسكي (بعنف) ليست هذه عروضاً . إنها مطالب عابثة ارفض ان اناقشها.
(ولكنه يظل جامداً)

هودرر : كانت الشرطة عام ٤٢ تطارد رجالكم ورجالنا ، وكنتم تدبرون مؤامرات لاغتيال الوصي ، وكنّا نخرّب الانتاج الحربي ، وحين كان شخص من البانتاغون يلتقي احد رجالنا ، كان لا بدّ لأحدهما من ان يبقى هناك مضرّجاً على الارض . اما اليوم ، فتريدون فجأة أن يتعانق جميع الناس . فلماذا ؟

الامير : من اجل خير الوطن .

هودرر : لماذا ؟ اليس هو الخير نفسه في عام ٤٢ ؟ (صمت) الا يكون ذلك بسبب ان الروس قد هزموا بولوس في ستالينغراد ، وان الجيوش الالمانية تخسر الآن الحرب ؟

الامير : من البديهي ان تطوُّر النزاع يخلق موقفاً جديداً. ولكني لا ارى..

هودرر : بـل انا على يقين انك بالعكس ترى جيداً .. انكم تريدون ان تنقذوا ايليريا ، وانا واثق من ذلك . ولكنكم تريدون انقاذها كما هي ، بما فيها من وضع الظلم الاجتماعي والامتيازات الطبيعية . حين بـدا الالمان منتصرين ، مال والدك إلى جانبهم . اما وقد تغيّر الموقف الآن ، فهو يسعى الى التقرب من الروس . ولكن ذلك اشد صعوبة .

كارسكي : إن كثيراً من رجالنا انمـا سقطوا وهم يصارعون الالمان ، ولن اتيح لك ان تقول اننا تعاقدنا مع العدو لنحافظ على امتيازاتنا .

هودرر : اعرف يا كارسكي : ان البانتاغون كان ضد الالمـان وكان الحظ بجانبكم : كان الوصي يقطع عهوداً لهتلر حتى يمنعه من اكتساح ايليريا . وكنتم كذلك ضد الروس ، لان الروس كانوا بعيدين . وانا اعرف الاغنية : ايليريا ، ايليريا وحدها . لقـد غنّيتموها طوال عامين للبورجوازية القومية . ولكن الروس يقتربون، وسيكونون عندنا قبل انقضاء عام ، ولن تكون ايليريا وحيدة كما هي الآن . واذن ؟ ينبغي ايجاد ضمانات . فمـا اعظم حظكم حين يكون بامكانكم ان تقولوا لهم : كان البانتاغون يعمل لصالحكم وكان الوصي يلعب على الحبلين . على انهم ليسوا ملزمين بان يصدقوكم . فما الذي سيفعلونه ؟ مـا الذي سيفعلونه ؟ ينبغي الا ننسى آخر الامر اننا أعلنّا عليهم الحرب .

الامير : يا عزيزي هودرر . حين يُدرك الاتحاد السوفياتي اننا باخلاص .

هودرر : حين يدرك ان ديكتاتوراً فاشستياً وحزباً محافظاً قد سارعا باخلاص الى نجدة انتصاره ، فاني اشك بان يعترف لهما بهذا الجميل (هنيهة) إن حزباً واحداً هو الذي احتفظ بثقة الاتحاد السوفياتي ؛ حزب واحد ظلّ على اتصال به طوال الحرب ، حزب واحد يستطيع ان يرسل مندوبين عنه عبر الخطوط ، حزب واحد يستطيع ان يضمن اتفاقكما الصغير : انه حزبنا . حين يصبح الروس بين ظهرانينا ، فسيرون بعيوننا . (هنيهة) هيا : يجب ان تسلكوا المسلك الذي نريده .

كارسكي : كان عليّ ان ارفض المجيء .

الامير : كارسكي .

كارسكي : كان عليّ ان اتنبأ بانكم ستجيبون على عروضنا الشريفة بمساومة دنيئة .

هودرر : اصرخْ ما حلا لك ! فانك لن تؤثر فيّ . أصرخ كخنزير يذبحونه. ولكن اذكر هذا حين تصل الجيوش السوفياتية الى ارضنا ، فستتسلم الحكم معاً انتم ونحن ، اذا عملنا معاً ، اما اذا لم نستطع التفاهم ، فان حزبي سيحكم «وحده» في نهاية الحرب . فعليكم الآن ان تختاروا .

كارسكي : انني ..

الامير (لكارسكي) : إن العنف لا يسوّي اية قضية : ينبغي ان ننظر الى الموقف بنظر واقعي .

كارسكي (للامير) : انك لجبان . لقد جررتني الى الفخّ لتنقذ رأسك .

هودرر : اي فخّ ؟ إذهب اذا شئت . فلست بحاجة اليك لأتفاهم مع الامير

كارسكي (للامير) : انك لن ..

الامير : لماذا يا تُرى ؟ لئن كان الاتفاق لا يروق لك ، فليس في نيتنا ان نلزمك بالاشتراك فيه ؛ ولكن قراري لا يتوقف على قرارك .

هودرر : لا حاجة الى القول إن تحالف حزبنا مع حكومة الوصي سيضع

البانتاغون في موقف عسير اثناء الأشهر الاخيرة من الحرب ؛ ولا حاجة الى القول ايضاً اننا سنعمد الى تصفيته نهائياً حين ينهزم الالمان . ولكن ما دمتم حريصين على ان تظلّوا نظيفين ..

كارسكي : لقد صارعنا طوال ثلاث سنوات من اجل استقلال بلادنا ، ومات الوف الشبان من اجل قضيتنا ، ففرضنا على العالم احترامنا ، كل ذلك من اجل ان ينضمّ الحزب الالماني يوماً الى الحزب الروسي ويغتالنا في ركنٍ من غاب...

هودرر : لا مجال هنا للعاطفية يا كارسكي. لقد خسرتم لانكم تستحقون ان تخسروا . « ايليريا ، ايليريا وحدها » ، ان هذا شعار يسيء حماية بلدٍ صغير يحيط به جيران اقوياء . (هنيهة) هل تقبلون شروطي ؟

كارسكي : انني لا أحمل صفة تخولني القبول . فلست وحدي .

هودرر : انني مستعجل يا كارسكي .

الامير : لعلّ بوسعنا يا عزيزي هودرر ان نَدَعَ له وقتاً للتفكير . إن الحرب لم تنته ، وليست نهايتها على مبعدة ثمانية ايام .

هودرر : اما انا ، فعلى مبعدة ثمانية ايام . انني امنحك ثقتي يا كارسكي . إن دأبي في الحياة ان اثق بالناس . إنا اعلم ان عليك ان تستشير اصدقاءك ، ولكني اعلم ايضاً انك ستقنعهم . فاذا اعطيتني اليوم قبولك المبدئي ، فسأتحدث غداً الى رفاق الحزب .

هوغو (منتصباً فجأة) : هودرر !

هودرر : ماذا ؟

هوغو : كيف تجرؤ .. ؟

هودرر : صه !

هوغو : ليس لك الحق في ذلك . انهم .. يا إلهي .. انهم هم انفسهم الاشخاص الذين كانوا يأتون لرؤية ابي .. انها الافواه نفسها ، الكالحة الرخيصة و ... وانهم ليتبعونني حتى الى هذا المكان . لا حق لك بذلك ، سوف يتسللون الى كل مكان ويفسدون كل شيء ، انهم الفئة الأقوى .

هودرر : هل تراك ستصمت ؟

هوغو : اسمعا جيداً انتما الاثنين : لن يكون الحزب وراءه في هذا الاتفاق، فلا تعتمدا عليه لتبررا موقفكما . لن يكون الحزب وراءه .

هودرر (للآخرين بهدوء) : لا اهمية لهذا اطلاقاً . ان ذلك رد فعل شخصي جداً .

الامير : نعم ، ولكن هـذه الصيحات مزعجة . اليس بالامكان ان يُطلب الى حراسك اخراج هذا الشاب ؟

هودرر : طبعاً ! وسيخرج من تلقاء نفسه . (ينهض ويتجه الى هوغو)

هوغو (متراجعاً) : لا تمسني . (يضع يده في الجيب ، حيث المسدس) الا تريد ان تسمعني ؟ الا تريد ان تسمعني ؟

(في هذه اللحظة يسمع انفجار شديد يتطاير له الزجاج وتنتزع قضبان النوافذ)

هودرر : على بطونكم !

(يمسك هوغو من كتفيه ويلقي به ارضاً . ينبطح الآخران هما ايضاً)

المشهد الخامس

الاشخاص انفسهم ، ليون ، سليك ، جورج الذين يدخلون راكضين . وفيما بعد ، جسيكا .

سليك : هل أصبت بجراح ؟

هودرر (ناهضاً) كلا . هل جُرح احد ؟ (لكارسكي الذي نهض) أراك تنزف ؟

كارسكي : ليس هذا بذي بال . انه من اثر حطام الزجاج .

جورج : قنبلة ؟

هودرر : اما قنبلة وإما مفرقعة . ولكنهم صوّبوا لأقصر مما ينبغي. فتّشوا الحديقة .

هوغو (ملتفتاً الى النافذة ، محدثاً نفسه) **الأنذال القذرون !**

(ليون وجورج يقفزان من النافذة)

هودرر : (للأمير) كنت اتوقع شيئاً من هذا ، ولكني آسف انهم اختاروا هذه اللحظة .

الامير : ان ذلك ليذكرني بقصر والدي . كارسكي : هـل هم رجالك الذين فعلوا ذلك ؟

كارسكي : هل أنت مجنون ؟

هودرر : بل انني انا المقصود ؛ ان هـذه القضية لا تعني احداً سواي. (لكارسكي) انت ترى انه من الخير اتخاذ الاحتياطات (ينظر اليه) ان نزيفك يشتد.

(تدخل جسيكا لاهثة)

جسيكا : هل قتل هودرر ؟

هودرر : لم يصب زوجك بأيّ اذى . (لكارسكي) ستصعد مع ليون الى غرفتي ، وهناك يضمد جراحك ، ثم نستعيد هذه المحادثة .

سليك : ينبغي لكم ان تصعدوا جميعاً ، لأنهم قد يعيدون التجربة ، فتتحدثوا بينما يضمد ليون جراحه .

هودرر : ليكن . (يدخل جورج وليون من النافذة) ماذا وجدتما ؟

جورج : مفرقعة . لقد قذفوها من الحديقة ثم فروا . وكان الجدار هو الذي تلقى كل شيء .

هوغو : الانذال القذرون .

هودرر : لنصعد (يتجهون نحو الباب . يهم هوغو باللحاق بهم) أما انت فلا .

(يتبادلان النظر ، ثم ينفتل هودرر ويخرج)

المشهد السادس

هوغو ، جسيكا ، جورج ، سليك

هوغو (يتمتم بين اسنانه) : الانذال القذرون .

سليك : ماذا تقول ؟

هوغو : الاشخاص الذين قذفوا المفرقعة . انهم انذال قذرون (يذهب فيصب لنفسه كأساً)

سليك : اراك ثائر الاعصاب بعض الشيء ، اليس كذلك ؟

هوغو : ليس هذا بذي بال .

سليك : لا مجال للخجل . إنه عماد النار وستعتاده .

جورج : بل لا بأس في ان يُقال لك ، ان هذا يسلّي على مر الايام . اليس كذلك يا سليك ؟

سليك : بلى ، يغيّر الجو ويوقظ ويُنشّط السيقان .

هوغو : لست ثائر الاعصاب ، ولكني أهذي . (يشرب)

جسيكا : بسبب من يا نحلتي الصغيرة ؟

هوغو : بسبب الانذال القذرين الذين قذفوا المفرقعة .

سليك : إنك لطيب القلب بعد كل شيء : أما نحن ، فمنذ وقت طويل انقطعنا عن الهذيان .

جورج : بهذا نكسب خبزنا : فلولاهم ، اولئك ، ما كنّا هنا .

هوغو : انك ترى : لقد كانوا جميعاً هادئين ، وكانوا جميعاً مسرورين . كان ينزف كالخنزير ، وكان يمسح خده باسماً ، وكان يقول « ليس الامر بذي بال » فيا لهم من شجعان ! انهم اكبر اولاد قحبة على وجه الارض ، وان عندهم قدراً من الشجاعة يكفي ليمنعك من ان تحتقرهم حتى النهاية (بحزن) إن هذا لأمر متعب . (يشرب) ليست الفضائل والعيوب موزعة توزيعاً عادلاً .

جسيكا : لست جباناً يا روحي .

هوغو : لست جباناً ، ولكني لست كذلك شجاعاً . انا عصبيّ اكثر مما ينبغي . بودي لو انام فأحلم باني سليك . انظري : مئة كيلو من اللحم ، وبندقة في الجمجمة ، انه حوتٌ حقيقي . وتلك البندقة ، في الرأس ، ترسل شارات خوف وغضب ، ولكن هذه الشارات تضيع في هذه الكتلة ، وقصارى ما تفعله انها تدغدغه

سليك (ضاحكاً) أتسمعه ؟

جورج : (ضاحكاً) إنه ليس على خطأ . (هوغو يشرب)

جسيكا : هوغو .

هوغو : ماذا ؟

جسيكا : كفّ عن الشراب .

هوغو : لماذا ؟ ليس عندي بعدُ شيء أعمله . لقد عُزلتُ من وظيفتي .

جسيكا : أهو هودرر الذي عزلك من وظيفتك ؟

هوغو : هودرر ؟ منذا الذي يتحدث عن هودرر؟ بوسعك ان تظني بهودرر كلّ ما تشائين، ولكنه رجلٌ منحني ثقته . وليس باستطاعة الناس جميعاً ان يقولوا مثل ذلك . (يشرب ثم يتجه الى سليك) هناك اشخاص يعهدون اليك في مهمة ، فتبذل جهداً عظيما للقيام بها ، حتى اذا اوشكت ان تنجح فيها ، رأيت انهم يسقطونك من حسابهم ويعهدون في المهمة الى آخرين .

جسيكا : اتريد ان تسكت ؟ لا احسبك ستروي لهم قصصنا البيتية .

هوغو : البيتية ؟ ها ! (منفرج القسمات) إنها مدهشة !

جسيكا : انه يتحدث عني . منذ سنتين وهو يأخذ عليّ اني لا امنحه ثقتي .

هوغو (لسليك) : انها ذكية ، اليس كذلك ؟ (لجسيكا) لا ، انك لا تمنحني ثقتك . هل تثقين بي ؟

جسيكا : بالطبع لا ، في هذه اللحظة .

هوغو : لا يثق بي أحد . لا بدّ انّ هيئتي ملتويةٌ بشكل مـا . قولي لي انك تحبينني .

جسيكا : ليس أمامهم .

سليك : لا يُزعجْك وجودنا .

هوغو : انها لا تحبني ولا تعرف ما هو الحب . انها ملاك . تمثال من ملح .

سليك : تمثال من ملح ؟

هوغو : لا ، اردتُ ان اقول تمثال من ثلج . فاذا لامستها ذابت .

جورج : اي هذيان !

جسيكا : تعال يا هوغو ، لنَعُدْ الى البيت .

هوغو : انتظري، اود ان اقدم نصيحةً لسليك. انني احب سليك حباً جماً لانه قوي ولأنه لا يفكر . اتريد نصيحة يا سليك ؟

سليك : اذا كنت لا استطيع تجنبّها !

هوغو : اسمع : لا تتزوج في الصبا المبكر .

سليك : ليس في ذلك اي خطر .

هوغو (وقد بدأ يثمل) لا اسمع : لا تتزوج في الصبا المبكر . اتفهم مـا اعنيه ؟ لا تتزوج في الصبا المبكر . لا تتحمل مـا لا تستطيع ان تقوم به . فان ذلك يثقل اكثر مما ينبغي فيما بعد . ان كل شيء ثقيل جداً . لست ادري ان كنتما قد لاحظتما : انه ليس من المناسب ان يكون المرء شاباً . (يضحك) مهمة سرية ذات ثقة . قل لي ! اين هي الثقة ؟

جورج : اية مهمة ؟

هوغو : آه ! انني مكلف بمهمة .

جورج : اية مهمة ؟

هوغو : إنهم يريدونني على ان اتكلم ، ولا يدرون ان هذا وقتٌ مضاعٌ معي . لست قابلاً للاختراق . (ينظر الى نفسه في المرآة) غير قابل للاختراق ! هيئة ليس فيها ادنى تعبير ، هيئة الناس جميعاً . لا بدّ ان ذلك يُرى يا إلهي ؛ لا بد ان ذلك يُرى !

جورج : ماذا ؟

هوغو : انني مكلف بمهمة سرية .

جورج : سليك ؟

سليك : هم م م . .

جسيكا (بهدوء) لا تحطمّا رأسيكما لفهم هذا الكلام : انه يعني اني سأرزق ولداً . وانما هو ينظر في المرآة ليرى ان كان يبدو حقاً رب اسرة .

هوغو : عظيم! ربّ اسرة ! هو ذلك . هو ذلك على التحقيق . رب اسرة. اننا ، هي وانا ، نتفاهم بنصف كلمة . غير قابل للاختراق ! لا بدّ ان يعرف . . رب اسرة ، من شيء ما . من سيماء في الوجه او مذاق في الفم . او همّ في القلب. (يشرب) انني آسف من اجل هودرر ، لانني اصارحكم انه كان بوسعه ان يساعدني . (يضحك) قولوا لي : إنهم لا شك فوق ، يتحدثون بينا ينظّف ليون جرح كارسكي . ولكن أتكونان حطباً ؟ أطلقا عليّ النار .

سليك (لجسيكا) ينبغي لهذا الفتى الاّ يشرب .

جورج : إن الشرب لا يؤاتيه .

هوغو : اقول لكما : أطلقا عليّ . إن هذه مهنتكما . اسمعا اذن : إن رب اسرة ، ليس هو قط رب اسرة حقيقياً . إن القاتل ليس هو قط قاتلاً مئة بالمئة . انهم يمثلون ، أتفهمون؟ في حين ان الميت ، ميتٌ حقاً . إما ان يكون المرء او لا يكون ، أليس كذلك ؟ انكم تفهمون ما أعنيه . ليس هناك شيء يمكن ان اكونه ، الاّ ان اكون ميتاً فوق رأسه ستة اقدام من الارض . اقول

لـكم ان هذا كلّه تمثيل . (يتوقف فجأة) وهذا ايضاً تمثيل ، كل هذا ! كل مـــا قلته لـكم الآن . لعلكم تظنون اني يائس ؟ على الاطلاق : انني امثّل اليأس تمثيلاً ، فهل بالامكان الخروج من ذلك ؟

جسيكا : هل تريد ان ندخل الى البيت ؟

هوغو : انتظري . لا . لست ادري ... كيف يمكن القول ، هل اريد ام لا اريد ؟

جسيكا (مالئة قدحاً) : اشرب اذن .

هوغو : حسناً (يشرب) .

سليك : لست مجنونة حتى تحشّيه على الشراب .

جسيكا : افعل ذلك لننتهي من الامر بمدة اقصر . والآن ، ليس لنا الا ان ننتظر . (هوغو يفرغ الكأس فتملأها جسيكا من جديد)

هوغو : (ثملا) ما الذي كنت اقوله ؟ كنت اتحدث عن قتل ؟ اننا جسيكا وانا نعرف ما معنى هذا . الحقيقة ان الكلام اكثر مما ينبغي ، هنا في داخل هذا (يضرب بيده جبينه) حبذا لو يأتيني السكوت (لسليك) اية راحة داخل رأسك انت ! فليس ثمة ايّ ضجيج ، انما الليل هناك اسود . ولكن لماذا تدورون بهذه السرعة البالغة ؟ لا تضحكوا : انا اعلم اني ثمل ، وأعلم اني كريه . ولكني أقول لـكم : ليس بودّي ان اكون في مركزي . اوه . كلا . ليس هو بالمركز الحسن . لا تدوروا ! إن كل ما في الامر اشعال الفتيل . يبدو ان ذلك ليس بالأمر العسير ولكني لا اتمنى لـكم ان تُكلّفوا بمثل هذا . الفتيل : كلّ شيء يكمن فيـــه . اشعال الفتيل . وبعد ذلك يُنسف الجميـــع وانا معهم : ولا حاجة بعدُ الى اثبات الغياب عن مسرح الجريمة ، وسيشمل الكون الصمت والليل . إلاّ اذا كان الموتى ايضاً يمثّلون. افرضوا ان شخصاً مات ثم اكتشُف ان الموتى احياء يمثلون دور الموتى! سنرى. سنرى. ينبغي فقط اشعال الفتيل. هذه هي اللحظة النفسية (يضحك) ولكن لا تدوروا ، بالله عليكم والا فاني انا ايضاً ادور . (يحاول ان

يدور فيسقط على كرسي) وهذه هي حسنات التربية البورجوازية (يتهادى رأسه فتقترب جسيكا وتنظر اليه) .

جسيكا : حسناً . انتهى الامر . هل تسمحان بمساعدتي لنقله الى سريره ؟

(سليك ينظر اليها وهو يحك رأسه)

سليك : ان زوجك يتكلم اكثر مما ينبغي .

جسيكا (ضاحكة) انتما لا تعرفانه . ليس لشيء مما قاله اية اهمية

(سليك وجورج يرفعانه من كتفيه وقدميه)

(ستار)

الفصل الخامس

في الجناح

المشهد الاول

هوغو ، جسيكا ، ثم أولغا

(هوغو نائم في سريره ، مرتدياً ثيابه الكاملة ، ملتحفاً بغطاء . يتحرك ويئن في نومه . جسيكا جالسة على حافة السرير لا تبدي حراكاً . يئن ايضاً . تنهض وتذهب الى غرفةالتواليت. يسمع الماء يجري ، أولغا مختبئة وراء ستائر النافذة . تزيح الستائر وتظهر رأسها. تعتزم وتقترب من هوغو . تنظر اليه · هوغو يئن . تعدل أولغا رأسه وتركز مخدته . تعود جسيكا في هذه الاثناء وترى المشهد ، وفي يد جسيكا رفادة رطبة .)

جسيكا : أيّة عناية ! صباح الخير يا سيدتي .
أولغا : لا تصيحي ، انني ..
جسيكا : لا رغبة لي بالصياح . اجلسي . بل انّ بي رغبةً للضحك ..
أولغا : أنا أولغا لورام .
جسيكا : لقد خمنت ذلك .

أولغا : هل حدثك هوغو عني ؟
جسيكا : نعم .
أولغا : هل هو جريح ؟
جسيكا : كلاّ : إنه ثمل . (مارة أمام أولغا) أتسمحين ؟
(تضع الرفادة على جبين هوغو) .
أولغا : ليس هكذا . (تركز الرفادة)
جسيكا : اعذريني .
أولغا : وهودرر ؟
جسيكا : هودرر ؟ ولكن اجلسي ، أرجوك . (تجلس أولغا.) أأنت التي قذفت هذه القنبلة ، يا سيدتي ؟
أولغا : نعم .
جسيكا : لم يقتل أحد : ستكونين اكثر حظاً في مرة قادمة . كيف دخلت الى هنا ؟
أولغا : من الباب . لقد تركتماه مفتوحاً حين خرجتما . يجب ألاّ تترك الأبواب مفتوحة أبداً .
جسيكا : (مشيرة الى هوغو) هل كنت تعلمين أنه كان موجوداً في المكتب ؟
أولغا : لا .
جسيكا : ولكن كنت تعلمين أنه ربما كان فيه ؟
أولغا : كانت مجازفة لا بدّ من القيام بها .
جسيكا : لو اوتيت بعض الحظ ، لكنتِ قتلته .
أولغا : هذا خير ما كان يحدث له .
جسيكا : حقاً ؟
اولغا : إن الحزب لا يحبّ الخونة كثيراً .
جسيكا : ليس هوغو بالخائن .
اولغا : هذا ما أعتقد به . ولكنني لا استطيع أن أقصر الآخرين على

الاعتقاد به . (هنيهة) لقد طال بهذه القضية الأمد ، وقد كان ينبغي ان تنتهي منذ ثمانية ايام .

جسيكا : لا بدّ من انتهاز فرصة .

اولغا : بل علينا نحن ان نخلق الفرص .

جسيكا : ايكون الحزب هو الذي أرسلك ؟

اولغا : إن الحزب لا يعرف أنني هنا : لقد أتيت من تلقاء نفسي .

جسيكا . فهمت : لقد وضعت قنبلة في محفظتك واتيت بلطف لترميها على هوغو من أجل أن تنقذي سمعته .

اولغا : لو كنت قد نجحت لظنّوا أنه نسف نفسه مع هودرر .

جسيكا : أجل ، ولكنه كان يكون قد مات .

اولغا : أيّاً ما تكون الطريقة التي يتبعها ، فليس له الآن حظّ كبير للخروج من مأزقه .

جسيكا : ان صداقتك لشاقة .

أولغا : انها بكل تأكيد أشق من حبك . (تتبادلان النظرات) أأنت التي منعته من إتمام عمله ؟

جسيكا : انني لم أمنع شيئاً على الاطلاق .

أولغا : ولكنك لم تساعديه على اي حال .

جسيكا : ولمَ تُراني اساعده ؟ هل استشارني قبل ان ينتسب الى الحزب ؟ وحين قرّر ان خير ما يقضي به حياته هو ان يذهب لاغتيال مجهول ، اتراه استشارني ايضاً ؟

أولغا : ولماذا يستشيرك ؟ وأيةُ نصيحة كان يمكن ان تسديها اليه ؟

جسيكا : طبعاً .

أولغا : لقد اختار هذا الحزب ؟ وطلب الاضطلاع بهذه المهمة ، وقد كان هذا حسبك .

جسيكا : لا ، ان هذا لا يكفيني .

(يئن هوغو)

أولغا : ان حالته سيئة . كان عليك الا تتركيه يشرب .

جسيكا : كان يكون اسوأ حالاً لو تلقى انفجار قنبلتك في وجهه (هنيهة) اية خسارة في انه لم يقترن بك : لقد كان بحاجة الى امرأة ذات عقل راجح . ولو تمّ ذلك لكان يبقى في غرفتك ليكوي ثيابك الداخلية بينما تذهبين انت لالقاء قذائف في منعطفات الشوارع ، وكنّا نكون جميعاً جدّ سعداء (تنظر اليها) كنت اظنك فارعة القامة قوية العظم .

أولغا : ذات شاربين ؟

جسيكا : من غير شارب ولكن بثؤلول تحت الأنف . كان طابع الاهمية يبدو دائماً على وجهه حين كان يخرج من لدنك . كان يقول «لقد تحدثنا بالسياسة» .

أولغا : وبالطبع لم يكن ليتحدّث معك بها ابداً .

جسيكا : انت تعلمين جيداً أنه لم يتزوجني من اجل هذا (هنيهة) إنك تحبينه ، أليس كذلك ؟

أولغا : أيّ شأن للحب هنا ؟ أنت تقرئين الروايات اكثر مما ينبغي .

جسيكا : لا بدّ للمرء من ان يشغل نفسه بشيء ما حين لا يتعاطى السياسة .

أولغا : اطمئني ، فالحب لا يقلق كثيراً بال النساء ذوات الرؤوس المفكرة . اننا لا نحيا به .

جسيكا : أما أنا ، فهل احيا به ؟

أولغا : كسائر النساء ذوات القلوب .

جسيكا : ليكن ما تقولين ؛ فأنا اوثر قلبي على رأسك .

أولغا : يا لهوغو المسكين !

جسيكا : أجل . يالهوغو المسكين ! لا بد انك تحتقرينني كثيراً يا سيدتي .

أولغا : أنا ؟ ليس لي من وقت أهدره . (صمت .) أيقظيه ، إن عندي ما

أقول له .

جسيكا : (تقترب من السرير وتهز هوغو) هوغو ! هوغو ! ان لديك زائرين .

هوغو : هيه؟ (يجلس في سريره) أولغا، اولغا، هل أتيت! يسعدني ان تكوني هنا ، فينبغي لك ان تساعديني (يجلس على حافة السرير .) يا إلهي أيّ صداع هذا! أين نحن ؟ اؤكد لك انه يسعدني ان تكوني قد اتيت . انتظري : لقد حدث شيء ، شيء مزعج جداً . انك لن تستطيعي بعد ان تساعديني . لا يمكنك ان تساعديني الآن . لقد قذفت المفرقعة ، أليس كذلك ؟

أولغا : نعم .

هوغو : لماذا لم تثقوا بي ؟

أولغا : هوغو ! بعد ربع ساعة سيرمي لي رفيق حبلاً من اعلى الحائط ، وعليّ ان اذهب . انني عجلى وعليك ان تصغي لي .

هوغو : لماذا لم تثقوا بي ؟

أولغا : جسيكا ! اعطيني هذه الكأس وتلك الزجاجة . (جسيكا تعطيها لها ، فتملأ الكأس وترش وجه هوغو بالماء) .

هوغو : بفو !

أولغا : أتسمعني ؟

هوغو : نعم . (يمسح الماء عن وجهه) ما اشدّ هذا الصداع ! هل بقي في الزجاجة ماء ؟

جسيكا : نعم .

هوغو : صبّي لي لأشرب ، أتريدين ؟ (تمد له الكأس فيشرب) ما رأي الرفاق ؟

اولغا : رأيهم انك خائن .

هوغو : أنهم ليذهبون بعيداً !

اولغا : لم يبق لك يوم واحد تضيعه . لا بدّ من تصفية القضية قبل مساء الغد .

هوغو : ما كان لك ان تقذفي المفرقعة .

اولغا : لقد شئت ، يا هوغو ان تضطلع بمهمة عسيرة ، وان تضطلع بها وحدك . وقد كنت اول من وثق بك ، حين كان ثمة مئة سبب لحجب الثقة عنك ، وأنا التي نقلت ثقتي للآخرين . ولكننا لسنا كشافين ، ولم يخلق الحزب ليتيح لك فرصاً للبطولة . إن هناك عملاً ينبغي القيام به ولا بد من تحقيقه ، وسيان ان تحققه انت او سواك . فاذا لم تنجز مهمتك بعد اربع وعشرين ساعة، فسيرسل سواك لانجازها بدلاً عنك .

هوغو : اذا أنبتم عني غيري ، فسأترك الحزب .

اولغا : ماذا تظنّ ؟ اتعتقد أن بامكان أحد أن يترك الحزب ؟ اننا في حرب يا هوغو ، والرفاق لا يمزحون ، ودون ترك الحزب تقطيع الاقدام .

هوغو : لست أهاب الموت .

اولغا : ليس الموت امراً ذا بال ، ولكن أن يموت المرء بمثل هذه البلاهة ، بعد أن يكون قد فوّت عليه كلّ شيء ، ان يستهدف كالباذلة نفسها ، بل شرّ من ذلك ، كأبله يصفّي امره تفادياً من خرَقه ، أهذا هو ما تريد ؟ أهذا هو ما كنت تبغي ، حين اتيتني للمرة الاولى وكنت سعيداً وفخوراً الى ذلك الحدّ؟ بل حدّثيه ، أنت ! اذا كنت تكنين له بعض الحب ، فليس بوسعك أن تقبلي بقتله كما يقتل الكلب .

جسيكا : تعلمين جيّداً يا سيدتي ، أنني لا أفقه شيئاً في السياسة .

اولغا : علام عزمت ؟

هوغو : ما كان لك أن تقذفي المفرقعة .

اولغا : علام عزمت ؟

هوغو : ستعلمون غداً .

اولغا : حسناً . استودعك الله يا هوغو .

هوغو : استودعك الله يا اولغا .

جسيكا : الى اللقاء يا سيدتي .

اولغا : اطفئي النور . يجب الا يراني أحد وانا خارجة .

(تطفىء جسيكا النور . تفتح اولغا الباب وتخرج .)

المشهد الثاني

هوغو ، جسيكا

جسيكا : أأضيء من جديد ؟

هوغو : انتظري . فقد تضطر للعودة . (ينتظران في الظلام)

جسيكا : بامكاننا ان نشق ستائر النافذة الخشبية لنرى .

هوغو : كلا . (صمت)

جسيكا : هل يشق عليك شيء ؟ (لا يجيب هوغو) اجبني ما دام الظلام مخيماً ..

هوغو : أحس صداعاً ، وهذا كل ما في الامر . (هنيهة) ان الثقة لا قيمة لها حين لا تتماسك ثمانية ايام من الانتظار .

جسيكا : اجل ، لا قيمة لها .

هوغو : وكيف تريدين ان تعيشي ، اذا لم يكن هناك من يمنحك ثقته ؟

جسيكا : لم يثق بي أحدٌ قطّ ، ولقد كانت ثقتك انت دون ثقة الآخرين . ومع ذلك فقد استطعت ان اتدبر امري .

هوغو : لقد كانت الوحيدة التي آمنت بي بعض الشيء .

جسيكا : هوغو ..

هوغو : الوحيدة ، وانك لتعلمين ذلك جيداً . (هنيهة) لا بدّ ان تكون في مأمن الآن . أظن انّ بامكاننا ان نضيء من جديد . (يضيء من جديد . تشيح جسيكا عنه بوجهها فجأة .) ماذا دهاك ؟

جسيكا : يضايقني ان أراك في النور .

هوغو : أتريدين ان أطفئه ؟

جسيكا : لا . (تعود نحوه) انت ، انت ، ستقتل رجلاً ؟

هوغو : وهل أعرف ما سأفعله ؟

جسيكا : أرني المسدّس .

هوغو : لماذا ؟

جسيكا : أريد أن أعرف كيف هو مصنوع .

هوغو : لقد حملته ساعات ما بعد الظهر بطولها .

جسيكا : في تلك اللحظة ، لم يكن سوى لعبة .

هوغو : (يقدمه اليها) . احذريه .

جسيكا : نعم . (تنظر اليه) عجباً ! .

هوغو : ما هو العجب ؟

جسيكا : إنه يخيفني الآن . استعده . (هنيهة) انك ستقتل رجلاً .

(يأخذ هوغو بالضحك) .

جسيكا : لماذا تضحك ؟

هوغو : إنك تؤمنين بذلك الآن ! لقد عزمت على الايمان بذلك ؟

جسيكا : أجل .

هوغو : لقد عرفت كيف تختارين لحظتك : إن أحداً لا يؤمن بعدُ بذلك . (هنيهة) منذ ثمانية أيام ، ربما كان ذلك يعنيني ..

جسيكا : ليس الذنب ذنبي : فأنا لا أؤمن إلا بما أرى . وفي هذا الصباح بالذات ، لم أكن لأستطيع حتى التخيّل بأن يموت . (هنيهة) لقد دخلت

المكتب منذ لحظة ، وكان هناك الشخص الذي يقطر دماً ، وكنتم كلكم موتى . إن هودرر رجل ميّت ؛ لقد رأيت ذلك على وجهه ! فان لم تكن انت قاتله ، فسيرسلون شخصاً آخر .

هوغو : سأكون انا القاتل (منيهة) وذلك الشخص الذي كان يقطر دماً ، كان قذراً أليس كذلك ؟

جسيكا : أجل ، كان قذراً .

هوغو : إن هودرر أيضاً سيقطر دماً .

جسيكا : صه !

هوغو : سيكون ملقىً على الأرض ، بهيئة بلهاء ، وسيقطر دماً في ثيابه .

جسيكا (بصوت بطيء ومنخفض) ولكن آن لك ان تصمت .

هوغو : لقد قذفتْ الجدار بفرقعة . وليس في هذا ما يدعو للفخر ، فهي لم تكن حتى لترانا . ان اي انسان يستطيع أن يقتل ، إذا لم يُقسر على رؤية ما يفعله . كدت ان اطلق ، انا . كنت في المكتب ، وكنت احدق الى وجوههم ، وكدت ان اطلق ، ولكنها هي التي حالت دون ذلك .

جسيكا : وهل كنت ستطلق حقاً ؟

هوغو : كانت يدي في جيبي ، واصبعي على الزناد .

جسيكا : وكنت على وشك الاطلاق ! وهل أنت متأكد انه كان بامكانك ان تطلق ؟

هوغو : كان . . كان من حسن الحظ اني كنت غاضباً ؛ وطبعاً كنت سأطلق، امّا الآن ، فعلينا أن نعيد كل شيء . (يضحك) لقد سمعتها : يقولون انني خائن . ما أيسر مهمتهم . حين يقررون هناك موت رجل ، فكأنهم يحذفون اسماً من حوليّة : شيء نظيف ، شيء طريف ! أمّا هنا ، فالموت انما هو عمل . هنا المسالخ (منيهة) انه يشرب ، يدخن ، يحدثني عن الحزب ، يعدّ مشاريع وانا افكر بالجثة التي سيغدوها ، ايّ امر مقذع هذا ! هل رأيت الى عينيه ؟

جسيكا : نعم .

هوغو : ارأيت كم هما لامعتان وقاسيتان ؟ وحادتان ايضاً ؟

جسيكا : نعم .

هوغو : قد أطلق الرصاص في عينيه . قد يصوّب المرء الى البطن ، ولكن السلاح يرتفع .

جسيكا : انني أحب عينيه .

هوغو : (فجاة) انه لصعب الادراك !

جسيكا : ماذا ؟

هوغو : القتل ، اقول بأنه شيء صعب الادراك . إنك تضغطين على زناد المسدس ، وبعد ذلك ، لا تفهمين شيئاً مما يحصل . (منيهة) لو كان باستطاعتنا ان نطلق مشيحين برأسنا . (منيهة) إني لأتساءل لماذا أحدثك عن ذلك كله .

جسيكا : وانا ايضاً اتساءل عن ذلك .

هوغو : معذرة . (منيهة) ومع ذلك فلو كنت في هذا السرير انازع الموت فلن تتخلّي عني ، أليس كذلك ؟

جسيكا : لا .

هوغو : الأمر سواء ؛ أن يَقتُلَ المرء أو يموت : فهو وحيد في الحالين . انه هو محظوظ سعيد ، فلن يموت إلاّ مرّة واحدة . أمّا أنا ، فها قد مضت عشرة ايام وأنا اقتله ، في كل دقيقة . (فجاة) ماذا ستفعلين يا جسيكا ؟

جسيكا : كيف ؟

هوغو : اسمعي : اذا لم أقتل غداً ، فيجب عليّ أن اختفي من الوجود ، والاّ فعليّ ان اسعى الى لقائهم واقول لهم : افعلوا ما تشاؤون . أما اذا قتلت . . (يخبىء وجهه لحظة في راحته) ماذا عليّ ان افعل ؟ ماذا ستفعلين ؟

جسيكا : انا ؟ انك تسألني انا بالذات ، ما أفعله لو كنت مكانك ؟

هوغو : من تريدين أن أسأل عن ذلك ؟ لم يبق لي سواك في هذا العالم .

جسيكا : هذا صحيح . لم يبقَ لك سواي. لم يبقَ سواي، مسكين هوغو . (منيهة) لو كنت مكانك لسعيت الى هودرر وقلت له : دونك القضية : لقد

ارسلوني لأقتلك ، ولكني غيرت رأيي ، وانا راغب في العمل معك .

هوغو : مسكينة يا جسيكا !

جسيكا : اليس هذا ممكناً ؟

هوغو : هذا بالضبط ما يمكن ان يسمى خيانة .

جسيكا : اترى ؟ لا استطيع ان اقول لك شيئاً . (منبهة) لماذا لا يكون ذلك ممكناً ؟ لأنه يخالفك في ارائك ؟

هوغو : اذا شئت . لانه يخالفني في آرائي .

جسيكا : وهل يجب قتل من يخالفونكم في الرأي ؟

هوغو : احياناً .

جسيكا : ولكن لماذا اخترت آراء لويس واولغا ؟

هوغو : لانها كانت صحيحة .

جسيكا : ولكن افرض يا هوغو انك التقيت بهودرر في العام الماضي بدلاً من لويس . اذن فان آراءه هي التي كانت تبدو لك صحيحة .

هوغو : انك لمجنونة .

جسيكا : لماذا ؟

هوغو : ان من يسمعك يعتقد ان جميع الآراء ذات قيمة واحدة وانه يمكن للمرء ان يلتقطها كما يلتقط الامراض .

جسيكا : لا اعتقد ذلك . فانا ... فأنا لست ادري ما اعتقد . اسمع يا هوغو : انه قوي جداً ، وحسبه ان يفتح فمه حتى يتأكد الانسان من انه على حق . ثم انني كنت اعتقد بأنه صادق مخلص ، وأنه يبغي صالح الحزب .

هوغو : ما يبغيه ، ما يفكر به ، كل هذا أهزأ منه . ان ما يعوّل عليه هو الذي يعمله .

جسيكا : ولكن ...

هوغو : انه ، « موضوعياً » ، يتصرف كأنه اشتراكي خائن .

جسيكا : (من غير ان تفهم) « موضوعياً » ؟

هوغو : نعم .

جسيكا : آه ! (منبهة) وهو ، لو كان يعلم ما تعده ، أتراه يعتقد أنك اشتراكي خائن ؟

هوغو : لست أدري .

جسيكا : ولكن هل يمكن ان يعتقد ذلك ؟

هوغو : وأيّ حرج في هذا ؟ أجل ، أرجح ذلك .

جسيكا : إذن ، من منكما على حق ؟

هوغو : أنا .

جسيكا : وما حجتك ؟

هوغو : ان السياسة علم، فبوسعك ان تبرهني أنك على صواب وأن الآخرين مخطئون .

جسيكا : اذا كان الأمر كذلك ، فلماذا تتردد ؟

هوغو : ان الشرح يطول اكثر مما ينبغي لو حاولته .

جسيكا : ان أمامنا الليل .

هوغو : قد يقتضينا ذلك أشهراً وسنين .

جسيكا : هكذا اذن ! (تمشي نحو الكتب) وكل ذلك مكتوب ها هنا ؟

هوغو : نعم ، الى حد ما ، حسب المرء ان يعرف القراءة .

جسيكا : يا إلهي ! (تأخذ كتاباً فتفتحه، وتنظر فيه مسحورة ثم تضعه متنهدة) يا إلهي !

هوغو : أما الآن فدعيني . نامي او افعلي ما تشائين .

جسيكا : ماذا دهاك ؟ ما الذي قلتُه ؟

هوغو : لا شيء . لم تقولي شيئاً . انني انا المذنب : كان جنوناً مني ان اطلب منك العون . إن نصائحك تأتي من عالم آخر .

جسيكا : والذنب ، ذنب من ؟ لماذا لم يعلموني شيئاً ؟ لماذا لم تشرح لي شيئاً؟ أسمعت ما قاله ؟ بأنني كنت شيئاً كالياً لك . لقد مضت تسعة عشر عاماً منذ

وضعوني في عالمكم انـــتم الرجال وحظروا عليّ أن المس الأشياء المعروضة ، وجعلتموني اعتقد ان جميع الامور تسير على ما يرام ، وانــه ليس عليّ أن أهتمّ بشيء إلاّ بوضع زهور في الأواني . لـماذا كذبتم عليّ ؟ لماذا تركتموني في ظلمة الجهل ، إذا كان ذلك من اجل ان تعترفوا لي ذات يوم ، أن هـذا العالم يتداعى من جميع جوانبه ، وانكم انتم عاجزون ، ومن اجل أن تضطروني للاختيار بين انتحار وقتل . انني لا اريد ان اختار ، لا اريد ان تسلم نفسك للقتل ، ولا اريد ان تقتله . لماذا وضعتم هـذا العبء على كتفي ؟ انني لا ادرك من اموركم شيئاً ، واني لأغسل يدي منها . انني لست بطاغية ، ولا اشتراكية خائنة ، ولا ثوريّة . أنا لم افعل شيئاً . وانني من كلّ ذلك براء .

هوغو : لن اطلب منك شيئاً بعد الآن ، يا جسيكا .

جسيكا : لقد فات الأوان يا هوغو ، انك قد ادخلتني في الحلبة ولا بـدّ لي من ان اختار الآن ، ان اختار لك ولي : انها حياتي التي اختار مـــع حياتك وأنا ... أوه ! يا آلهي ! لا يمكنني .

هوغو : أترين !

(صمت . هوغو جالس على السرير وعيناه في الفضاء . تجلس جسيكا قريباً منه وتحيط عنقه بذراعيها) .

جسيكا : لا تقل شيئاً . لا تهتمّ بي ، فلن احدّثك ولن أمنعك من التفكير . ولكنني سأكون هنا . ان الجو يبرد في الصباح ، وستكون مسروراً بان تصيب قليلاً من دفئي ما دمت لا املك شيئاً آخر اعطيك اياه. اما زلت تشعر بالصداع؟

هوغو : نعم .

جسيكا : ضع رأسك على كتفي . ان جبينك ملتهب . (تلامس شعره) مسكين رأسك .

هوغو : (معتدلاً فجأة) كفى !

جسيكا : (بهدوء) هوغو !

هوغو : انك تمثلين دور امّ الاسرة .

جسيكا : انني لا امثل . ولن امثل بعدُ أبداً .

هوغو : ان جسدك بارد وليس لديك دفء تمنحينني اياه . وليس عسيراً ان تنحني امرأة على رجل مصطنعة دور الام ، فتمرّ يدها خلال شعره ؛ ان اية فتاة صغيرة تحلم أن تكون مكانك . ولكنني حين اخذتك بـين ذراعي وطلبت اليك ان تكوني زوجتي ، لم تحسني التخلّص كما يجب .

جسيكا : صه !

هوغو : ولماذا اسكت ؟ اتراك لا تعلمين ان حبّنا كان تمثيلاً ؟

جسيكا : ان ما يعوّل عليه هذه الليلة ، ليس حبّنا ، وانما ما سنفعله غداً .

هوغو : ان الامور كلها متصل بعضها ببعض . لو كنت متأكداً .. (فجأة) جسيكا ، انظري اليّ . أيمكنك ان تقولي لي انك تحبينني ؟ (ينظر اليها. صمت) ها نحن اذن ، حتى هذا ، ما كان لي ان اظفر به .

جسيكا : وانت يا هوغو ؟ اتعتقد انك كنت تحبني ؟ (لا يجيب) انك لترى جيّداً . (هنيهة . فجــأة) لماذا لا تحاول ان تقنعه ؟

هوغو : ان اقنعه ! اقنع من ؟ هودرر ؟..

جسيكا : ما دام مخطئاً ، فلا بدّ ان بوسعك ان تبرهن له على ذلك .

هوغو : اتعتقدين ! انه صيني اكثر مما ينبغي .

جسيكا : كيف تعرف ان افكارك صحيحة ، اذا لم تستطع ان تبرهـــن على ذلك ؟ اي هوغو ، ان ذلك سيكون حسناً جداً ، وستصلح بـــين الجميع ، وسيكون الجميع مسرورين ، وستعملون معاً جميعاً . حاول يا هوغو ، ارجوك . حاول مرّة واحدة على الاقل قبل ان تقتله .

(يطرق الباب . ينتصب هوغو وتلتمع عيناه)

هوغو : إنها اولغا . لقد عادت ؛ كنت متأكداً أنها ستعود . أطفئي النور واذهبي فافتحي .

جسيكا : ما اشدّ حاجتك اليها .

(تذهب فتطفىء وتفتح الباب . يدخل هودرر . يشعل هوغو النور من جديد حين يغلق الباب) .

المشهد الثالث

هوغو ، جسيكا ، هودرر

جسيكا : (متحققة من انه هودرر) ها !

هودرر : هل أخفتك ؟

جسيكا : إن اعصابي متوترة هذا المساء . من تلك القنبلة التي انفجرت ...

هودرر : نعم بكل تأكيد . أمن عادتك ان تبقي في الظلام ؟

جسيكا : إنني مضطرة لذلك . فان عينيّ متعبتان .

هودرر : آه ! (هنيهة) هل استطيع ان اجلس لحظة ؟ (يجلس في المقعد .) لا تتضايقا من اجلي .

هوغو : هل لديك ما تقوله لي ؟

هودرر : لا . لا ، لا . لقد اضحكتني منذ هنيهة ، كنت محمراً من فرط الغضب .

هوغو : إني ...

هودرر : لا تعتذر : كنت أتوقع ذلك . بل أنك لو لم تحتجّ ، لكنت قلقت . إن هناك اشياء كثيرة يجب ان اشرحها لك . ولكن غداً . غداً سنتحدّث فيما بيننا . اما اليوم فعملك قد انتهى . وعملي ايضاً . انه نهارٌ غريبٌ أليس كذلك ؟ لماذا لا تعلّقان صوراً على الجدران فتبدو أقل عرياً ؟ هناك كثير

منها في العليّة . وبأمكان سليك ان ينزلها لكما .

جسيكا : اي نوعٍ من الصور هي ؟

هودرر : على اختلاف الانواع . بوسعك ان تختاري .

جسيكا : أشكرك . انني لست حريصة على الصور .

هودرر : كما تشائين . اليس عندكما شيء من الشراب ؟

جسيكا : كلا . انا آسفة .

هودرر : فليكن ! فليكن ! ماذا كنتما تفعلان قبل مجيئي ؟

جسيكا : كنا نتحدّث .

هودرر : إذن تحدثا ! لا تهتما بي (يحشو غليونه ويشعله . صمت ثقيل . يبتسم) أجل ، طبعاً .

جسيكا : ليس من السهل ان نتخيل أنك لست هنا .

هودرر : يمكنكما أن تضعاني خارج الباب (لهوغو) لست مجبراً على استقبال معلمك حين تنازع نفسه اهواء غريبة . (هنيهة) لست ادري لماذا أتيت. لم اكن ارغب في النوم ، وقد حاولت ان اعمل ... (هازاً كتفيه) لا يمكن للمرء ان يعمل طوال الوقت .

جسيكا : لا .

هودرر : ستنتهي تلك القضية ...

هوغو : (بحيوية) اية قضية ؟

هودرر : القضية مع كارسكي . انه يقاوم قليلاً ، ولكن الأمر سينتهي بأسرع مما كنت أظن .

هوغو (بعنف) إنك ...

هودرر : صه . غداً ! غداً ! (هنيهة) حين يقارب عملٌ ما نهايته يحسّ المرء كأنه لا عمل له . كانت غرفتكما مضاءة منذ حين .

جسيكا : نعم .

هودرر : لقد وقفت إزاء النافذة ، في الظلام ، حتى لا اجعل من نفسي

هدفاً . أرأيتما الى الليل كم هو حالك وهادىء ؟ كان النور يتسرب عبر مصاريع نوافذكما (منبهة) لقد كنا من الموت على خطوة واحدة .

جسيكا : نعم .

هودرر : (بضحكة خفيفة) على خطوة واحدة (منبهة) لقد خرجت من غرفتي على مهل . كان سليك نائماً في الرواق . وجورج كان نائماً في الصالة . وليون كان نائماً في الدهليز . وكان بودّي ان أوقظه ثم ... (منبهة) وها أنذا : لقد أتيت . (لجسيكا) ما بك ؟ كنت تبدين أقلّ خجلا بعد ظهر اليوم .

جسيكا : بسبب المظهر الذي تبدو انت عليه الآن .

هودرر : اي مظهر ؟

جسيكا : كنت اعتقد أنك لم تكن بحاجة الى احد .

هودرر : لست بحاجة الى أحد . (منبهة) لقد قال لي سليك انك حامل ؟

جسيكا : (بحيوية) هذا غير صحيح .

هودرر : لِمَ يا جسيكا ، اذا اخبرت سليك بهذا ، فلماذا تخفينه عن هودرر؟

جسيكا : لقد سخرت من سليك .

هودرر : (ينظر اليها طويلا) حسناً (منبهة) حين كنت نائباً في اللاندستاغ ، كنت اقطن عند صاحب مرأب . وفي المساء كنت آتي لأدخن غليوني في غرفة طعامهم . كان هناك راديو . وكان الاولاد يلعبون ... (منبهة) هيّا ، انا ذاهب للنوم . كل ذلك كان سراباً .

جسيكا : ما الذي كان سراباً ؟

هودرر : (بحركة) كل هذا . وانتم ايضاً . علينا ان نعمل ، هذا كل ما نستطيع . عليك ان تخابر النجّار في القرية ، ليأتي فيصلح نافذة المكتب . (ينظر اليه) إنك تبدو متعباً . يظهر انك ثملت ؟ نم ، هذه الليلة . لا حاجة بك لأن تأتي قبل الساعة التاسعة .

(يقف . يمشي هوغو خطوة . ترمي جسيكا بنفسها بينهما)

جسيكا : هوغو ! هذه هي اللحظة .

هوغو : ماذا ؟

جسيكا : لقد وعدتني بأن تقنعه .

هودرر : بأن يقنعني ؟

هوغو : اسكتي . (يحاول ان يبعدها. تنتصب امامه)

جسيكا : انه ليس على اتفاق معك .

هودرر : (عابثا) لقد لاحظت ذلك .

جسيكا : يودّ ان يشرح لك .

هودرر : غداً ! غداً !

جسيكا : غداً ، سيكون قد فات الاوان .

هودرر : لماذا ؟

جسيكا : (ما تزال أمام هوغو) انه .. يقول انه لا يريد بعدُ أن يعمل معك كأمين سر اذا لم تستمع اليه . ان أحداً منكما لا يرغب في النوم وأمامكما الليل بطوله . ولقد جابهتما الموت ، واحسب ان هذا يميل بكما الا الاتفاق .

هوغو : دعيك من هذا ، قلت لك .

جسيكا : هوغو ، لقد وعدتني ! (لهودرر) يقول انك اشتراكي خائن .

هودرر : اشتراكي خائن ! ليس الا هذا !

جسيكا : « موضوعياً » . لقد قال : « موضوعياً » .

هودرر : (مغيراً لهجته ، وتعبير وجهه) حسناً . اذن ، قل لي يا صديقي ما الذي تكتمه في صدرك ما دمنا لا نستطيع ان نمنع ذلك . ينبغي ان انهي هذه القضية قبل ان اذهب للنوم . لماذا أنا خائن ؟

هوغو : لانه ليس من حقك ان تجرّ الحزب في مؤامراتك .

هودرر : ولم لا ؟

هوغو : انه منظمة ثوريّة ، وانت ستجعل منه حزب حكومة .

هودرر : إنما جُعلت الاحزاب الثورية لتتولى الحكم .

هوغو : لتتولاه ، أجل لتستحوذ عليه بقوة السلاح . لا لتشتريه بالمنافع

المريبة .

هودرر : أهو الدم الذي تأسف عليه ؟ ان ذلك ليؤسفني . ولكن ينبغي ان تعلم اننا لا نستطيع ان نفرض انفسنا بالقوّة . ففي حالة حرب اهلية ، يكون في حيازة « البانتاغون » السلاح والقادة العسكريون ، وبذلك يشكل اطاراً للجيوش المقاومة للثورة .

هوغو : ومن ذا الذي يتكلم عن الحرب الاهلية ؟ اسمع يا هودرر ، انني لا أفهم عنك ؛ قليل من الصبر يكفي، ولقد قلتها انت نفسك : ان الجيش الاحمر سيطرد الوصي على العرش ، وعندها سيكون الحكم لنا وحدنا .

هودرر : وكيف ينبغي لنا ان نعمل لنحتفظ به ؟ (هنيهة) انني اؤكد لك ان أمامنا لحظات قاسية علينا ان نمر بها ، عندما يجتاز الجيش الاحمر حدودنا .

هوغو : الجيش الأحمر .

هودرر : اجل ، اجل . اعرف ما تعني . وانا ايضاً ، انتظره وبنفاد صبر. ولكن ينبغي ان تقول لنفسك : ان جميع الجيوش تتشابه في حالة الحرب ، سواء كانت محرّرة ام انها تعيش على نفقة البلاد المحتلة. وسيحتقر فلاحونا الروس ، هذا امر محتوم ، فكيف تريدهم ان يحبونا ، نحن الذين فرضهم الروس فرضاً ؟ سوف يدعوننا حزب الاجنبي ، أوأسوأ من ذلك. وهكذا ينتقل « البانتاغون» الى المقاومة السّرية ، ولن يرى نفسه بحاجة حتى الى تبديل شعاراته .

هوغو : « البانتاغون » ، اني . . .

هودرر : ثم إن هناك شيئاً آخر : إن البلاد مهدّمة ، وربما اصبحت ميداناً للقتال، واياً كانت الحكومة التي ستخلف حكومة الوصي، فان عليها ان تتخذ اجراءات فظيعة تعود عليها بالاحتقار . وفي اليوم الذي يلي رحيل الجيش الاحمر ، سوف تكتسحنا فتنة شعبية .

هوغو : أمّا الفتنة فيمكن أن تحطّم ، وسنقيم نظاماً حديدياً .

هودرر : نظامٌ حديدي ؟ باية وسيلة ؟ وحتى بعد « الثورة » فان الطبقة

العاملة ستبقى اضعف الطبقات والى مدة طويلة . نظام حديدي ! إزاء حزب برجوازي يقوم بالتخريب ، وسكان فلاحين يحرقون محاصيلهم لتجويعنا ؟

هوغو : وبعد ذلك ؟ لقد عرف الحزب البلشفي حوادث مماثلة عام ١٧ .

هودرر : ولكنه لم يُفرض من قبل الاجنبي . والآن اسمع ، ايها الصغير ، وحاول ان تفهم ، سنتسلم الحكم مع احرار كارسكي ومحافظي الوصيّ . فلا مؤامرات ولا معارك ، وانما الاتحاد الوطني . ولا يستطيع احد ان يتهمنا باننا فُرضنا من الاجنبي . لقد طالبت بنصف الاصوات في «هيئة المقاومة» ، ولكنني لن ارتكب حماقة المطالبة بنصف الحقائب الوزارية . أقليّة ، هذا ما علينا ان نكونه . أقليّة تترك للأحزاب الاخرى مسؤولية الاجراءات غير الشعبية ، وتكسب الشعبية وهي تعارض داخل الحكومة . وبذلك يضيّق عليهم الخناق حتى اذا مضى عامان رأيت افلاس السياسة الحرّة واذ ذاك ستطلب الينا البلاد باسرها ان نقوم بتجربتنا .

هوغو : وفي تلك اللحظة يكون الحزب قد انهار .

هودرر : ينهار ؟ لماذا ؟

هوغو : ان الحزب ذو منهاج : هو تحقيق اقتصاد اشتراكي ، ووسيلة : هي استخدام نضال الطبقات . اما انت فتستغله لاقامة سياسة تعاون بين الطبقات في اطار اقتصاد رأسمالي . وهكذا ستكذب خلال سنوات ، ستحتال ، ستصطنع طبع الذئاب ، ستنتقل من مساومة الى مساومة ؛ وسوف تدافع امام رفاقنا عن اجراءات رجعية اتخذت من قبل حكومة تشترك أنت فيها . إن أحداً لن يفهم : أما الاشداء فسيتخلون عنّا ، وأما الآخرون فسيفقدون الثقافة السياسية التي حصلوا عليها . ولسوف نُعدى ونرتخي ونضل الطريق ؛ ولسوف نصبح اصلاحيين وقوميين ؛ ولن يبقى للأحزاب البورجوازية ، إلا أمر تصفيتنا . هودرر ! إن هذا الحزب حزبك ، ولا يمكنك ان تنسى المشاق التي عانيتها في سبيل خلقه ، ولا التضحيات التي كان لا بدّ من بذلها ، ولا النظام الذي وجب فرضه . أرجوك : لا تضحّ به بيديك الاثنتين .

هودرر : يا لهذه الثرثرة ! إن كنت لا تريد أن تجازف ، فينبغي أن لا تتعاطى السياسة .

هوغو : لا أريد ان أتحمل هذه المجازفات بالذات .

هودرر : حسناً ، إذن كيف لنا أن نحتفظ بالحكم ؟

هوغو : ولماذا نتسلمه ؟

هودرر : هل انت مجنون ؟ ان جيشاً اشتراكياً سيحتل البلاد، وستدعه يغادرها من غير ان تفيد من معونته ؟ إنها فرصة لن تسنح بعد ابداً : أقول لك اننا لسنا من القوة بحيث نقوم وحدنا بالثورة .

هوغو : ينبغي ألا تشتري الحكم بهذا الثمن .

هودرر : ماذا تريد ان تجعل من الحزب ؟ اصطبلاً لجياد السباق ؟ وماذا يفيدنا ان نشحذ سكيناً كلّ يوم ان لم نستعملها أبداً للقطع ؟ ان حزباً ما ليس ابداً إلا وسيلة . وليس هناك إلا هدف واحد : الحكم .

هوغو : بل ليس هناك الا هدف واحد : هو ان نحقق الفوز لمبادئنا ، جميع مبادئنا ، وليس إلاها .

هودرر : صحيح : إنك انت من حملة المبادىء . ولكنك ستبرأ منها .

هوغو : اتظن انني الوحيد الذي يحمل مبادىء ؟ أليس من أجل المبادىء قضى اصدقاؤنا، اولئك الذين قتلتهم شرطة الوصي؟ أتعتقد أننا لن نخونهم ، اذا استخدمنا الحزب لنفرج عن قاتليهم ؟

هودرر : انني لا آبه للموتى ، فقد ماتوا في سبيل الحزب ! وبوسع الحزب ان يقرّر ما يشاء . إنما انا اسلك سياسة الاحياء ومن اجل الاحياء .

هوغو : أوتحسب ان الاحياء سيقبلون مؤامراتك ؟

هودرر : سنجرعهم إياها رويداً رويداً .

هوغو : بالكذب عليهم ؟

هودرر : بالكذب عليهم أحياناً .

هوغو : انت .. انت تبدو على غاية الصدق والصلابة ، ومن غير الممكن

ان تقبل الكذب على الرفاق .

هودرر : لماذا ؟ إننا في حالة حرب ، وليس من العادة ان نجعل الجندي يقف ساعة إثر ساعة على مجرى العمليات .

هوغو : هودرر ، انني اعلم اكثر منك ما هو الكذب ، وقد كان الجميع في كنف والدي ، يكذبون فيما بينهم ، وكانوا يكذبون عليّ . وانا لا اتنفس الا منذ دخلت الحزب . وللمرّة الاولى رأيت رجالاً لا يكذبون على الآخرين ، فأن كلا منهم يستطيع ان يثق بالجميع ، والجميع يستطيعون ان يثقوا بكلّ منهم ، وان اكثر المناضلين فتوراً يشعر بأن أوامر القادة تكشف له عن ارادته العميقة ، حتى اذا ما جابه مهمة عسيرة كان يعرف لماذا يقتبل الموت . انك لن ...

هودرر : ولكن عمّ تتكلّم ؟

هوغو : عن حزبنا .

هودرر : عن حزبنا ؟ ولكننا لم نوفّر عليه الكذب دائماً ، كما هو الشأن في كل مكان . وأنت يا هوغو ، هل انت واثق من انك لم تكذب على نفسك يوماً ، وانك لم تكذب يوماً ما ، وأنك لا تكذب في هذه الدقيقة بالذات ؟

هوغو : انا لم اكذب يوماً على الرفاق . انا ... ما جدوى النضال من أجل تحرير البشر ، اذا بلغ ازدراؤنا اياهم بحيث نحشو رؤوسهم بالنفاق ؟

هودرر : سوف اكذب كلما اقتضى الأمر ذلك ! وانا لا احتقر أحداً . والكذب ، لست أنا الذي اخترعته : فقد ولد في مجتمع مقسم الى طبقات ، ولقد ورثه كل واحد منّا وهو يولد . ونحن لن نقضي على الكذب ، بمجرّد رفضنا أن نكذب، بل باستخدام جميع الوسائل لالغاء الطبقات .

هوغو : ليست الوسائل جميعها صالحة .

هودرر : بل ان جميع الوسائل صالحة حين تكون ناجعة .

هوغو : إذا كان الامر كذلك فبأي حق تشجبون سياسة الوصي ؟ لقد أعلن الحرب على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية لأنها كانت انجع وسيلة

للحفاظ على الاستقلال القومي .

هودرر : وهل تتصور انني أشجبها ؟ لقد فعل ما يفعله أي فرد من طغمته لو كان محله . إننا لا نناضل ضد رجال معينين ، أو ضد سياسة مـــا ، بل ضد الطبقة التي تنتج هذه السياسة وهؤلاء الرجال .

هوغو : وقد كانت خير وسيلة وجدتموها للنضال ضد هذه الطبقة ، هي ان تمنحوها اقتسام الحكم معكم ، اليس كذلك ؟

هودرر : تماماً. إنها اليوم خير وسيلة. (هنيهة) ما اشد حرصك على طهارتك يا صغيري ! ومـــا اشد خوفك من ان تقذّر يديك . حسناً ، ابق طاهراً اذا شئت ! من ذا الذي يفيد من ذلك؟ ولمَ تراك جئت الينا ؟ ان الطهارة هي فكرة الدراويش والرهبان . اما انتم معشر المثقفين ، والفوضويين البورجوازيين ، فانما تتذرعون بها حتى لا تؤدوا عملاً ما . لا تفعلون شيئاً ، تبقون بلا حراك، تظلون هكذا مكتوفي اليدين ، ترتدون القفازات . أمّا أنا ، فان يديّ قذرتان ، حتى المرفقين . لقد غمستها بالغائط وبالدم . أتتخيل بعد ذلك أنـه بالإمكان ممارسة الحكم بصورة بريئة ؟

هوغو : لعل الناس يتبينون يوماً ، انني لا أخاف الدم .

هودرر : حقاً : قفازات حمراء ؛ يا للأناقة ! ما يخيفك انمـا هو الباقي . ان هذا هو الذي يفعم انفك الأرستوقراطي الصغير برائحة النتن .

هوغو : ها نحن قد عدنا الى النغمة نفسها : انني أرستقراطي ، شخص مـا عرف الجوع ابداً ! ولسوء حظك ، فانا لست الوحيد الذي يري هذا الرأي .

هودرر : لست الوحيد ؟ لقد كنت تعرف اذن شيئاً عن مفاوضاتي قبـل مجيئك الى هنا ؟

هوغو : كـ ... كلا . لقد تحدثنا عن ذلك بشكل عـارض في الحزب ولم يكن معظم الأعضاء على وفاق معك . وباستطاعتي ان اقسم لك انهم لم يكونوا أرستقراطيين .

هودرر : ان هناك سوء تفاهم يا صغيري : إنني أعرفهم ، رفاقنا في الحزب

اولئك الذين ليسوا على وفـــاق معي في السياسة . وانا استطيع ان أقول لك انهم من طينتي ، وليسوا من طينتك ، ولن تلبث طويـلاً حتى تكتشف ذلك . وان هم استنكروا هذه المفاوضات ، فلأنهم يرونها في غير وقتها ، ولو كانوا في غير هذه الظروف اذن لكانوا أول من يباشرها . أما انت ، فأنك تجعـل منها قضية مبادىء .

هوغو : من ذا الذي تكلم عن المبادىء ؟

هودرر : الا تجعل منها قضيه مبادىء ؟ حسناً . إذن فهذا هو الذي ينبغي ان يقنعك : اذا نحن تعاونّا مع الوصي ، فإنه يوقف الحرب ؛ وان الجيوش الايليرية تنتظر طائعة أن يـأتي الروس فيجردوها من سلاحها ؛ أمّا اذا قطعنا المباحثات ، فهو مدركٌ أنه ضائع وسوف يقاتل ككلب مهتاج ؛ وسيفقد مئات الألوف من البشر حياتهم في تلك المعارك . ما تقول في ذلك ؟ (صمت) هيه ؟ ما تقول في ذلك ؟ أتستطيع ان تمحو مئة الف رجل بجرّة قلم ؟

هوغو : (بجهد) إن الثورة لا تنهض على الزهور . فـاذا وجب عليهم البقاء فيها . . .

هودرر : اذن ؟

هوغو : إذن فليموتوا !

هودرر : أترى ! أترى جيداً كيف انك لا تحبّ البشر يا هوغو ؟ انك لا تحب الا المبادىء .

هوغو : البشر ؟ لماذا تريد ان احبّهم ؟ أتراهم هم يحبونني ؟

هودرر : إذن لماذا اتيت الينا ؟ اذا لم نحب البشر ، فاننا لا نستطيع ان نناضل من اجلهم .

هوغو : لقد انتسبت الى الحزب لان قضيته عادلة ، وسأخرج منه اذا مـا كفّت قضيته عن ان تكون عادلة . اما البشر، فان الذي يهمني ليس ما هم عليه وانما ما قد يصبحون .

هودرر : اما انا ، فانني أحبّهم لما هم عليه . احبهم بكل مـا هم فيه من

قـذارة وعيوب . احب اصواتهم وايديهم الحارّة التي تصافح ، وجلدهم اعرى الجلود ، ونظرتهم الحائرة ، ونضالهم اليائس الذي يسوقونه كلّ بدوره ، ضد الموت وضد القلق . ان رجلاً واحداً ينقص من هذا العالم او يزيد فيه ، له وزنه في نظري . انه ثمين . اما انت يا صغيري فاني اعرفك حق المعرفة ؛ انك لهدّام. انت تزدري البشر لأنـــك تزدري نفسك ؛ ان طهارتك تشبه الموت ، والثورة التي تحلم بها ليست ثورتنا : انك لا تريد أن تغيّر العالم ، بل تريد ان تنسفه .

هوغو : (ينهض) هودرر !

هودرر : ليس الذنب ذنبك : انكم جميعاً متشابهون . ان المثقف ليس ثورياً حقيقياً ؛ انه لا يصلح الاّ ليكون قاتلاً .

هوغو : قاتل . اجل !

جسيكا : هوغو !

(تقف بينهما . صرير مفتاح في القفل . يفتح الباب فيدخل جورج وسليك) .

المشهد الرابع

المثلون انفسهم ، سليك وجورج

جورج : هذا انت ؟ كنا نبحث عنك في كل مكان .

هوغو : من أعطاكم مفتاحي ؟

سليك : ان معنا مفاتيح الابواب جميعها . ألسنا من الحرس ؟

جورج : (لهودرر) لقد أخفتنا كثيراً . لقد استيقظ سليك فلم يجد هودرر. ان عليك ان تخبرنا حين تخرج لاستنشاق الهواء الطلق .

هودرر : لقد كنتما نائمين ...

سليك : (مبهوتاً) واذن ؟ متى حدث ان تركتنا نائمين ، حين تكون لـــك

رغبة بايقاظنا ؟

هودرر : (ضاحكاً) حقاً ، ما الذي انتابني ؟ (منبهة) انني عائدٌ معكمـــا . الى الغد يا صغيري . الى الساعة التاسعة . سنتحدث عن كل هــــذا مرة اخرى

(هوغو لا يجيب) الى اللقاء يا جسيكا .

جسيكا : الى الغد ، يا هودرر . (يخرجون) .

المشهد الخامس

جسيكا ، هوغو

(صمت طويل)

جسيكا : اذن ؟

هوغو : لقد كنت ههنا وسمعت .

جسيكا : ما هو رأيك ؟

هوغو ، ماذا تريدين أن يكون رأيي ؟ لقد قلت لك انه صينيّ !

جسيكا : لقد كان على حق يا هوغو .

هوغو : يا مسكينتي جسيكا ! كيف يمكنك ان تدركي ذلك ؟

جسيكا : وأنت ما يدريك من ذلك ؟ لم تخض معه جدالاً مفحماً .

هوغو : حقاً ! لقد كان النقاش في صالحه . وقد كنت اودّ ان يتطارح مع لويس ؛ اذن لما استطاع ان ينجو منه بهذه السهولة .

جسيكا : من يدري ؟ بل لعله كان يضعه في جيبه .

هوغو : (ضاحكاً) ها ! لويس؟ انك لا تعرفينه ؛ فهو لا يمكن انيخطىء.

جسيكا : ولماذا ؟

هوغو : لأنه ... لأنه لويس .

جسيكا : هوغو ! انك تتكلم خلافاً لما في قلبك . لقد نظرت اليك بينما كنت تناقش هودرر . لقد اقنعك .

هوغو : لم يقنعني . ولا احد يستطيع ان يقنعني بأنّ من الواجب الكذب على الرفاق . ولكن لو كان اقنعني ، اذن لتوفرت حجة اخرى بضرورة صرعه، لان هذا يبرهن ان بامكانه ان يقنع آخرين . غداً صباحاً سأنجز العمل .

(ستار)

الفصل السادس

مكتب هودرر

(مقبضا النافذة المنزوعان ، وقد اسندا الى الجدار . شظايا الزجاج قد كنست . النافذة قد اخفيت بغطاء يتدلى حتى الارض ، وثبت بدبابيس .)

المشهد الاول

هودرر ثم جسيكا

(في مقدم المسرح ، هودرر واقفاً امام الموقد يعد القهوة وهو يدخن الغليون . يقرع الباب ويمد سليك رأسه من فتحته .)

سليك : هناك الصغيرة تريد ان تراك .

هودرر : كلاّ .

سليك : تقول انها مسألة هامة جدّاً .

هودرر : حسناً . فلتدخل . (تدخل جسيكا ويختفي سليك) ماذا ؟ (تسكت) اقتربي . (تبقى امام الباب وشعرها متناثر على وجهها . يمشي نحوها) احسب ان لديك ما تقولينه ؟ (تومىء برأسها ايجاباً) إذن قوليه واذهبي .

جسيكا : انك دوماً على عجل ..

هودرر : انني أعمل .

جسيكا : لم تكن تعمل ، بل كنت تعدّ القهوة . هل استطيع ان احصل على فنجان ؟

هودرر : نعم . (منيهة) وإذن ؟

جسيكا : لا بدّ من ان تدع لي قليلاً من الزمن . إن من الصعوبة بمكان أن احدثك . إنك تنتظر هوغو وهو لم يبدأ بعد بالحلاقة .

هودرر : حسناً . امامك خمس دقائق لتستعيدي هدوءك . وهذه هي قهوتك .

جسيكا : حدثني .

هودرر : هيه ؟

جسيكا : لكي استعيد هدوئي . حدثني .

هودرر : ليس لديّ ما أقوله لك ولا أحسن الحديث الى النساء .

جسيكا : بلى . تحسنه جيداً .

هودرر : آه ؟ (منيهة) .

جسيكا : مساء امس ...

هودرر : ماذا ؟

جسيكا : لقد وجدت أنك انت الذي كنت على حقّ .

هودرر : على حق ؟ آه ! (منيهة) اشكرك فانت تشجعينني .

جسيكا : إنك تهزأ مني .

هودرر : نعم . (منيهة)

جسيكا : ما تفعلون بي اذا انتسبت الى الحزب ؟

هودرر : ليُسمح لكِ اولاً بالانتساب اليه !

جسيكا : ولكن اذا سمح لي بان انتسب اليه ، فماذا تراكم فاعلين بي ؟

هودرر : هذا ما اتساءل عنه . (منيهة) أهذا ما أتيت لكي تقوليه لي ؟

جسيكا : كلاّ .

هودرر : إذن ؟ ماذا هناك ؟ هل تخاصمت مع هوغو وتريدين الرحيل ؟

جسيكا : لا ، هل يزعجك ان ارحل ؟

هودرر : بل يسعدني . فان بوسعي ان اعمل بهدوء .

جسيكا : انك لا تعني ما تقول .

هودرر : اتظنين ؟

جسيكا : نعم . (منيهة) حين دخلت علينا مساء امس ، كنت تبدو متوحّداً .

هودرر : وما معنى ذلك ؟

جسيكا : جميل هو الرجل اذ يكون وحيداً .

هودرر : جميل جداً ، حتى تساورنا الرغبة حالاً لمرافقته . وسرعان ما يكفّ عن ان يكون وحيداً : ان العالم قد أُسيء صنعه !

جسيكا : اوه ! انك تستطيع معي ان تبقى وحيداً تماماً . فانا لست مربكة .

هودرر : معك ؟

جسيكا : هذا اسلوب في الكلام . (منيهة) هل كنت متزوجاً ؟

هودرر : نعم .

جسيكا : امرأة من الحزب ؟

هودرر : لا .

جسيكا : كنت تقول انه ينبغي الزواج دائماً بنساء منتسبات للحزب .

هودرر : تماماً .

جسيكا : هل كانت جميلة ؟

هودرر : كان ذلك يختلف حسب الايام والآراء .

جسيكا : وانا ، هل تجدني جميلة ؟

هودرر : هل تسخرين مني ؟

جسيكا : (ضاحكة) نعم .

هودرر : لقد مرت الدقائق الخمس فتكلمي او فاذهبي .

جسيكا : انك لن تُلحق به أذى ما .

هودرر : من تعنين ؟

جسيكا : هوغو ! انك تشعر له بالصداقة، أليس كذلك ؟

هودرر : آه ! لا محلّ للعواطف . انه يريد ان يقتلني أليس كذلك ؟ اهذه هي قصتك ؟

جسيكا : لا تؤذه .

هودرر : ولكن لا ، لن امسه بسوء .

جسيكا : اكنت ... اكنت تعلم ذلك ؟

هودرر : منذ امس . بمَ يريد أن يقتلني ؟

جسيكا : كيف ؟

هودرر : بأيّ سلاح ؟ بقنبلة ، ام بمسدّس ، ام بفأس حادّة ام بسيف ، ام بسمّ ؟

جسيكا : بمسدس .

هودرر : هذا ما افضّله .

جسيكا : حين يأتي هذا الصباح ، سيكون حاملاً مسدسه .

هودرر : حسناً ، حسناً ، حسناً . لماذا تخونينه ؟ هل انت ساخطة عليه ؟

جسيكا : كلا . ولكن ...

هودرر : ماذا ؟

جسيكا : لقد طلب اليّ مساعدته .

هودرر : وبهذه الطريقة تساعدينه ؟ إنك لتدهشينني .

جسيكا : انه غير راغب بقتلك . على الاطلاق . انه يحبّك حباً بالغاً . غير ان لديه اوامر . وانا على يقين من أنه سيكون مسروراً في صميم فؤاده ، اذا ما حيل بينه وبين تنفيذها ، ولكنه لن يبوح بذلك .

هودرر : هذا ما سنراه .

جسيكا : ما الذي ستفعله ؟

هودرر : لست أدري بعدُ .

جسيكا : جرّده من سلاحه برفق بواسطة سليك . ليس لديه الا مسدس . فاذا ما أخذ منه ، انتهى الامر .

هودرر : كلا . ان هذا ليذلّه . وينبغي الاّ نذلّ الناس . انني سوف اكلّمه .

جسيكا : ستدعه يدخل بسلاحه ؟

هودرر : ولِمَ لا ؟ اريد أن أقنعه . ان هناك خمس دقائق اجازف فيها بحياتي ، لا اكثر . فاذا لم يقم بعمله هذا الصباح ، فلن يقوم به ابداً .

جسيكا : (فجأة) انا لا اريد ان يقتلك .

هودرر : أيسيئك ان أُقتل ؟

جسيكا : أنا ؟ بل ان ذلك ليسعدني !

(يطرق الباب)

سليك : هذا هوغو .

هودرر : لحظة . (يغلق سليك الباب من جديد) أُهربي من النافذة .

جسيكا : لا أريد أن اتركك .

هودرر : اذا بقيت هنا ، فإن من المؤكد أن يطلق النار . انه لا يسعه أن يتراجع بحضورك . اذهبي هيّا (تخرج من النافذة ويسدل الستار عليها) أدخلوه .

المشهد الثاني

هوغو ، هودرر

(يدخل هوغو . يمشي هودرر حتى الباب ويرافق هوغو بعد ذلك حتى الطاولة، يظل قريباً منه ، مراقباً حركاته وهو يحدثه ومستعداً للقبض على معصم هوغو ، اذا ما اراد ان يأخذ مسدسه) .

هودرر : إذن ؟ هل نمت جيداً ؟

هوغو : بين بين .

هودرر : هل انت تعب ؟

هوغو : بشكل فظيع .

هودرر : هل انت مصمّم حقاً ؟

هوغو : (منتفضاً) مصمّم علامَ ؟

هودرر : لقد قلت لي امس أنك ستتركني اذا لم تفلح في تحويلي عن رأيي .

هوغو : انني ما أزال على تصميمي

هودرر : حسناً . سنرى ذلك عمّا قليل ، وبانتظار هذا فلنعمل . اجلس . (يجلس هوغو الى طاولة عمله) الى اين وصلنا ؟

هوغو : (قارئاً أوراقه) استناداً الى ارقام الاحصاء المهني هبط عدد العمال الزراعيين من ثمانية ملايين وسبعمئة وواحد وسبعين الفاً في سنة ١٩٠٦ الى ...

هودرر : قل لي : أتعلم ان الذي رمى المفرقعة امرأة ؟

هوغو : امرأة ؟

هودرر : لقد لاحظ سليك أثرها في حاشية الحديقة . هل تعرفها ؟

هوغو : وكيف لي ان أعرفها ؟

(صمت)

هودرر : اليس هذا غريباً ؟

هوغو : جداً .

هودرر : يبدو انك لا ترى ذلك غريباً . ما بك ؟

هوغو : انني مريض .

هودرر : اترغب في ان اعفيك من العمل قبل الظهر ؟

هوغو : كلا . فلنعمل .

هودرر : اعد اذاً هذه الجملة . (يعود هوغو الى اوراقه ويقرأ من جديد)

هوغو . « استناداً الى أرقام الاحصاء ... » (يبدأ هودرر بالضحك يرفع هوغو رأسه فجأة)

هودرر : هل تدري لماذا أخطأتنا ! أراهن انها رمت المفرقعة وهي مغمضة العينين .

هوغو : (بشرود) لماذا ؟

هودرر : بسبب الضجيج . انهن يغمضن أعينهن حتى لا يسمعن . فسّر هذا كما تستطيع . انهن يخفن الضجيج جميعاً . هذه الفئران . ولولا ذلك لأصبحن قاتلات ماهرات . إنهن يعتمدن على الآخرين ، أفاهم انت ؟ يتلقين الافكار مصنوعة ناجزة ، فيؤمنّ بها ايمانهن بالله تماماً . أما نحن فأقل يسراً علينا ان نطلق الرصاص على رجل ما من اجل مبادىء ، ذلك لاننا نحن الذي نصنع الافكار ونعرف كيف طبخت : فلسنا على يقين ابداً أننا محقّون كل الحق . هل انت على يقين من انك محق انت ؟

هوغو : على يقين .

هودرر : أياً ما كان ، فليس يمكنك أن تصبح قاتلاً . انها قضية ميل طبيعي .

هوغو : ان أياً منا يستطيع ان يقتل اذا أمره الحزب .

هودرر : اذا أمرك الحزب بان ترقص على حبل مشدود ، فهل تعتقد ان باستطاعتك القيام بذلك ؟ انما المرء قاتل بالولادة . أمّا انت ، فانك تفكر اكثر مما ينبغي : انك لا تستطيع .

هوغو : أستطيع لو عزمت على ذلك .

هودرر : أتستطيع ان تعدمني الحياة باطلاقك ببرودة رصاصة بين عيني لأنني لست من رأيك في السياسة ؟

هوغو : نعم ، اذا عزمت على ذلك او اذا أمرني الحزب به .

هودرر : انك تدهشني . (يحاول هوغو أن يدخل يده في جيبه ولكن هودرر يقبض عليها ويرفعها بهدوء الى ما فوق الطاولة) افرض ان هذه اليد تمسك بمسدس ، وان هذا الاصبع موضوع على الزناد ..

هوغو : اترك يدي .

هودرر : (من غير ان يتركه) افرض أنني امامك تماماً كما أنا الآن ، وانـك تسدّد اليّ ..

هوغو : دعني ولنعمل .

هودرر : تنظر اليّ وفي اللحظة التي تعزم فيها على الاطلاق تفكر : « واذ كان الحق في جانبه هو ؟ » أتدرك ذلك ؟

هوغو : لن افكر في ذلك . انني لن افكر في شيء إلا في القتل .

هودرر : بل ستفكر في ذلك : لا بدّ للمثقف من التفكير . فقبـل ان تضغط الزناد فستكون قد رأيت جميع العواقب المحتملة لعملك : انهيار جهد حياة برمته ، وسياسة مطروحة في الارض ، وليس ثمة احد يمكنه ان يخلفني ، وقد يحكم على الحزب نهائياً بألا يتسلم الحكم ..

هوغو : أقول لك بأنني لن أفكر في ذلك !

هودرر : لن تستطيع الامتناع عن ذلك . وهذا أفضل لأنك ان لم تفكر في ذلك قبل ، وانت ما انت عليه ، فلن تكفيك حياتك برمتها لان تفكر فيه بعد ، (هنيهة) ما الذي يعصف بكم جميعاً لتمثلوا دور القتلة ؟ انهـم اشخاص لا خيال لهم . سيّان لديهم ان يهبوا الموت ما داموا خالين من اية فكرة عمّا هـي الحياة . إني اؤثر اولئك الناس الذين يخافون موت الآخرين : فذلك دليل على انهم يعرفون كيف يحيون .

هوغو : انني لم اخلق لأعيش ، ولست اعرف مـا هي الحياة ، وليست بي حاجة لأعرف ذلك . إنما انا شيء فائض عن الحياة ، وليس لي من مكان . وانا ازعج جميع الناس . لا احد يحبني ، ولا احد يثق بي .

هودرر : انا اثق بك ..

هوغو : انت ؟

هودرر : بكل تأكيد . انك طفل صغير يصعب عليه ان ينتقل من الطفولة الى الرجولة، ولكنك ستصبح رجلاً ذا قيمة اذا ما سهّل احد لك هذا الانتقال. فاذا نجوت من مفرقعاتهم ، فسأحتفظ بك الى جانبي وسأعينك .

هوغو : لماذا تقول ذلك لي ؟ لماذا تقوله لي اليوم ؟

هودرر : (تاركاً إياه) لأبرهن لك فقط أنه لا يمكن للمرء أن يستهدف رجلاً ببرودة الا اذا كان من الاختصائيين .

هوغو : اذا صممت على ذلك ، فينبغي ان استطيع القيام بـه (كما لو أنه يكلم نفسه بشيء من اليأس) ينبغي ان **استطيع** القيام به .

هودرر : أيمكنك أن تقتلني بينما أنا انظر اليك ؟ (يتبادلان النظر. يبتعد هودرر عن الطاولة ويتراجع خطوة) إن ما يجول في الرؤوس لا يخطر لحظة واحـدة في بال القتلة الحقيقيين . وانت تعرف ذلك : هل تستطيع أن تحتمل مـا قد يجول في رأسي ، اذا رأيتك تصوب اليّ ؟ (هنيهة يستمر في النظر) أتريـد قهوة ؟ (هوغو لا يجيب) انهـا معدّة ! سأعطيك منها فنجاناً . (يولي هوغو ظهره ويصب القهوة في فنجان . ينهض هوغو ويضع يده في الجيب التي تحتوي المسدس . يبدو انه يصارع نفسه . وبعد هنيهة ينفتل هودرر ويعود على مهل نحو هوغو وهو يحمل فنجاناً ممتلئاً بيده لـه) خـذ . (يأخذ هوغو الفنجان) والآن اعطني مسدّسك . هيّا هاته : انك ترى جيداً انني أتحت لك فرصتك وانك لم تغتنمها . (يدخل يده في جيب هوغو ويخرجها مع المسدس) ولكنه دمية صغيرة ؟

(يمشي نحو مكتبه ويلقي عليه المسدس)

هوغو : اني امقتك (يعود هودرر نحوه) .

هودرر : ولكن لا ، انك لا تمقتني . ولأي سبب تمقتني ؟

هوغو : انك تعتبرني جباناً .

هودرر : لماذا ؟ انك لا تعرف ان تقتل ، ولكن ليس في هـذا دليل على انك لا تعرف ان تموت . بل على العكس .

هوغو : كان اصبعي على الزناد .

هودرر : نعم .

هوغو : ولم ... (حركة عجز)

هودرر : نعم . قلته لك . ان ذلك اقسى مما تتصوّر .

هوغو : كنت اعرف انك اوليتني ظهرك عن عمد . ولهذا السبب لم ...

هودرر : أوه ! على اي حال ...

هوغو : لست خائناً !

هودرر : ومن يكلمك عن هـــذا ؟ وإن الخيانة ايضاً ، هي قضية ميل طبيعي .

هوغو : امّا هم ، فسيعتقدون انني خائن لانني لم اقم بما عهدوا إليّ فيه .

هودرر : من هم ؟ (صمت) ايكون لويس هو الذي اوفدك ؟ (صمت) اراك لا تريد ان تقول شيئاً : هذا امرٌ طبيعي . (هنيهة) اسمع : ان مصيرك مشدود الى مصيري . فمنذ امس حصلت على اوراق رابحة في لعبتي وسأحاول ان انقـــذ جلدينا معاً . انني ذاهبٌ غـــداً الى المدينة لأتحدث مع لويس . انه صلب ، ولكنني مثله انا ايضاً . وإن بالامكان اصلاح الامور مع رفاقك . ولكن اصعب ما في القضية ان تصلح الامر مع نفسك .

هوغو : صعب . بل سأصلحه بسرعة فما عليك الاّ ان تعيد لي المسدس .

هودرر : كلا .

هوغو : وماذا يضيرك إن اطلق رصاصة على نفسي ؟ انني عدوك .

هودرر : إنك أولاً لست عدوّي . ويمكنك بعدُ ان تؤدي خدمات .

هوغو : انت تعرف جيداً ان امري قد انتهى .

هودرر : ما اشدّ ما تبالغ ! لقد شئت ان تبرهن لنفسك انك قـــادر على العمل وقد اخترت الطرق الصعبة : كما يفعل الذين يريدون استحقاق الجنـــة ، هذا طبيعيّ في سنك . انك لم تنجح ! حسناً ، وبعد ذلك ؟ لا شيء هنـــاك يقتضي البرهان ، فالثورة — كما تعلم — ليست قضية استحقاق ولكنهـــا قضية فعالية ناجحة ، وليست هناك جنة ، إن كل ما هنالك عمل ينبغي ان يؤدى وعلى المرء ان يعمل ما هو مهيأ له : فاذا كان سهلاً فنعمّا هو . ليس خير الأعمال ما يكلفك اكثر وانما خيرها ما تصيب فيه نجاحاً أوفر .

هوغو : لستُ مهيأ لعمل ما .

هودرر : بل انت مهيأ للكتابة .

هوغو : للكتابة ! كلمات ! دائماً كلمات !

هودرر : ولِمَ لا ؟ الربح ضروري . وصحفيّ ناجح خير من قاتل فاشل .

هوغو : (متردداً ولكن بلهجة من ثقة) حين كنت في سني يا هودرر ...

هودرر : ماذا ؟

هوغو : ما الذي كنت تفعله لو كنت في وضعي ؟

هودرر : انا ؟ كنت اطلقت الرصاص . ولكن ذلك ما كان يكون خير ما افعله . ثمّ اننا لسنا من طينة واحدة .

هوغو : وددت لو كنت من طينتك : فـــلا بدّ لمن كان كذلك ان يشعر بالاطمئنان .

هودرر : أتظنّ ؟ (ضحكة مقتضبة) سأحدثك عن نفسي ذات يوم .

هوغو : ذات يوم ؟ (هنيهة) لقد فوّتَّ عليّ الفرصة يا هودرر وانا أعرف الآن انني لن استطيـــع ابداً ان اطلق عليك لأنك .. لأنك أثير عندي . ولكن ينبغي الا ننخدع في ذلك : فانني لن اكون ابداً على وفاق معك في ما ناقشناه مساء امس . انني لن اكون ابداً من انصارك ، ولست أريد ان تدافع عني . لا غداً ولا في ايّ يومٍ آخر .

هودرر : كما تشاء .

هوغو : والآن أستأذنك في ان أغادرك . اني اودّ ان افكر في هذه القصة كلهـــا .

هودرر : اتقسم لي بأنك لن ترتكب اية حماقة قبل ان تراني ثانية ؟

هوغو : اذا شئتَ أقسمت .

هودرر : اذهب ، اذن . اذهب فاستنشق الهواء وعد حالما تستطيـــع، ولا تنسَ انك امين سرّي . ستظل تعمل معي ، مـــا لم تستهدفني بالأذى او لم اسرّحك . (يخرج هوغو)

هودرر : (يتجه الى الباب) سليك .

سليك : ماذا ؟

هودرر : ان الصغير في همّ . راقبوه من بعيد ، واذا لزم الامر امنعوه ان يقذف نفسه في الفضاء . ولكن على مهل . واذا كانت له رغبة في العودة الى هنا بعد قليل ، فلا توقفوه بحجة الاعـلان عن مجيئه . ليذهب وليأت كما يروق له : وحذار خصوصاً من اثارة اعصابه .

(يغلق الباب ، ويعود الى الطاولة التي عليها الموقد ويصب لنفسه فنجاناً من القهوة. جسيكا تزيح الستار الذي يخفي النافذة وتبرز)

المشهد الثالث

جسيكا ، هودرر

هودرر : أهذه أنت ثانية ، السُم ؟ ماذا تريدين ؟

جسيكا : كنت جالسة على حافة النافذة وقد سمعت كل شيء .

هودرر : وبعد ذلك ؟

جسيكا : خفت .

هودرر : لم يكن لك الا ان تذهبي .

جسيكا : لم اكن لأستطيع أن أتركهما .

هودرر : ما كان حضورك لينجدهما كثيراً .

جسيكا : اعرف ذلك . (هنيهة) ربّما كان في وسعي ان أرتمي امامك فأتلقى الرصاص بدلاً عنك .

هودرر : اية بطلة روائية انت ..!

جسيكا : وانت ايضاً .

هودرر : ماذا ؟

جسيكا : انت ايضاً بطل روائي : لقد جازفت بحياتك حتى لا تذله .

هودرر : ينبغي المجازفة بها من وقت الى آخر ، اذا شئنا أن ندرك ثمنها .

جسيكا : لقد كنت تعرض عليه مساعدتك ولم يكن يريد قبولها ، فلم يثبطك هذا وكان يبدو عليك انك تحبّه .

هودرر : وبعد ذلك ؟

جسيكا : لا شيء . هذا ما كان . انه كل شيء . (يتبادلان النظر).

هودرر : اغربي ! (لا تتحرك) أسمعي يا جسيكا ، انني لم اعتد ان أرفض ما يقدّم لي ، وهذه ستة أشهر تمضي من غير ان امسّ امرأة . ما زال في وسعك ان تذهبي ، ولكن بعد خمس دقائق ، يفوت الاوان . أتسمعينني ؟ (لا تتحرك) ليس لهذا الصغير احد سواك في العالم، وانه لجدير به ان يرتكب أسوأ الحماقات. انه بحاجة الى من يردّ له شجاعته .

جسيكا : ان بوسعك انت ان تردّ له شجاعته . لا انا . إننا لا نفعل إلا ان نسيء الى بعضنا .

هودرر : ولكنكما متحابان .

جسيكا : ولا هذا . إننا متشابهان اكثر مما ينبغي . (هنيهة)

هودرر : متى كان ذلك ؟

جسيكا : ماذا ؟

هودرر : (بحركة) كل هذا . كل هذا في رأسك ؟

جسيكا : لا أدري . بالامس على ما اظن ، حين كنت تنظر الي وكان يبدو عليك أنك وحيد .

هودرر : لو علمت ذلك .

جسيكا : أما كنت أتيت ؟

هودرر : انني (ينظر اليها ويهز كتفيه . هنيهة) اذا كانت نفسك تنازعك الى شيء ، فان سليك وليون هناك للترفيه عنك . لِمَ تراك اخترتني ؟

جسيكا : ان نفسي لا تنازعني الى شيء ، ولم أختر احداً . لم تكن في

حاجة للاختيار .

هودرر : انك تزعجينني . (هنيهة) ولكن مـــاذا تنتظرين ؟ ليس لديّ وقت لاهتم بك . واحسبك بعد لا تريدين ان أقلبك على هـــذا المقعد وأن أتركك بعد ذلك .

جسيكا : احزم أمرك .

هودرر : عليك مع ذلك ان تعلمي ..

جسيكا : لا أعلم شيئاً ، لست امرأة ولا فتاة . لقد عشت في حلم . وحين كانوا يقبلونني كنت اشعر برغبة في الضحك . اما الآن فأنا هنا امامك ، ويخيّل اليّ انني استيقظت منذ هنيهة وانه الصباح . إنك حقيقي . رجـل حقيقي من لحم ودم ، واني لاخاف منك حقاً واعتقد انني احبك حقاً . افعل بي ما تشاء ، ومهما حدث ، فلن انكر عليك شيئاً .

هودرر : حين يقبّلونك ، تشعرين برغبة في الضحك . (تتضايق جسيكا فتطرق) أليس كذلك ؟

جسيكا : نعم .

هودرر : إذن فأنت باردة ؟

جسيكا : هذا ما يقولونه !

هودرر : وأنت ، ما رأيك في ذلك ؟

جسيكا : لست أدري .

هودرر : لنرَ .. (يقبلها) ماذا تقولين ؟

جسيكا : ان هذا لم يشعرني برغبة في الضحك .

(يفتح الباب فيدخل هوغو)

المشهد الرابع

هودرر، هوغو ، جسيكا

هوغو : هو ذاك اذن ؟

هودرر : هوغو ..

هوغو : حسناً (هنيهة) من أجل هذا وفـّرتني اذن. لقد كنت أتساءل :لماذا لم يأمر باعدامي أو لماذا لم يوعز لرجـاله بان يطردوني ؟ وكنت اقول لنفسي : لا يمكن ان يكون الى هذا الحدّ مجنوناً او كريماً . ولكن كل شيء يتضح الآن؛ لقد كانت امرأتي هي السبب . انني أوثر هذا .

جسيكا : اسمع ...

هوغو : دعيك من هذا اذن يا جسيكا ، دعيك من المعـاذير . انني لست حاقداً عليك ، ولست غيوراً ؛ إن احدنا لم يكن ليحب الآخر . ولكنه هو ، كاد يوقعني في شركه . « سأعينك ، وسأجعلك تنتقل الى سنّ الرجال، » مـا كان اغباني ! لقد كان يهزأ مني .

هودرر : اتريد يا هوغو ، ان اقسم لك انني ..

هوغو : ولكن لا تعتذر . بـل انني على العكس اشكرك لانك اتحت لي اللذة مرّة واحدة على الاقل لاشاهدك مرتبكا . ثم . ثم انـك ... (يثب نحو الطاولة ، فيتناول المسدس ويسدده الى هودرر) ثم انك قد حرّرتني .

جسيكا : (صارخة) هوغو !

هوغو : أترى اليّ يا هودرر، كيف اني أحدّق الى عينيك وأصوب عليك، فلا تضطرب يدي واهزأ بما يدور في رأسك .

هودرر : انتظر ايها الصغير ! لا ترتكب حماقات . لا ترتكبها من أجل امرأة !

(يطلق هوغو ثلاث رصاصات ، تبدأ جسيكا بالصراخ . يدخل سليك وجورج الى الغرفة)

هودرر : يا لك من أحمق . لقد أفسدت كل شيء .

سليك : ايها القذر ! (يخرج مسدسه)

هودرر : لا تؤذوه . (يسقط على مقعد) لقد أطلق الرصاص بدافع من الغيرة .

سليك : ما معنى ذلك ؟

هودرر : كنت اضاجع الصبية (هنيهة) آه ! يا لها من حماقة ! (يموت)

الفصل السابع

في غرفة اولغا

مشهد وحيد

(يسمع صوتاهما ليلا في البدء ثم ينتشر النور بعد ذلك شيئاً فشيئاً)

أولغا : هل هذا صحيح ؟ هل قتلته بسبب جسيكا ؟

هوغو : لقد .. لقد قتلته لانني فتحت الباب . هذا كلّ ما أعلمه . فلو انني لم افتح ذلك الباب ... كان هناك ، وكان يعانق جسيكا ، وكان أثر من احمر الشفاه على ذقنه . كان هذا شيئاً مبتذلاً . لقد كنت أعيش منذ زمن بعيد في المأساة . ولقد أطلقت الرصاص لكي انقذ المأساة .

اولغا : ألم تكن غيوراً ؟

هوغو : غيور ؟ ربما . ولكن ليست هي الغيرة على جسيكا .

اولغا : انظر الي ، وأجبني بصراحة ، لان ما سأسألك اياه على جانب كبير من الاهمية . هل انت فخور بعملك ؟ هل تطلب اعادته ؟ وهل تراك تقوم به ثانية اذا كان عليك ان تعيده ؟

هوغو : ولكن هل قمت به حقاً ؟ لست انا الذي قتلت ، بل المصادفة . لو

اني فتحت الباب قبل ذلك بدقيقتين ، او بعده بدقيقتين لما فاجأتها متعانقين ، ولما اطلقت الرصاص . (هنيهة) كنت آتياً لاقول له انني قبلت معونته .

أولغا : نعم .

هوغو : لقد أطلقت المصادفة ثلاثة عيارات نارية ، كما يحدث في الروايات البوليسية الرديئة . ويمكنك مع المصادفة ان تبدئي بالـ « لو » فلا تنتهين : « لو انني بقيت امام شجر الكستناء فترة اطول ، لو انني مضيت حتى بلغت نهاية الحديقة ، لو انني دخلت الجناح ...» ولكن انا ، انا وسط كل هذا ، ماذا تراني اصبح ؟ انها جريمة من غير قاتل . (هنيهة) لقد كنت أتساءل غالباً وانا في السجن : ما كانت اولغا تقول لي لو كانت هنا ؟ بمَ تريدين ان افكر ؟

أولغا : (بجفاء) وبعد ذلك ؟

هوغو : آوه ، انني اعرف تماماً ما كنت ستقولينه لي . كنت ستقولين لي : « كن متواضعاً يا هوغو . اننا لنهزأ بحججك ودوافعك . لقد طلبنا اليك ان تقتل هذا الرجل ، وقد قتلته . فالنتيجة هي التي عليها المعوّل . » لست ... لست متواضعاً . اولغا . انني اتمكن من التفريق بين القتل ودوافعه .

أولغا : انني افضل هذا .

هوغو : كيف تفضلين هذا ؟ أأنت التي تتكلمين يا أولغا ؟ انت التي كنت تقولين لي دوماً ...

أولغا : سأشرح لك ذلك . كم الساعة الآن ؟

هوغو : (ناظراً الى ساعته) الثانية عشرة الا الثلث .

أولغا : حسناً ، ان لدينا الوقت الكافي . ماذا كنت تقول لي ؟ أنك لم تفهم تصرّفك ؟

هوغو : بل اظن انني أفهمه اكثر مما ينبغي . انها علبة تفتحها جميع المفاتيح . فمثلاً « يمكنني ان أقول لنفسي ايضاً ، اذا كان هذا يحلو لي ، إنني قتلت بدافع من عاطفة سياسية ، وان الغضب الذي انتابني حين فتحت الباب ، لم يكن غير الهزّة التي يسرت لي امر التنفيذ . »

اولغا : (محدقة اليه بقلق) أتعتقد ذلك يا هوغو ؟ أتعتقد حقاً انك أطلقت الرصاص بدوافع نبيلة ؟

هوغو : أعتقد كل شيء يا أولغا . حتى انني لأتساءل اذا كنت قتلته بالفعل .

اولغا : بالفعل ؟

هوغو : وعما اذا لم يكن كل شيء تمثيلاً ؟

اولغا : ولكنك ضغطت حقاً على الزناد .

هوغو : أجل . لقد حركت اصبعي حقاً . ان الممثلين ايضاً يحرّكون الاصابع على المسرح . انظري مثلاً : اني احرّك السبّابة ، وأصوب اليك . (يصوب اليها بيده اليمنى والسبابة مطوية) انها الحركة نفسها . من الجائز ان لا اكون انا الشخص الحقيقي . ومن الجائز ان تكون الرصاصة وحدها الحقيقية . لماذا تبتسمين ؟

اولغا : لانك تسهل عليّ الامور تسهيلاً كبيراً .

هوغو : كنت أجد نفسي يافعاً اكثر مما ينبغي ، فوددت ان أعلّق جريمة ما في عنقي ، كما يعلقون الحجر . وكنت اخشى ان تكون ثقيلة فلا احتملها . ولكني خُدعت : إنها خفيفة ، خفيفة جداً . إنها لا تزن . انظري الي : لقد شخت ، لقد امضيت سنتين في السجن ، وانفصلت عن جسيكا ، وسأعاني هذه الحياة الغريبة القلقة ، حتى يقوم الرفاق بتحريري . إن كل هذا ناتج عن جريمتي ، أليس كذلك ؟ ومع هذا فانها لا تزن ، إنني لا أشعر بها . لا في عنقي ولا على كاهلي ، ولا في قلبي . لقد غدت قدري ، أتفهمين ؟ إنها تقود حياتي من الخارج ، ولكنني لا أستطيع أن أراها ، ولا أن ألمسها ، انها ليست لي، إنها مرض يميت، يقتل من غير ان يؤلم . اين هي ؟ هل هي موجودة ؟ لقد اطلقت الرصاص مع ذلك . لقد فتح الباب ... وكنت احبّ هودرر وجسيكا. كنت أحبه اكثر من أي شخص آخر في العالم .. كنت أحب أن اراه وان اسمعه ، كنت أحب يديه ووجهه وكانت جميع عواطفي تهدأ اذ اكون معه . ليست جريمتي هي التي تقتلني ، بل هو موته . (هنيهة) وأخيراً هذا ما عندي . إن شيئاً لم يحدث على

الاطلاق . لقد امضيت عشرة ايام في الريف ، وسنتين في السجن ؛ فلم أتبدل ؛ إنني ما زلت ثرثاراً كما كنت . لا بدّ أن القتلة يحملون شارة مميّزة . زهرة منثور في العروة . (منيهة) حسناً . وبعد ذلك ؟ الخلاصة ؟

اولغا : ستعود الى الحزب .

هوغو : حسناً .

اولغا : المفروض أن يعود لويس وشارل في منتصف الليل ليقتلاك. ولكنني لن افتح لهما . سأقول لهما إنك قابلٌ للاسترداد وصالح للعمل .

هوغو : (يضحك) قابل للاسترداد وصالح للعمل ! أية كلمة غريبة . انها تقال عن القاذورات ، أليس كذلك ؟

اولغا : هل أنت موافق ؟

هوغو : ولِمَ لا ؟

أولغا : غداً ستتلقى اوامر جديدة .

هوغو : حسناً .

أولغا : أف ! (ترتمي على كرسي)

هوغو : ما بك ؟

اولغا : إنني سعيدة . (هنيهة) لقد تكلمت ثلاث ساعات متواصلة وكنت خائفة طوال الوقت .

هوغو : خائفة ممّ ؟

أولغا : مما انا مضطرة الى ان اقوله لهما. ولكن كلّ شيء يسير سيراً حسناً . ستعود الينا وستتولى أعمال الرجال .

هوغو : وستساعدينني كالسابق ؟

أولغا : اجل يا هوغو سأساعدك .

هوغو : احبك كثيراً يا اولغا . فأنت ما زلت كما كنت نقيّة حقاً ، صافية حقاً . انك انت التي علمتني النقاوة .

أولغا : لقد شخت .

هوغو : كلا . (يمسك بيدها)

اولغا : لقد فكرت بك طوال الوقت .

هوغو : قولي يا اولغا !

اولغا : ماذا ؟

هوغو : الطرد ، ألست انت ..؟

اولغا : ايّ طرد ؟

هوغو : الشوكولا .

اولغا : كلا . لست انا التي ارسلته . ولكنني كنت اعرف انهم سيرسلونه .

هوغو : وتركتهم يفعلون ؟

اولغا : نعم .

هوغو : ولكن ما الذي كنت تعتقدينه في صميمك ؟

اولغا : (تريه شعرها) انظر .

هوغو : ماذا ؟ شعرات شائبة ؟

اولغا : لقد شابت في ليلة واحدة . انك لن تتركني بعد ابداً . واذا كان ثمة ضربات قاسية ، فسنحتملها معا .

هوغو : (مبتسماً) اتذكرين : راسكولنيكوف .

اولغا : (منتفضة) راسكولنيكوف ؟

هوغو : انه الاسم الذي اخترته لي للمقاومة السرية اوه ، يا اولغا ، انك لا تذكرين بعد .

اولغا : بلى ، اذكر .

هوغو : سأستعيده .

أولغا : كلا .

هوغو : لماذا ؟ لقد كنت احبّه كثيراً . كنت تقولين انّه يلبسني كالقفاز .

أولغا : إنك معروف بهذا الاسم اكثر مما ينبغي .

هوغو : معروف ؟ ممّن ؟

أولغا : (يبدو عليها العياء جافة) كم الساعة الآن ؟

هوغو : إلا خمس دقائق .

أولغا : اسمع يا هوغو . ولا تقاطعني . إن لديّ ما أقوله لك بعد . شيء غير ذي بال . وينبغي ألا توليه أهمية ما . سوف .. ستُدهش بادىء الامر ، ولكنك ستفهم رويداً، رويداً .

هوغو : ماذا ؟

أولغا : انني .. انني سعيدة بما حدثتني عنه ، فيما يتعلق ، بـ .. بتصرّفك .. فلو انك كنت فخوراً به ، أو حتى راضياً فقط ، لكان يشق عليك اكثر .

هوغو : يشق عليّ ؟

أولغا : يشق عليك ان تنساه .

هوغو : انساه ؟ ولكن يا أولغا ..

أولغا : إي هوغو ! ينبغي لك أن تنساه . إنني لا أطلب اليك أمراً ذا بال؛ لقد قلت ذلك انت نفسك . إنك لا تعرف ما الذي فعلته ولا لماذا فعلته . بل انت لست متأكداً من انك قتلت هودرر . حسناً . إنك في الطريق القويم ؛ وينبغي أن تمضي ُقدُماً ، هذا كل ما في الامر . إنسَه ، فليس هو الا كابوساً. ولا تتحدث عنه أبداً بعد الآن ؛ حتى ولا لي . ان هذا الشخص الذي قتل هودرر قد مات . كان يدعى راسكولنيكوف ، لقد ُسمّم بالشوكولا المحشوّة بالشراب . (تداعب شعره) وسأختار لك اسماً آخر .

هوغو : ماذا الذي حدث يا أولغا ؟ ماذا فعلتم ؟

أولغا : لقد غيّر الحزب سياسته. (يحدد فيها هوغو بصره) لا تنظر اليّ هكذا. حاول ان تفهم . حين ارسلناك الى هودرر كانت الاتصالات مقطوعة مع الاتحاد السوفييتي ، فكان علينا ان نختار وحدنا مسلكنا . لا تنظر الي هكذا ياهوغو! لا تنظر اليّ هكذا .

هوغو : وبعد ذلك ؟

أولغا : ومنذ ذلك الحين عادت الاتصالات . وفي الشتاء المنصرم أعلمنا

الاتحاد السوفييتي أنه يرغب في ان نتعاون مع الوصي لأسباب عسكرية محض .

هوغو : وقد اطعتم ؟

اولغا : نعم . واسّسنا لجنة سرية مؤلفة من ستة أعضاء مع الحاكمين و « البانتاغون » .

هوغو : ستة اعضاء . وحصلتم على ثلاثة اصوات ؟

اولغا : نعم ، كيف عرفت ذلك ؟

هوغو : مجرد حدس . تابعي .

اولغا : ومنذ تلك اللحظة لم تتدخل الجيوش بعدُ في العمليات الحربية . لقد وفّرنا على ما اظن مئة الف رجل . غير ان الالمان اجتاحوا البلاد فجأة .

هوغو : حسناً جداً . وأنا اظن ان السوفييت افهموكم انهم لا يتمنون تسليم الحكم لحزب العمال وحده ، خشية ان يخلق لهم ذلك متاعب مع الحلفاء ، وانه من الممكن من جهة اخرى ان تجتاحكم بسرعة فتنة شعبية .

أولغا : ولكن . . .

هوغو : يخيّل اليّ انه سبق لي ان سمعت كل ذلك . وهودرر اذن ؟

أولغا : لقد كانت محاولته سابقة لأوانها ، ولم يكن ذلك الرجل الذي يصلح لقيادة سياسة كهذه .

هوغو : كان ينبغي ان نقتله اذن : شيء رائع ! ولكنني احسب انكم أعدتم اليه اعتباره وأحييتم ذكراه !

أولغا : كان لا بدّ من ذلك .

هوغو : سيقام له تمثال في نهاية الحرب ، وستسمى شوارع باسمه في جميع مدننا ، وسيخلد اسمه في كتب التاريخ . ان ذلك ليسعدني من اجله . وقاتله ذاك ، من كان ؟ أجيراً في خدمة المانيا ؟

أولغا : هوغو ..

هوغو : أجيبي .

اولغا : لقد كان الرفاق يعلمون انك منّا . وهم لم يؤمنوا يوماً بالجريمة

العاطفية . فشرحنا لهم .. على قدر طاقتنا .

هوغو : لقد كذبتم على الرفاق ؟

اولغا : كذبنا ، لا . ولكننا .. ولكننا في حرب يا هوغو . ولا يسعنا ان نبوح بكل شيء للجيش .

(ينفجر هوغو بالضحك)

اولغا : ماذا دهاك ! هوغو ! هوغو !

(يرتمي هوغو على مقعد وهو يضحك حتى الدموع)

هوغو : كل ما كان يقوله ! كل ما كان يقوله ! انها اضحوكة !

اولغا : هوغو !

هوغو : انتظري يا اولغا ، ودعيني اضحك . فمنذ عشر سنوات لم اضحك بهذه القوّة . هي ذي جريمة مربكة لا يريد احد أن يتبناها ، انني لا ادري لماذا اقترفتها ، وانتم لا تعرفون ماذا تصنعون بها (ينظر اليها) انكم متشابهون .

اولغا : هوغو ، ارجوك ...

هوغو : متشابهون . هودرر ولويس وانت ، انكم من طينة واحدة . من الطينة الممتازة . طينة الأشداء ، الفاتحين ، القادة . وليس ثمة من اخطأ الباب غيري .

اولغا : هوغو ، لقد كنت تحب هودرر .

هوغو : اظن انني لم احبه قط كما احببته في هذه الدقيقة .

اولغا : اذن عليك ان تساعدنا على متابعة عمله . (ينظر اليها فتتراجع) هوغو !

هوغو : (بهدوء) لا تخافي يا أولغا . فلن اصيبك بسوء . ولكن ينبغي أن تصمتي دقيقة ، دقيقة واحدة ، حتى انظم افكاري . اذن أنا قابل للاسترداد ، صالح للعمل . حسناً جداً . ولكن وحدي ، هكذا عارياً ، من غير حقائب . شريطة أن أبدّل جلدي — واذا كان بالامكان ان أفقد ذاكرتي ، كان هذا افضل . امّا الجريمة فلا تُستردّ ، اليس كذلك ؟ لقد كانت غلطة غير ذات بال . وستُترك حيث هي ، في سلة القاذورات . امّا أنا فاني مغيّر اسمي منذ الغد . سأدعى

جوليان سوريل أو راستينياك أو مويشكين ، وسأعمل مع قيادة « البانتاغون » يداً بيد .

اولغا : سوف ..

هوغو : اصمتي يا اولغا. أتضرّع اليك ألا تنبسي بكلمة. (يفكر لحظة) كلا.

اولغا : ماذا ؟

هوغو : كلا . لن اعمل معكم .

اولغا : ألم تفهم اذن يا هوغو ؟ سيحضران مع مسدسيهما .

هوغو : أعرف ذلك . بل انهما قد أبطآ !

اولغا : انك لن تسلم نفسك للقتل كالكلب . ولن ترضى بان تموت من اجل لا شيء ! سنثق بك يا هوغو . ولسوف ترى كيف ستصبح رفيقاً لنا بحقّ ، لقد امتُحنت يا هوغو ..

(سيارة. ضجيج المحرك)

هوغو : ها هما .

اولغا : انه لجرم يا هوغو ! فالحزب ..

هوغو : دعينا من الكلمات الكبار يا اولغا . فلقد تخلل هذه القضية اكثر مما ينبغي من الكلمات الكبار ، ولقد سببت هذه الكلمات شراً كثيراً (تمر السيارة) ليست هي سيارتهما . واحسب ان لدي بعض الوقت لأشرح لك . اسمعي : انني لا ادري لماذا قتلت هودرر ، ولكنني اعرف لماذا كان عليّ ان اقتله : ذلك انه كان يتبع سياسة خاطئة ، وكان يكذب على الرفاق ، وكان يوشك ان يُفسد الحزب . ولو واتتني الشجاعة لأطلق عليه الرصاص حين كنت وحيداً معه في المكتب ، لمات من اجل هذا ، ولكان بوسعي ان افكر بنفسي من غير خجل . انني استشعر الخجل من نفسي لانني قتلته ... بعد ذلك . وانتم ، انتم تطلبون الي ان امعن في استشعار هذا الخجل وان أقرّر انني قتلته من اجل لا شيء . انني يا اولغا ما زلت على رأيي في سياسة هودرر . وحين كنت في السجن ، كنت اظن انكم على وفاق معي ، وهذا ما كان يشد من أزري ؛ اما

الآن فانا اعرف انني وحدي في اعتقادي هذا ، ولكنني لن أغيّر رأيي .

(ضجيج محرك)

اولغا : انها هما هذه المرة . اسمع ، لا يمكنني ... خذ هذا المسدس ، فاخرج من باب غرفتي وجرّب حظك .

هوغو : (من غير ان يتناول المسدس) لقد جعلتم من هودرر رجـــلا عظيماً . ولكنني احببته اكثر بكثير ممّا يمكنكم ان تحبوه . فاذا تنكّرت لعملي ، فسيصبح جثة مغفلة ، نفايــة من نفايات الحزب . (تقف السيارة) مقتولاً بالمصادفة . مقتولاً من اجل امرأة .

اولغا : اذهب !

هوغو : إن شخصاً كهودرر لا يموت بالمصادفة . انه يموت في سبيل آرائه ، في سبيل سياسته ؛ انه مسؤول عن موته . واذا انا طالبت بجريمتي امام الجميع ، واذا رغبت في استرداد اسمي راسكولنيكوف ، واذا رضيت بدفع الثمن الذي ينبغي ، فاذ ذاك سيكون لموته المعنى الذي يجدر به .

(يطرق الباب)

اولغا : هوغو ، إني ...

هوغو : (متجهاً نحو الباب) انني لم اقتل هودرر بعد يا اولغا . لم اقتله بعـد . إنني الآن سأقتله ، وسأقتل نفسي معه .

(يطرق الباب من جديد)

اولغا : (صارخة) اذهب من هنا ! اذهب من هنا !

(يفتح هوغو الباب برفسة من قدمه)

هوغو : (يصرخ) لا ، لست قابلاً للاسترداد بعد ولا صالحاً للعمل !

(ستار الختام)